إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدكتور / مصطفى محمود آراؤه الاعتقادية, وموقفه من المذاهب الفكرية, والملل المعاصرة دراسة و نقد

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: اسم الطالب: حسني محمد أحمد العطار

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ: 27 / 05 / 2014

الجـامعــة الإســلاميــة – غــزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كلـيـــــة أصـــــول الــديـــن
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

الدكتور / مصطفى محمود آراؤه الاعتقادية, وموقفه من المذاهب الفكرية, والملل المعاصرة

دراسة و نـقـد

إعداد الطالب

حسنـي محمد أحمد العطار

الرقم الجامعي/ 120110262

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور / سعد عبـد الله عاشور

بحث لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في العقيدة, والمذاهب المعاصرة

1435هـ – 2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref

التاريخ: 2014/05/18 Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **حسني محمد أحمد العطار** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/** قسم **العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

الدكتور/ مصطفى محمود – آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة – دراسة ونقد

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأحد 19 رجب 1435هـ، الموافق 2014/05/18م الساعة العاشرة صباحاً بمبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. سعد عبدالله عاشور	مشرفاً ورئيساً	....
د. خالد حسين حمدان	مناقشاً داخلياً	....
د. حمدان عبد الله الصوفي	مناقشاً داخلياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/** قسم **العقيدة الإسلامية.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي و للدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 ص.ب. 108 الرمال. غزة. فلسطين هاتف
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

شـــكـر وتقدير

الشكر لله أولاً وآخراً أن مَنَّ علي بنعمة الإيمان والإسلام، وأن جعلني من أتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلّم، وأكرمني بحفظ كتابه، وشرّفني بحمل أمانة علمه وتبليغه.

قال رسول الله : "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" [1]

بناءً عليه :

الشكر كل الشكر لأمي التي تكرمني أينما كنت ووقتما كنت بدعائها وحنانها .

أتقدم بخالص شكري وعظيم تقديري وعرفاني إلى أستاذي الفاضل الدكتور/ سعد عبد الله عاشور المشرف على هذه الدراسة لما لجهوده وتوجيهاته من أثر كبير في إتمامها على ما هي عليه، وأسأل الله تعالى أن يثيبه على هذا الجهد خير الثواب، وأن يجعل عملي وعمله خالصاً لوجهه الكريم.

كما أتقدم بالشكر للمناقشين الكريمين كلٍ من الأستاذ الدكتور : خالد حسين حمدان .

والأستاذ الدكتور : حمدان عبد الله الصوفي .

اللذيْن أثريا هذه الدراسة بنصائحهما، وتوجيهاتهما.

وأشكر الجامعة الإسلامية والقائمين عليها، وأخص بالذكر قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة : عميداً وهيئة تدريس، وعاملين .

وأشكر كل الأخوة الذين قدموا لي العون في إنجاز هذه الرسالة وخصوصاً : الأستاذ أيمن صبحي الدويك على دعمه المادي لاستكمال الدراسة العليا، وابني محمد حسني على طباعة هذه الدراسة وغيرها من الأعمال .

كما أنني أشكر زوجتي التي شجعتني على مواصلة الدراسة في هذا العمر، والشكر موصول لبقية أبنائي أحمد وعبد الرحمن وعبد الجليل، وبناتي سمية وحنان وإنعام .

الشكر والعرفان لأمي الغالية، ولأخي الكبير فيصل الذي أولاني ثقته واحترامه.

أشكر كل من دعمني مادياً ومعنوياً، وفي مقدمتهم مدير ثانوية الدوحة الأستاذ الفاضل يوسف عيسى، وزملائي وطلابي وكل من أحبني .

جزى الله تعالى كل هؤلاء خير الجزاء، وأجزل لهم خير الثواب .

إنه سميع مجيب الدعاء.

---

[1] سنن الترمذي : كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح (2020)، 228/3. قال الترمذي : هذا حديث صحيح .

إهـــداء

إلى أُمي أطال الله في عمرها، ونفعني ببركة دعائها

إلى أبي يرحمه الله، والذي أفتقده كثيراً

إلى زوجتي..

إلى ابني الحبيب أحمد الذي أفقدتني إياه السياسة

إلى بقية أبنائي وبناتي

إلى أخي الحبيب فيصل

إلى كل من أحبني في الله

إلى كل من علمني حرفاً على مدار حياتي

إلى الشرفاء الأوفياء من المجاهدين والمعتقلين والشهداء

إلى هذا الوطن الذي أُحبه كثيراً

إلى زملائي الأفاضل، وطلابي الأحبة

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد .

وبعد :

تناولت في بحثي "مصطفى محمود : آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب والملل المعاصرة" والذي جاء في مقدمة وثلاثة فصول، **كما يلي :**

المقدمة وتحتوي على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره والصعوبات التي واجهها الباحث أثناء بحثه، وخطة البحث، ومنهج البحث الذي اتبعته أثناء الدراسة .

الفصل الأول : وخصصته عن حياة الدكتور مصطفى محمود مستعرضاً أثر البيئة والعوامل السياسية والفكرية والاجتماعية في حياة الرجل، وتكون من ثلاثة مباحث .

الفصل الثاني : وتناولت فيه موقف الرجل من القضايا الاعتقادية : الإلهيات والسمعيات والنبوات، وتكون من خمسة مباحث .

الفصل الثالث : تناولت فيه موقف الرجل من اليهودية، والماركسية، والوجودية، والداروينية، والبهائية، والحضارة الغربية المعاصرة، وتكون من ستة مباحث .

الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج، والتوصيات التي توصل إليها الباحث من خلال دراسته .

1. شكل الدكتور نمطاً جديداً متفرداً في الدعوة لدين الله الإسلام، واكب من خلاله كل مستجدات العلم والتطور .
2. كان مصطفى محمود من أعلى الأصوات في زمانه إعلاناً للحق ومناصرة للقضايا الإسلامية والقومية .
3. قدّم مصطفى محمود للمكتبة الإسلامية كماً كبيراً من المؤلفات، حتى عُد من المكثرين في التأليف، والأكثر انتشاراً ومبيعاً لكتبه .
4. انتهج الدكتور منهج الوسطية في التعامل مع القضايا الفكرية ما بين القبول والرفض .
5. حارب الرجل وبكل شراسة الأفكار الوافدة وبيّن زيفها وضلالها، وكان سداً منيعاً أمام تغلغلها في المجتمع المصري والعربي ومن ثم الإسلامي.
6. أثبت الرجل صلاحية الإسلام كعقيدة وشريعة، وعدم تعارضه مع العلم وتطوره .

التوصيات :

1. أوصي نفسي وأبنائي وإخواني بتقوى الله ولزوم طاعته .
2. أوصي طلبة العلم بالعلم النافع الذي يفيد الدين والأمة .
3. أوصي بإبراز مواقف مصطفى محمود الخاصة بالصهيونية واليهودية، وقضية فلسطين .

المـقـدمــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ..

أما بعد :

من رحمة الله بالإنسانية أن أرسل إليهم الرسل والأنبياء، وجعل بين فترات توقف مبعث الرسل والأنبياء هداة من الناس على طريق ونهج هؤلاء الرسل والأنبياء، هذا كله حتى لا يترك الله البشر أُسارى للتيه والحيرة والضلال، وسيطرة الشيطان والميل للهوى .

فكانت رسالات هؤلاء الرسل المنارات التي تنير للشعوب طريق هدايتها ونجاتها فتصلح لهم ما أفسدته الأيام والأزمان وتعيدهم إلى طريق الحق والصواب .

واستكمالاً لهذه الرحمة، كان العلماء الذين ساروا على طريق الرسالة والنبوة.

انتهى عهد النبوة، فكان من بعده زمن الصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين رضي الله عنهم أجمعين، ثم كان من بعدهم علماء رفعوا لواء الحق وقاموا بواجب الدعوة لهذا الدين، فنصحوا لله ولرسوله ولدينه ولعامة المسلمين .

لقد قام هؤلاء العلماء، والذين لم يخلُ منهم زمان ولا مكان، يحملون على عاتقهم مهمة صعبة، مهمة الدعوة والرشاد، وبيان الحق من الباطل، والدفاع عن هذا الدين من كيد الكائدين، وحقد الحاقدين .. فنفع الله بهم الدين والأمة .

من هؤلاء العلماء كان الدكتور مصطفى محمود، هذا الرجل الذي ملأ الدنيا في زمانه، دعوة وكتابة وإعلاماً مرئياً وعملاً خيرياً، حتى قيل إنه ثاني أشهر رجلين في مجال العمل، حيث كان الأول فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي عليهم رحمة الله .

لقد عاش الدكتور مصطفى محمود الحياة بكل ما فيها من متناقضات، وتنقل بين التيارات الفكرية والفلسفية حتى استقر في واحة الإيمان، والتي ملأت عليه روحه، وعقله، وقلبه، فأشاع على من حوله من هذه الإشراقات شيئاً كثيراً.

لقد كان لبرنامجه المرئي " **العلم والإيمان** " والذي بثته العشرات من المحطات المرئية، وعلى مدار قرابة أربعمائة حلقة، كان لهذا البرنامج الدور الكبير في بث روح الإيمان، والهداية بين الناس، وعلى مستوى كل الأفكار، والتيارات .

إن الدكتور مصطفى محمود، يُعتبر من الشخصيات المعاصرة المهمة، التي أدت وما زالت تؤدي دوراً بارزاً ومؤثراً حتى بعد موته، وانتقاله لجوار ربه، وذلك من خلال تراثه الغزير كتباً وبرامج إذاعية مرئية ومسموعة، ومشاريع خيرية، اتفقنا معه أم اختلفنا معه .

هؤلاء الرجال بلا شك أصابوا في مواضع كثيرة ، وكانت لهم هنات في مواضع أخرى، ومن حقهم، وحق الأجيال علينا أن ندرس آثارهم التي خلفوها، فنُشيد بما أصابوا، ونمدحه، ونعمل على نشره من بعده، وفي نفس اللحظة نُبين موضع الخطأ أو مكان الاختلاف لعلنا أن نجد لهم توجيها أو مبرراً فيما ذهبوا إليه وقالوا به، فإن لم يكن بيّنا الصواب والحق .

هذا هو منهج الخلف مع السلف في هذه الأمة، فالمكتبة الإسلامية تعج بآلاف الكتب التي تناولت سيرة وعمل السابقين، وما كتب السير والطبقات والمعاجم إلا شاهداً على ذلك .

لهذا أحببت أن تكون رسالة الماجستير التي كُلفت بكتابتها في هذا المجال، من باب القيام بواجبنا تجاههم، والانتفاع بما خلفوه وراءهم، فكان الاختيار لهذه الشخصية البارزة .

أولاً . سبب اختيار الموضوع :

كانت فترة الدراسة الثانوية والجامعية لي هي فترة السبعينيات من القرن الماضي، وكانت هذه الفترة وما تلاها هي فترة الانتشار والبروز للدكتور مصطفى محمود .

ففي تلك الفترة نشر أكثر أعماله الفكرية، والتي اقتربت من المائة كتاب، وفيها كان أشهر برنامج إعلامي على الإطلاق وعلى مستوى كل المحطات المرئية، ألا وهو برنامج " العلم والإيمان " لهذا تعلقت به عقول ونفوس الناس، من المسلمين وغير المسلمين ، وكنت ممن يتابع هذا الرجل وممن حضر له أكثر من لقاء، صحيح هو ليس خطيباً مفوهاً، إلا أنه كان مفكراً بارزاً، لقد قرأت له في شبابي العشرات من الكتب، وما زلت أحتفظ في مكتبتي بكثير منها، وعلى بعضها بعض التعليقات، منها ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبي .

ثانياً . أهداف الدراسة وأهميته :

1. التعريف بهذه الشخصية وبيان عوامل النجاح في حياتها .
2. دراسة أعماله ومؤلفاته، وبيان ما أصاب الحق فيها، وما جانبه الصواب .
3. بيان عقيدة، وفكر الرجل فيما يتعلق بالعقيدة والرسل والدين، وقضايا المجتمع .
4. ذيوع هذا المفكر، وشهرته الإعلامية من خلال كتبه وبرامجه المتلفزة .

ثالثاً . معوقات وصعوبة الدراسة :

تكمُن صُعوبات البحث في هذا الموضوع في أمرين أساسين :

الأول: يتمثَّل في اتِّساع دائرة أعمال المرحوم الأديب الراحل، وتنوُّعها بين شِعرٍ وروايةٍ ومسرح ومحاضرةٍ وغيرها، وكلُّ أولئك يجعَلُ مهمَّة التتبُّع والاستقراء صعبةً في دراسة علميَّة كهذه.

الثاني: يتمثَّل في غِياب مَراجِع أو دِراسات تحليليَّة سبقَتْ إلى تناول الموضوع من وجهة نظَر تداوليَّة تحليليَّة.

رابعاً . الدراسات السابقة :

من خلال البحث ورصد الدراسات والأبحاث الأكاديمية والعلمية عن الرجل، ومن خلال التواصل مع مراكز البحث العلمي (الجامعات والمؤسسات الأكاديمية الأخرى) من خلال هذا كله وجدت أن الرجل لم ينل حقه الذي يستحقه من الدراسة، والتقييم .

1. دراسة بعنوان :" **مصطفى محمود شاهد على عصره** " للكاتب الأستاذ جلال العشري، نشرته مكتبة دار المعارف . مصر . سنة 1975 . أي قبل وفاة الدكتور مصطفى محمود بقرابة خمس وثلاثين عاماً، وتبلغ صفحات الكتاب 288 صفحة .

قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وثلاثة أبواب :

الباب الأول بعنوان : الله أو العلم والإيمان .

الباب الثاني بعنوان : الإنسان أو الأدب والفن .

الباب الثالث بعنوان : العالم أو أدب الرحلات .

هو بهذه الأبواب إنما يقسم الإنتاج الفكري والثقافي إلى هذه الأقسام الثلاثة .

2 . دراسة بعنوان : " **مصطفى محمود : سؤال الوجود** " للكاتبة الدكتورة / لوتس عبد الكريم، نشرته مؤسسة أخبار اليوم ضمن سلسلة كتاب اليوم سنة 2009، أصدرته قبل وفاة الدكتور مصطفى محمود بأشهر قليلة، وتبلغ صفحاته " 220 " صفحة. تناولت المؤلفة في كتابها مصطفى محمود الصحفي، والسياسي، والفيلسوف، والصوفي، والأديب والعالم. جمعت مقالات مصطفى محمود التي قام بنشرها في الصحف اليومية، والأسبوعية، والشهرية. تحدثت كذلك عن العلاقة الإنسانية التي ربطت الكاتبة بالدكتور مصطفى محمود.

خامساً . منهج البحث :

سأتبع في دراستي هذه المنهج الوصفي الاستقرائي، وكذلك المنهج التحليلي لأفكار الرجل، ماذا قال وبماذا رد العلماء على أقواله، ومناقشة ذلك كله وتحليله وتبينان وجه الحق أو الخطأ فيه.

سادساً . أسلوب البحث والدراسة :-

1. عرض حياة الرجل وآثاره وفكره وآرائه بمنهجية وموضوعية كاملين .
2. ترجمة الأعلام المغمورين الوارد ذكرهم ضمن الدراسة .
3. عزو الآيات إلى مواضعها في كتاب الله تعالى بذكر السورة، ورقم الآية .
4. بيان ما تحتاج بعض الألفاظ من توضيح وتفسير .
5. توثيق المصادر والمراجع في الهامش كاملاً في المرة الأولى، ومختصراً إذا تكرر ذكره
6. عمل فهارس للآيات والأحاديث والمراجع والمصادر .

سابعاً . خطة البحث :

تتألف خطة البحث من مقدمة وثلاثة فصول رئيسية كما يأتي :-

المقدمة : تشمل على أهمية الموضوع، وسبب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث .

الفصل الأول : عنوانه : مصطفى محمود حياته وعصره، وعقيدته، ويشتمل على ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول : مصطفى محمود حياته، وصفاته، ويشمل على أربعة مطالب :-

المطلب الأول : أسمه ومولده، ونشأته ووفاته .

المطلب الثاني : دراسته وطلبه للعلم .

المطلب الثالث : عمله، ونشاطه الدعوي.

المطلب الرابع : صفاته وأخلاقه .

المطلب الخامس : ثقافته وعقيدته.

المبحث الثاني : عصر مصطفى محمود، ويشتمل على ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : الحياة الدينية والاجتماعية .

المطلب الثاني : الحياة السياسية .

المطلب الثالث : الحياة الثقافية والعلمية .

المبحث الثالث : أعمال مصطفى محمود، ومؤلفاته ومنهجه، وأقوال المعاصرين فيه، ويشتمل على ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : أعماله .

المطلب الثاني : مؤلفاته .

المطلب الثالث : منهجه في الكتابة والتأليف.

المطلب الرابع : أقوال المعاصرين فيه .

الفصل الثاني : آراء مصطفى محمود ومعتقداته، ويشتمل على خمسة مباحث :-

المطلب الثالث : نقض مصطفى محمود للشيوعية .

المبحث الثالث : موقف مصطفى محمود من الوجودية، وفيه ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : حقيقة الوجودية.

المطلب الثاني : أهم أعلامها، وأفكارها .

المطلب الثالث : رفض مصطفى محمود للوجودية.

المبحث الرابع : موقف مصطفى محمود من البهائية، وفيه ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : حقيقة البهائية.

المطلب الثاني : أهم معتقدات البهائية وأفكارها .

المطلب الثالث : موقف مصطفى محمود من البهائية.

المبحث الخامس : موقف مصطفى محمود من الداروينية، وفيه مطلبان :-

المطلب الأول : التعريف بدارون والداروينية.

المطلب الثاني : كشف مصطفى محمود لزيف الداروينية.

المبحث السادس : موقف مصطفى محمود من الحضارة الغربية، وفيه مطلبان :--

المطلب الأول : معالم الحضارة الغربية .

المطلب الثاني : موقف مصطفى محمود من الحضارة الغربية .

الخاتمة : تتضمن أهم النتائج، والتوصيات التي توصل إليها الباحث من خلال دراسته .

الفهارس : تشتمل على :

أولاً. فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

ثانياً. فهرس الأحاديث الشريفة .

ثالثاً . فهرس فقرات التوراة .

رابعاً . فهرس الأعلام المترجم لهم .

خامساً . فهرس الأماكن والبلدان .

سادساً. فهرس المصطلحات .

سابعاً . كشف بالمصادر والمراجع .

ثامناً . فهرس المحتويات .

الفصل الأول

مصطفى محمود

حياته، وعصره، وعقيدته

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : حياته، ويشتمل على خمسة مطالب .

المبحث الثاني : عصره، ويشتمل على ثلاثة مطالب .

المبحث الثالث : أعماله ومؤلفاته وأقوال معاصريه فيه.

المبحث الأول

مصطفى محمود

حياته، صفاته، دراسته، عمله، وعقيدته

ويتكون هذا المبحث من خمسة مطالب :

المطلب الأول : اسمه، ومولده، ونشأته، ووفاته .

المطلب الثاني : دراسته وطلبه للعلم .

المطلب الثالث : عمله، ونشاطه الدعوي .

المطلب الرابع : صفاته وأخلاقه .

المطلب الخامس : ثقافته وعقيدته .

المطلب الأول

اسمه، مولده، نشأته، ووفاته

شاء الله سبحانه أن يُقيض لهذا الدين من يحمل لواءه، وينشر عقيدته ويدافع عنه، وقد تتابع العلماء على مدار تاريخ الإسلام، عالمٌ يخلف عالماً، منذ زمن الصحابة الكرام رضي الله عنهم حتى زماننا هذا .

ومن هؤلاء الرجال الذين حملوا على كاهلهم هذه المسؤولية الدكتور مصطفى محمود – رحمه الله – وهو المعني بهذه الدراسة .

وحتى تكتمل دراسته شخصيته والتعرف على إنجازاته كان ضرورياً التعرف على حياته، وعصره، وعقيدته، وصفاته، وأخلاقه، وثقافته .

أولاً : اسمه :

كثيراً ما يكون الاسم الذي يشتهر به شخص ما ليس هو اسمه الحقيقي، أو مختصراً من اسم كامل، وهذا أمر أستاذنا الدكتور مصطفى محمود، والذي اشتهر بهذا الاسم، مع أن اسمه الحقيقي هو : مصطفى كمال محمود حسين آل محفوظ، ويرجع نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب، عن طريق الإمام علي زين العابدين، رضي الله عنهما [1] [2] .

وكان يُطلق على عائلته لقب الأشراف، وذلك لانتسابهم لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومصطفى محمود هو الاسم الذي عُرف به وطبع على كل أعماله الأدبية والفكرية . [3]

ثانياً : مولده :

ولد الدكتور مصطفى محمود في قرية (ميت خاقان القديمة) [4]، وهي تتبع مدينة شبين الكوم[1] بمحافظة المنوفية، وهي من محافظات وسط مصر، وكان مولده في العشرين من ديسمبر سنة إحدى وعشرين وتسعمائة وألف ميلادية (1921/12/20م) .

---

[1] علي زين العابدين : علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (38-94هـ)، رابع الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، كان يُضرب به المثل في الحلم والورع، كان يقال له علي الأصغر للتمييز بينه وبين أخيه علي الأكبر، ولد ومات في المدينة المنورة، لم يعقب الحسين إلا من ولده علي زين العابدين . (انظر : الطبقات الكبرى: ابن سعد، 156/5، ووفيات الأعيان : ابن خلكان، 320/1، والأعلام : الزركلي، 277/4) .

[2] الفارس المتمرد : مذكرات مصطفى محمود : سيد الحراني، جريدة المصري اليوم، عدد2009/12/15م .

[3] انظر : مصطفى محمود والتصوف : أحمد الجزار – ص68.

[4] قرية ميت خاقان : إحدى قرى مركز شبين الكوم التابع لمحافظة المنوفية، تشتهر بالزراعة،وأصبحت الآن جزءاً من المدينة،هي مسقط رأس الدكتور مصطفى محمود . (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)

وترتيبه بين إخوته هو الثامن، وأمه هي ثالث زوجة لأبيه، ووالده هو الزوج الثالث لأمه.

ثالثاً : نشأته :

ولد مصطفى محمود ونشأ في أسرة طيبة كريمة، وما أسرع أن انتقلت الأسرة من المنوفية[2] إلى الغربية، وعلى الخصوص إلى مدينة طنطا[3]، ويتذكر الرجل أيامه وحياته الأولى قائلاً : "وحين أتذكر تلك الرحلة المبكرة من حياتي تأتيني وعلى الفور من الذاكرة صورة والدي ذلك الحنون الذي ينتمي في خاطري إلى تكوين الملائكة، كان يحتضنني ويحملني على كتفه، كنت مدللاً بمعنى الكلمة رغم أن حال الأسرة أقل من المتوسط"[4] .

الباحث ربما يعذر مصطفى محمود لوصفه لأبيه بهذا الوصف وذلك لشدة تعلقه وحبه لوالده، وأعتقد أنه لا يقصد الوصف الحقيقي .

عمل والده موظفاً حكومياً؛ سكرتيراً في مديرية محافظة الغربية ويتحدث الإنجليزية والفرنسية، مثقفاً، يميل إلى القراءة وشراء الكتب وخصوصاً الدينية منها .

يقول الدكتور مصطفى محمود : "رباني والدي في المسجد والكُتاب، أي أنها كانت طفولة دينية من الدرجة الأولى، لقد كان أبي يميل إلى الكمال الخلقي النادر، وتعلمت منه الكثير من القيم والمثل العليا والنبيلة"[5] .

حفظ الرجل الكثير من سور القرآن الكريم في صغره كعادة الناس في زمانه، وتعلم العربية في الكُتاب، وكان متفوقاً على أقرانه لدرجة شعورهم بالغيرة منه .

ومما يتذكره مفكرنا قوله : "أبي شكّل الدعم الأكبر في هذه المرحلة، فمن المشاهد التي لا أستطيع حتى اليوم أن أنساها أبداً أنه بينما كان الآباء من جيراننا يدخلون بيوتهم وفي يد

---

[1] شبين الكوم : مدينة مصرية بوسط الدلتا عاصمة محافظة المنوفية، تتوسط منطقة زراعية، يوجد فيها جامعة المنوفية، من أهم الشخصيات التي ولدت بالقرى التابعة للمدينة الرئيس أنور السادات وحسنى مبارك، عدد سكانها يقارب من (250.000) نسمة (الموسوعة العربية 1074/2) .

[2] المنوفية : محافظة تقع في جنوب الدلتا شمال العاصمة المصرية، وهي تقع بين فرعي رشيد ودمياط عاصمتها مدينة شبين الكوم، أكثر محافظات مصر كثافة سكانية، تعتمد على الزراعة، عدد سكانها يزيد عن أربعة ملايين نسمة فيها جامعة المنوفية . (الموسوعة العربية - 1763/2) .

[3] مدينة طنطا : مدينة مصرية وسط الدلتا عاصمة محافظة الغربية، ومنها مقام السيد البدوي قطب من أقطاب التصوف، هي نقطة تجمع للسكك الحديدية والطرق البرية، ومنها جامعة طنطا ، تقع شمال القاهرة وتبعد عنها قرابة (90) كم وهي من المدن المصرية القديمة . (الموسوعة العربية الميسرة - 1164/2) .

[4] الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأولى .

[5] المصدر السابق : سيد الحراني، الحلقة الأولى.

الواحد منهم كيس من الفاكهة أو الخضار، كان أبي يترك شئون البيت هذه لأمي، فأبي لم يدخل البيت أبداً وهو يحمل ربطة فجل، كان يحمل دائماً في يديه المجلاّت والكتب"[1] .

إن الظروف التي أحاطت بالدكتور مصطفى محمود قد ولّدت فيه منذ صغره حبه للقراءة والعلم وتعلقه بالكتب، مما كان له أثر كبير على تشكيل عقليته واتجاهه الفكري فيما بعد .

لقد عاش الدكتور مصطفى محمود حياته حتى اللحظة الأخيرة منها منكباً على القراءة والكتابة، لهذا لا غرابة أن تبلغ كتبه التي كتبها قرابة المائة كتاب[2]، ومئات المقالات[3] .

ومما أثر في حياته تأثيراً كبيراً قربه من مسجد السيد البدوي[4]، وحضور حلقات الذكر والمولد وابتهالات المتصوفة والدراويش، فقد كان لها تأثيرٌ كبيرٌ على تكوينه النفسي والروحاني .

رابعاً : وفاته :

أصيب مفكرنا في آخر حياته بالجلطة، واستمرت رحلة علاجه عدة أشهر حتى جاءته المنية في صباح يوم السبت 2009/10/31م، الموافق 12 ذي القعدة 1430هـ، عن عمر ناهز (88) عاماً، وشُيع جسده الطاهر من مسجده (مسجد محمود) بالقاهرة[5] في جنازة مهيبة، غلب عليها البسطاء من الناس وخصوصاً الفئات التي كان يُقدم لهم الخدمات الطبية والإنسانية .[6]

وكما تذكر ابنته خلت جنازة والدي من تواجد أي رجل من رجالات الدولة، حتى على مستوى مسؤولي محافظة القاهرة، وكأن هناك أمراً بتجاهل هذا الرجل حتى في لحظة موته[7]

---

[1] الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الثانية .

[2] سأفرد مطلباً خاصاً لكتب الدكتور مصطفى محمود .

[3] محادثة هاتفية بين الباحث وابنة الدكتور أمل مصطفى محمود، يوم 2012/10/26م .

[4] السيد البدوي : أحمد بن علي بن إبراهيم الحسني (596-675هـ)، ملقب بأبي العباس البدوي، من كبار المتصوفة، ولد في فاس بالمغرب، ومات في مصر ودفن بمدينة طنطا، زار كثيراً من البلدان، له شهرة كبيرة عند أهل التصوف، وفي مصر على الخصوص، وله مولد باسمه، يؤمه الناس من أغلب بلاد مصر. انظر : ابن عماد الحنبلي : شذرات الذهب : 345/5، ودائرة المعارف الإسلامية، 465/1، والزركلي : الأعلام - 175/1 .

[5] القاهرة : عاصمة جمهورية مصر العربية، وأكبر مدينة أفريقية، تقع على النيل، أنشأها جوهر عام (969م)،كان يحيطها سور له ثمانية أبواب ازدهرت على مدار التاريخ، فيها مقر الجامعة العربية والمتحف المصري وكثير من الجامعات منها جامعة الأزهر ودار الكتب المصرية والوثائق،يزيد عدد سكانها عن (22) مليون نسمة فيها جميع المقرات الحكومية والوزارات، وفيها المطار الرئيسي للدولة، ولقى مثله السواح الزائرين لمصر . (الموسوعة العربية الميسرة 2 / 1366) .

[6] الفارس المتمرد : سيد الحراني– الحلقة 24.

[7] جريدة المصري اليوم : عدد الثلاثاء، 24 مايو 2011

المطلب الثاني

دراسته وطلبه للعلم

رحلة الدراسة :

بدأت رحلة مفكرنا الدراسية من كُتاب ومدرسة (الشوكي) نسبة لصاحبها الشيخ محمد الشوكي، في هذه المدرسة تلقى علوم العربية والحساب وحفظ الكثير من القرآن الكريم .

وعن هذه الفترة الزمنية يقول مفكرنا : "كنت أحب وأعشق المدرسة، ويوم الجمعة كان يوم الإجازة الأسبوعي من المدرسة أو كما كنا نسميه يوم المسامحة، وكنت أتمرّد على هذه التعليمات وأذهب في الصباح وأقفز من فوق السور إلى داخل المدرسة حتى لا يراني الغفير، وأتجول في الفصول حتى يحين موعد آذان العصر ثم أمضي إلى أصدقائي وأقص عليهم أنني كنت في المدرسة اليوم، فيقولون غير مصدقين اليوم هو المسامحة فأقول : أنا معنديش مسامحة أبداً"[1] .

ثم يواصل الحديث؛ "ومنذ صغره بدأت إرهاصات مواهب مصطفى محمود الأدبية والفكرية، حيث أنشأ في منزل والده معملاً صغيراً لصناعة الصابون والمبيدات الحشرية ليقتل بها الحشرات، ثم يقوم بتشريحها للتعرف إلى أسرار مكوناتها، وكانت هذه فترة أحلامه حيث كان يتمنى أن يصبح عالماً ومخترعاً كبيراً"[2] .

بداياته الأدبية :

وأثناء دراسته الثانوية نشر بعض قصائده وقصصه القصيرة من خلال المجلات المدرسية، والإذاعة المدرسية وكان يلقى ثناءً حسناً من معلميه في المدرسة .

الدراسة الثانوية كانت في مدرسة طنطا الثانوية الحكومية، وفيها ظهرت مواهبه الشعرية والأدبية، وكتب فيها بعض القصص القصيرة، إلا أن أكثر اهتمامه كان بالعلوم والتجارب العلمية، "وأغرقت نفسي ليل نهار في التجارب العلمية والتي كانت ستودي بحياتي أكثر من مرة بسبب حدوث بعض الحرائق وانفجارات صغيرة كل فترة، وأغرقت نفسي بالعلوم التي كنت شغوفاً

---

(1) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الثانية .

(2) مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، دار المعارف، القاهرة، الأولى، 2010، ص7 .

بها مثل الكهرباء والبطاريات وجهاز التقطير والميكروفون والرسم على الورق وتنفيذ اختراعات لأجهزة"[1] .

دراسة الطب :

ويستمر حديث الذكريات؛ "ومن هنا كان هدفه أن يلتحق بكلية الطب ليتوسع في هذا المجال الذي سيطر على اهتمامه وتفكيره، وبالفعل وبعد حصوله على شهادة الثانوية العامة بتفوق، التحق بكلية الطب جامعة القاهرة، (القصر العيني)، وبدأ يمارس هوايته وبحثه الدائب عن أسرار مخلوقات الله، فكان يفحص بعناية أجساد الموتى طارحاً تساؤلاته حول سر الحياة والموت والوجود والعدم والخلق"[2] .

وقد اشتهر بين زملائه بحبه للدراسة والتشريح حتى أطلقوا عليه لقب (المشرحجي)، وفي عام 1953م تخرّج من كلية الطب وتخصص في الأمراض الصدرية، وعمل طبيباً حتى عام 1960م، "وأثناء دراسته في كلية الطب بدأ ينشر مقالاته ودراساته وتأملاته وقصصه القصيرة في مجلات الرسالة والتحرير والثقافة وفي صحيفة النداء التي كان يصدرها الوفدي الكبير ياسين سراج الدين[3]، وكان ينشر فيها علي محمود طه[4]، وأنيس منصور[5]، وكامل الشناوي[6]، وكانت أول قصة ينشرها في مجلة الرسالة عام 1947م، وعمره ستة وعشرون عاماً"[7] .

يتحدث مصطفى محمود عن نفسه قائلاً : "وبعد تفوقي في المرحلة الثانوية التحقت بكلية الطب جامعة القاهرة التي كانت دراستها قاسية وتحتاج مجهوداً مضنياً إضافة إلى اعتراض أهلي الشديد على هذا الأمر لكونهم كانوا يرغبون في التحاقي بكلية الحقوق التي كانت تخرج

---

(1) مذكرات مصطفى محمود سيد الحراني، الحلقة الثانية، الهروب من الطفولة .

(2) مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص8 .

(3) ياسين سراج الدين : (1920-2005م)، سياسي مصري، من أقطاب حزب الوفد، عمل في السياسة قبل الثورة المصرية عام 1952م، ثم أرغم بعدها على ترك العمل السياسي، حتى عاد إليه في منتصف السبعينات في زمن حكم السادات، تولى زعامة حزب الوفد الجديد . (الموسوعة الحرة : ويكيبيديا).

(4) علي محمود طه : (1321-1369هـ)، شاعر مصري، عمل مهندساً، له عدة دواوين شعرية، منها : الملاح التائه، وأرواح شاردة، وشرق وغرب، توفي في القاهرة ودفن في المنصورة . (الأعلام : الزركلي : 21/5)

(5) أنيس محمد منصور : (1924-2011م)، أديب وإعلامي مصري، تلقى تعليمه حتى المرحلة الثانوية في مدينة المنصورة، انتقل بعدها إلى القاهرة لدراسة الفلسفة في جامعة القاهرة، عمل في التدريس في بداية حياته العملية، ثم تفرغ للعمل الصحفي والكتابة، من أكثر الأدباء المصريين تأليفاً، حتى بلغت كتبه أكثر من مائة كتاب، كتاباته خفيفة قريبة لعقول الشباب، لهذا نال شهرة كبيرة، لعب دوراً كبيراً في نشر الفكر الوجودي في العالم العربي . (موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد السحار ، 328/1) .

(6) كامل الشناوي : (1918-1965م)، أديب وشاعر مصري، ولد في القاهرة لأسرة معروفة بالتدين، إلا أنه مال إلى حياة التحرر والانطلاق، شاعر معروف، عمل في الصحافة والرسم والنحت والتصوير، لم يكن ملتزماً في حياته، ترك عدة مؤلفات . (موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد جودة السحار ، 258/1) .

(7) مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص9.

الوزراء والباشوات وقتها، وتحملت كل ذلك لأنه كان لي أهداف أخرى من دراسة الطب غير أن أكون طبيباً"(1) .

وقد كان من ضمن أهدافه لدراسة الطب، الوقوف على أدلة مادية يُحصن بها إيمانه وعقيدته، يقول في موضع آخر : "ولكن من أجل أن أصل إلى يقين يزيد من إيماني وكانت أفكاري أو أسلوب تفكيري أحد أسباب اختياري لهذه الكلية وهو ما تحقق بالفعل فيما بعد، فبعد أن تعرفت على البكتيريا التي تسبب الأمراض، وكيفية علاجها، وبعد وقوفي أمام الجثث الموجودة داخل المشرحة بالساعات، وجدت نقطة البداية للإجابة على كل ما يدور في فلك الحياة، وكل ما يدور حولي، وعرفت جيداً من أين جئنا وإلى أين سنذهب، وكان الوقوف أما الجثث في المشرحة البداية الحقيقية للإيمان"(2) .

---

(1) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الثانية .

(2) المصدر السابق : الحلقة الثانية .

المطلب الثالث

عمله، ونشاطه الدعوي

مصطفى محمود طبيباً :

بعد أن تخرّج مصطفى محمود في كلية طب قصر العيني التابع لجامعة القاهرة عام 1953م، متخصصاً في أمراض الصدر، مارس عمله طبيباً في مستوصف (أم المصريين) للأمراض الصدرية بمصر القديمة في مدينة القاهرة، ثم استقال من عمله عام 1960م[1] .

استمر عمل الدكتور في مستوصف (أم المصريين) لمدة عامين، انتقل بعدها للعمل في مصحة (ألماظه) للحميات، "التي هيأ لي العمل بها إلى العزلة لموقعها الجغرافي آنذاك، كان في الصحراء التي تتسم بالهدوء والتأمل، وكانت هذه الظروف داعية لأن يولد الأديب والمفكر والفيلسوف الكامن بداخلي"[2] .

أثناء مزاولته لعمله في مهنة الطب، ومن قبل؛ وأثناء دراسته للطب بدأ يكتب مقالاته الأدبية وينشرها في الجرائد والمجلات في ذلك الوقت، ومن هنا بدأت دائرة علاقاته تتسع، فتعرف على الطبيب الأديب يوسف إدريس[3]، وثروت عكاشة[4] وذلك من خلال جريدة المساء وآخر ساعة والتحرير، ثم انتقل للعمل في مجلة روز اليوسف والتي كان يرأس تحريرها الصحفي إحسان عبد القدوس[5]، في هذه الأثناء أصدر مجموعة من كتبه منها : "**الله والإنسان**"، و"**عنبر 7**"، و"**رائحة الدم**"، و"**أكل عيش**"، و"**شلة الأنس**"، و"**العنكبوت**"، و"**لغز الموت**"، وكل هذه الكتب

---

(1) دكتور مصطفى محمود والتصوف : أحمد كمال الجزار، مطبوعات أخبار اليوم، 1997، الأولى، ص63 .

(2) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الثالثة .

(3) يوسف إدريس : (1927-1991م)، طبيب وأديب مصري، ولد في فاقوس الشرقية، وتلقى تعليمه الثانوي في الزقازيق، ثم انتقل إلى القاهرة، ودرس الطب بكلية القصر العيني، مارس هواية الكتابة وهو طالب جامعي، ثم مارس الصحافة وتنقل بين مجموعة من الصحف الشهيرة في ذلك الوقت، في بداية الستينات هجر مهنة الطب، وقرر أن يعمل في الكتابة والصحافة، له مجموعة من الأعمال الأدبية، اشتهر بكثرة المعارك الأدبية، وخصوصاً في أخريات حياته تؤخذ على أفكاره كثير من المؤاخذات العقائدية. (موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد السحار، 340/1).

(4) ثروة عكاشة : (1921- 2012م)، كاتب وصحفي مصري، ولد بالقاهرة من أسرة راقية، تخرج في الكلية الحربية، شارك الضباط الأحرار في ثورة يوليو 1952م، رأس تحرير مجلة (التحرير)، تولى وزارة الثقافة مرتين، له عدة مؤلفات، قام بترجمة الكثير من أعمال جبران خليل جبران.(موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد السحار : 318/1) .

(5) إحسان عبد القدوس : (1919-1990م)، أديب وصحفي مصري، ولد بالعباسية في القاهرة، تربى في بيت جده القاضي الشرعي أحمد رضوان، أسست أمه مؤسسة روز اليوسف الصحفية، تخرج من كلية الحقوق، عمل في المحاماة، ثم تركها ليعمل في الصحافة والكتابة، هو من كشف عن قضية الأسلحة الفاسدة في فلسطين عام 1948م، له كثير من القصص والروايات، خاض كثيراً من المعارك السياسية أدت به إلى الاعتقال عدة مرات، يعتبر أدبه وفكره من المخل بالأخلاق والقيم الإسلامية . (موسوعة أعلام الأدب العربي : سعيد السحار، 312/1).

ما عدا الأول منها، كانت ذات علاقة بعمله كطبيب يمارس مهنة الطب، وعن علاقاته بالمرضى[(1)] .

نظرته للثورة المصرية :

"كل هذا واكب قيام ثورة 23 يوليو في مصر التي استقبلها المصريون بالبشرى والأمل، لأنها تمثل تمرد الجيش والشعب على النظام الملكي الفاسد، فكان التمرد على الواقع هو ما يلفت انتباهي دائماً، ولكن خذلتنا هذه الثورة بعد ذلك، فقد حررت الدولة المصرية لاستعباد الشعب المصري"[(2)] .

من هنا بدأ مصطفى محمود يكتب مقالاته معارضاً السلطة الجديدة من خلال مجلة "روز اليوسف"، مما أدى إلى استدعاء رئيس تحرير المجلة الأستاذ "إحسان عبد القدوس" من قبل أجهزة الأمن ومناقشته فيما يكتب الصحفيون في مجلته ومن ضمنهم مصطفى محمود .

واستمر الحال على ذلك حتى أصدر كاتبنا كتابه "**الله والإنسان**" عام 1957، الذي طرح فيه قضايا لم يتعود القارئ على مثلها، مثل "مسألة القضاء والقدر، والجنة والنار، والصواب والخطأ، وقضايا الجبر والاختيار، والبعث والخلود"، وكان طرح مصطفى محمود لهذه القضايا طرحاً عقلانياً، وهذا ما لم يرق لبعض علماء الأزهر حينها، فعارضوه بمقالاتهم التي تنوعت ما بين متهِم له بالكفر إلى التفسيق إلى اعتباره ميلاداً لمفكر عبقري .

و"من الطريف أن داراً حكومية (دار الجمهورية للنشر)، هي التي وافقت على طبع الكتاب ونشره، وكان يشرف عليها في ذلك الوقت "أنور السادات"[(3)]، وحقق الكتاب رواجاً كبيراً، والطريف أن المفتي "حسن مأمون"[(4)]، كان قد قرأ هذا الكتاب وأبدى رأيه بأن هذا الأسلوب يبشر

---

(1) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الثالثة .

(2) المصدر السابق : الحلقة الرابعة .

(3) محمد أنور السادات : (1918-1981م)، سياسي مصري، ولد في قرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية، تخرج في الكلية الحربية، عمل في صعيد مصر، وهناك التقى بعبد الناصر، ونشأت بينهما صداقة، انتقل للعمل في القاهرة، كان حلقة الوصل بين الضباط الأحرار وحركة الإخوان المسلمين، شارك في الثورة المصرية عام 1952م، تنقل بين عدة مناصب، كان منها نائب رئيس الجمهورية، ثم رئيس جمهورية مصر العربية، قاد حرب رمضان عام 1973م، زار القدس عام 1977م، اغتيل في 6 أكتوبر سنة 1981م أثناء احتفالات مصر بيوم نصر أكتوبر، له مجموعة من المؤلفات منها : يا ولدي هذا عمك جمال (1958م)، ومعنى الاتحاد القومي (1957)، وقصة الثورة كاملة (1961م)، والبحث عن الذات (1977م)، وغيرها . (الموسوعة السياسية : عبد الوهاب الكيالي : المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 1991، الأولى، 73/6).

(4) حسن مأمون : (1894-1973م)، شيخ الأزهر الشريف، ولد في القاهرة، وكان والده إمام الملك، حفظ القرآن في صغره ثم التحق بالأزهر، تخرج من مدرسة القضاء وعمل قاضياً شرعياً، وتقلد جملة من المناصب الرسمية، كان آخرها مشيخة الأزهر الشريف، له مجموعة من المؤلفات، كان له مواقف عظيمة من احتلال

بكاتب كبير وعالم ومفكر، وكان هذا اعترافاً رسمياً من الدولة بهذا الكتاب وقيمته، ولكن قضاة التفتيش الجدد رفضوا الكتاب وثاروا وهاجوا وسبّوا، وقالوا هذا الكاتب أصابه الجنون أو كفر، وقدموا مجموعة من الشكاوى ضدي للقضاء وتمت مصادرة النسخ المعدودة المتبقية في الأسواق من الكتاب بعد أن تخاطفه الكثيرون من المصريين الذين كانوا يرغبون في من يكسر لهم الظلام ويطير الخفافيش التي تتزايد داخله ويفسر لهم حقيقة ما يجري لأنهم سئموا من أن تفرض عليهم الأشياء باعتبارها واقعاً لازماً يقبلوه"[1] .

في عام 1960م، استقال مصطفى محمود من عمله كطبيب ليتفرغ لعمله كصحفي وكاتب، واستمرت حياته على هذا المنوال، حتى جاءت سنوات السبعينات من القرن الماضي، والتي بدأ فيها الدكتور يكرس حياته كاملة للدعوة والأعمال الخيرية .

اهتماماته الخيرية :

"أنشأ مؤسسة محمود الخيرية التي تتكون من مجموعة من أكبر المستشفيات والعيادات التخصصية في مصر، والتي تستقبل يومياً (4500) مريضاً في شتى التخصصات وإجراء (60) عملية جراحية يومياً، كل ذلك مجاناً، وقد بلغ عدد هذه المراكز المتخصصة ستة مراكز"[2] .

أما عن عمله في البرنامج التلفزيوني "العلم والإيمان"، فهذا حديث نتركه لمطلب آخر .

نشاطه الدعوي :

وفي مجال الدعوة حدّث ولا حرج، "هو ثاني اثنين أولهما هو الشيخ "الشعراوي"[3] – رحمه الله–، استطاعا النفاذ إلى كل عقل وقلب في هذا العصر، فمؤلفاته من أكثر الكتب توزيعاً، وأحاديثه يلتف حولها الصغير والكبير، والمتعلم وغير المتعلم، والمسلم وغير المسلم"[4] .

ومن هنا تعددت موضوعات كتبه التي كتبها في مرحلة حياته الثانية، وكذلك لقاءاته التلفزيونية ومقالاته في أشهر الصحف والمجالات؛ المصرية والعربية، والتي تدور في أغلبها في

اليهود لفلسطين، والدعوة للجهاد . (الأزهر في ألف عام : محمد خفاجي، عالم الكتب، بيروت، الثانية، 1988م، ص348/1).

[1] المصدر السابق : الحلقة الرابعة .

[2] نشرة توثيقية بجمعية مسجد محمود، المراكز الطبية التابعة للجمعية .

[3] محمد متولي الشعراوي : (1911-1998م)، عالم أزهري، ومفسر للقرآن الكريم، ولد في قرية قادوس بمحافظة الدقهلية، وفيها حفظ القرآن، ثم انتقل إلى معهد الزقازيق الديني، فكلية اللغة العربية من جامعة الأزهر، عمل بالتدريس داخل مصر وخارجها، ثم تولى عدة مناصب في وزارة الأوقاف، انتهى به الأمر لتولي وزارة الأوقاف في عهد السادات، ترك الوزارة عام 1978م، ليتفرغ لنشر الدعوة، له كتب كثيرة منها : تفسير القرآن الكريم، لم يكن يكتب كتبه بنفسه، إنما كان يلقيها على شكل محاضرات يتم فيما بعد تفريغها في كتب ورقية . (موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد السحار، 260/1).

[4] شاهد على العصر عمر بطيش، أخبار اليوم ، 1984م، الأولى، ص70 .

فلك الدعوة للإيمان، وبيان محاسن الإسلام، " كان محور دعوة مصطفى محمود رسالته الإيمانية هو الدعوة إلى المواءمة بين الدين والعلم، أو بمعنى أدق أن العلم لا يناقض الدين، بل إن الإسلام في جوهره يدعو إلى العلم والتفكر والابتكار، والرد على الدعاوى التي تزعم أن هناك تعارضاً وتصادماً بين الدين والنظريات العلمية، ونحن في عصر المخترعات والمكتشفات العلمية الباهرة"[(1)] .

لهذا نجد الرجل يُكثر من الكتابة والتأليف في الموضوعات الإيمانية والروحانية، فكانت أول كتاباته في المرحلة الثانية من مشوار عمره كتاب : **رحلتي من الشك إلى الإيمان**، وتلاه كتاب **الطريق إلى الكعبة**، وهكذا توالت كتاباته الرائعة والتي كان لها تأثير كبير على حركة المد الإسلامي في الثلث الأخير من القرن العشرين وما تلاه، لقد "كرس الدكتور مصطفى محمود قلمه للدفاع عن الإسلام على المستوى الفكري وعلى المستوى السياسي. على المستوى الفكري بتوضيح صحيح الإسلام والبعد عن الغلو والتطرف، وعلى المستوى السياسي يكشف محاولة الغرب الآن تشويه صورة الإسلام، وأنه العدو الجديد بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، كما أنه يتصدى لمؤامرة الصهيونية وإزاحة النقاب عن وجهها الحقيقي، كما يبرز دائماً أوضاع العالم العربي، وما فيه من انقسامات لا يستفيد منها إلا الأعداء الذين يمتصون دماء العالم العربي، ويأكلون ثرواته باختلاق المشاحنات والخلافات بين أبناء العقيدة الواحدة""[(2)] .

وهكذا نجد أن مصطفى محمود كان شخصية مؤثرة داخلياً وخارجياً، وعلى أكثر من اتجاه .

---

(1) مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص28 .

(2) مصطفى محمود ودوره في خدمة قضية كوسوفا : بكر إسماعيل، مكتبة ألبا برس، القاهرة، 2000، الأولى، ص17 .

المطلب الرابع

صفاته وأخلاقه

اتسم الدكتور مصطفى محمود بجملة من الصفات والأخلاق، قلّما نجدها في زماننا هذا في كثير ممن يتصدون للعمل الدعوي، وقد كان للبيت الذي ولد ونشأ فيه، وتربية الوالدين له ولإخوانه بالغ الأثر الحسن في أخلاقهم .

وهو يحفظ لوالده في عقله ونفسه ذكريات طيبة كثيرة، كانت له فيما بعد نبراس حياة، لهذا نجده فيما بعد يُسمي كل المؤسسات الخيرية التي قام بإنشائها باسم والده، فهو يقول عن والده : "لم يكن مثقفاً ولا مطلعاً على النظريات الحديثة في علم النفس والتربية، ولكنه كان يجيد اللغة الفرنسية بطلاقة، وكان رجلاً بسيطاً باطنه عامر بالإيمان العميق، وحب الله، والحب الفطري للخير والرحمة والتسليم والتفويض والرضا، والذي كان يتخلق بخلق الأولياء"[(1)] .

وكان كاتبنا يتصف بجملة من الصفات والأخلاق، من أبرزها كان الزهد والعزلة والتواضع والكرم، وهو ما سنبينه فيما يلي :

أولاً . الزهد والبعد عن الترف :

من أبرز ما يلاحظه أي شخص يتعامل مع الدكتور مصطفى محمود زهده في متاع الدنيا وشهواتها، إن كان ذلك مالاً أو منصباً سياسياً أو طعاماً وملبساً أو بيتاً فاخراً، وكان رحمه الله لا يُغريه ما يجد بين أيدي الناس : "لا أستطيع أن أُنكر أنني عشت حياة متواضعة في منزلنا، لكن شملتها الراحة والسكينة والطمأنينة والبركة في المعيشة والمأكل والمشرب والملبس، حقيقي لم أكن أعرف السيارة أو التاكسي، ولكن الحمار في أحسن الأحوال كان وسيلة جميلة استخدمها حينما كنت أريد أن أذهب إلى القرى المجاورة لزيارة أقاربنا ومعارفنا، وكان طريقي إلى المدرسة أقطعه سيراً على الأقدام يومياً، ولا أنسى أن زملائي في المدرسة كانت تنتظرهم على باب المدرسة سيارات فارهة لتوصيلهم إلى منازلهم، لكني لم أعقد مقارنة مطلقاً بيني وبينهم، لم أحلم يوماً بأن يكون لدي سيارة أو قصر ولم يخطر ببالي ضرورة أن أكون غنياً، فقد كنت أعيش بكل كياني في عالمي الخاص، وهو كان عالماً مليئاً بالقيم والمثل العليا، ومليئاً بالبطولات، والانتصارات، ودائماً كان بداخلي انتصار الخير على الشر في هذه الحياة"[(2)] .

---

(1) دكتور مصطفى محمد والتصوف : أحمد الجزار ، ص70 .
(2) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأولى .0

هذه حال طفولته، فما بالنا حينما يكبر وتكبر معه منظومة القيم والأخلاق التي تربى عليها، لهذا ليس غريباً أن يترك حياة القصور والبيوت الفارهة ويعيش في شقة صغيرة متواضعة بالنسبة لمكانته ومركزه العلمي والاجتماعي، تتكون من حجرة وصالة؛ ملحقة بالمركز الإسلامي الذي أسسه في منطقة المهندسين بالقاهرة، وهو القادر على أن يمتلك أفخم البيوت[1] .

"وكان طعامه المعتاد يومياً في الإفطار قطعة جبنة ومربى وعيش وشاي بلبن، وفي الغداء قطعة سمك مشوي وتفاحة وقطعة عيش"[2] .

رفضه للمناصب والمراكز العليا:

وقد عرض عليه الرئيس السادات أكثر من منصب: وزارة الثقافة أو وزارة الأوقاف، وفي هذا الخصوص يقول مصطفى محمود عن هذا الموقف : "ووجدته يقول في جدية أنا محتاج لك يا مصطفى، فقلت له على الفور : طلباتك أوامر يا ريس، فوجئت به يعرض علي أكثر من وزارة (الثقافة أو الأوقاف)، ولكن لم يكن من ضمنها وزير الصحة أو الإعلام كما شاع في وقتها"[3] .

ويقول في موضع آخر : "أنا مصطفى محمود، مش عارف عن نفسي غير راجل بيعرف يقرأ ويكتب، أشغل نفسي في المرصد وأفكر في كواكب الفضاء، ألعب بالميكروسكوب، وأشغل نفسي بالبروتون والنواة، أشرّح نباتاً أو حيواناً وأقارنهما بتركيب الإنسان، أحضر جلسة صوفية، أقرأ جزئي قرآن وتفسيرهما، لكن أن أكون وزيراً، أنا أعاني من عشرين سنة من السلطة ورخامتها وتسلطها، فجأة كدة أدخل اللعبة" .

ثم يقول : "اتصل بي الرئيس "السادات" بعد يومين وقال يومها : أريدك أن تكون رئيساً لمجلس إدارة دار الهلال بالإضافة إلى كونك مستشاراً لي، وبالطبع وجدت نفسي في حرج بالغ من كل هذه الثقة الزائدة في، ومن كل هذه المناصب التي هبطت عليّ من السماء، وقلت له : أنا يا ريس بكل صراحة فشلت في إدارة أصغر وحدة في المجتمع وهي زواجي فكيف تتصور أنني يمكن أن أنجح في إدارة مؤسسة كاملة تحوي آلافاً من الموظفين، والأدهى أن أتحمل مسؤوليتها الاجتماعية وأتحاسب على اللي حققته واللي فشلت فيه قدام ربنا"[4] .

هذا نموذج من الزهد نادراً ما نجده إلا عند القلة الذين ربط الله على قلوبهم، فلم تعد هذه الدنيا تساوي عندهم شيئاً، ولأنهم علموا أن لهم رسالة محددة يقومون بتأديتها، فالتزموا بها دون

---

(1) مصطفى محمود والتصوف : أحمد الجزار، ص81 .
(2) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأولى .
(3) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الرابعة عشرة .
(4) المصدر السابق : الحلقة الرابعة عشرة .

النظر إلى غيرها، وعلم الرجل أنه سينتهي الكاتب والداعية عنده مع أول يوم يكون فيه مديراً وسيكون مديراً فاشلاً (كما ذكر مصطفى محمود عن نفسه)، إنها الحقيقة مع النفس، والفشل ليس نتيجة العجز والجهل بل نابعاً من الزهد .

ثانياً . عزلته عن الناس :

ظهرت بوادر حب مصطفى محمود للعزلة منذ طفولته، وهذه العزلة لم تكن ضعفاً في التركيبة النفسية، أو لعيب خَلقي في جسمه، بل هي رغبة في التفرد بالنفس، والخلوة بالذات، فهو "يحن دائماً إلى العزلة والخلوة مع نفسه، والتأمل ومحاسبة نفسه من وقت لآخر، حين ناقشته (الضمير يعود على المؤلف) في مسرحية المسيخ الدجال، قال : كتبتها في ألمانيا في جبل فوق مكان يسمى الغابة السوداء، صمت رهيب وعزلة جميلة ووحدة مطلقة، لا تسمع ولا ترى أحداً، وهو جو محبب لنفسي جداً"[1].

وقد لازمه ميله للعزلة منذ طفولته، فهو يقول : "لهذا لم يكن غريباً أن يكون لي عالمي الخاص، لأتجول فيه ما بين البطولات والانتصارات بداية من السندباد ورحلاته التي كانت لا تفارقني، والمكتشفين والعلماء، وكانت أحلامي كلها بطولات سواء بطولات عسكرية مثل خالد بن الوليد[2] والاسكندر الأكبر[3] الذي كتبت فيما بعد مسرحية تحمل اسمه أو بطولات علمية مثل ماركوني[4] وأديسون[5]) "[6] .

والملاحظ أن هذه العزلة كانت عزلة إيجابية وليست عزلة سلبية، كان خلالها يتردد على الكُتاب وعلى المسجد ويؤدي الصلوات جماعة في مسجد (سيدي عز الرجال) بطنطا، وكان في

---

(1) مصطفى محمود والتصوف : أحمد الجزار، ص82 .

(2) خالد بن الوليد بن المغيرة : صحابي جليل، سيف الله المسلول، من أشراف قريش، حارب المسلمين حتى عُمرة الحديبية، أسلم قبل فتح مكة سنة 7هـ ، شارك بعدها في كل المعارك بجانب المسلمين جندياً وقائداً، تولى بعد موت النبي جيوش المسلمين في حرب الردة، قاتل مسيلمة وهزمه، مات في حمص بالشام عام 22هـ، روي له 18 حديثاً، كتب عنه كثير من الكتب والدراسات . (الأعلام : الزركلي، 300/2).

(3) الإسكندر الأكبر : (356-323 ق.م)، أحد ملوك اليونان،ابن الملك فيليب الثاني، كان ملكاً على مقدونيا، تتلمذ على يد أرسطو، أخضع الثورات التي قامت إثر وفاة أبيه، ثم قام بحرب الفرس، فتح كثير من البلاد، أسس مدينة الإسكندرية، وصلت فتوحاته حتى الهند، أصيب بمرض الحمى ومات على أثره، وعمره لم يتجاوز 33 عاماً، دعا إلى التزاوج بين الشعوب حتى تقوم الوحدة بين المشرق والمغرب وبدون قوة، يعتبر من أعظم القادة على مدار تاريخ الإنسانية. (الموسوعة العربية الميسّرة، 151/1) .

(4) ماركيز ماركوني : (1874-1937م)، فيزيائي إيطالي حاز على جائزة نوبل في العلوم، واكتشافاته للإرسال التلغرافي اللاسلكي، شارك في تطوير نقل الإشارات الموجية الطويلة، والإشارات عبر المحيط الأطلنطي . (الموسوعة العربية الميسّرة، 1616/2) .

(5) تومس أديسون : (1843-1931م)، توماس ألفا إديسون، مخترع ورجل أعمال أمريكي. اخترع العديد من الأجهزة التي كان لها أثرا كبيرا على البشرية حول العالم، مثل تطوير جهاز الفونوغراف وآلة التصوير السينمائي بالإضافة إلى المصباح الكهربائي المتوهج العملي الذي يدوم طويلاً.. (موسوعة المورد، 39/1) .

(6) الفارس المتمرد : سيد الحمراني، الحقيقة الأولى .

نفس الوقت يقضي يومياً ما بين 5-6 ساعات في مكتبة البلدية بطنطا يقرأ في مختلف المجالات، ويدخل مجادلات ومناقشات تنتهي بالضرب والجري[1] .

فلما وصل إلى المرحلة الثانوية زادت اهتماماته العلمية، فأنشأ في بدروم منزلهم معملاً خاصاً، وكما يقول أغرق نفسه ليل نهار في التجارب العلمية التي كادت تسبب له الموت عدة مرات من خلال الانفجارات والحرائق، وأغرق نفسه بالعلوم التي كان شغوفاً بها مثل الكهرباء وجهاز التقطير والرسم على الورق والقراءة وكتابة الشعر[2] .

ثم كانت عزلته عن الأهل والناس في أخريات أيام دراسته للطب حينما استأجر غرفة في بنسيون (فندق صغير)، في مدينة حلوان[3]، اعتزل من خلالها الناس وبدأ يكتب ويراسل الصحف والمجلات الأدبية والسياسية، وكان من نتائج هذه العزلة كتابه **(الله والإنسان)** .

ولم تفارقه رغبته في العزلة حتى بعد أن أصبح شخصية عامة مشهورة، وكاتب يقرأ له الملايين من الناس، وتُترجم كتبه إلى عدة لغات أجنبية، فقد هجر الزوجة والعالم من حوله وسكن في شقة بسيطة لا تتناسب مع مكانته المالية أو العلمية أو الاجتماعية، شقة صغيرة لا تتجاوز الثمانين متراً مربعاً، لا يوجد فيها من الأثاث إلا أقل القليل[4] .

يقول الدكتور مصطفى محمود : "قررت بعد الفشل الثاني (الزواج الثاني) أن أعطي نفسي لرسالتي وهدفي كداعية إسلامي ومؤلف وكاتب وأديب ومفكر، وقد اقتنعت تماماً بأن هذا قدري، ورضيت به، ومنذ هذا الحين وأنا أعيش في جناح صغير بمسجدي بالمركز الإسلامي، أغرق مع وحدتي في العمل وتعودت أن أعطي ظهري لكل حقد أو حسد ولا أضيّع وقتي في الاشتباك مع هذه الأشياء، وأفضل أن أتجنبها، وأتجنب أصحابها حتى لا أبدد طاقتي فيما لا جدوى وراءه، انتصاراتي على نفسي هي أهم انتصارات في حياتي، وكانت دائماً بفضل الله وبالقوة التي أمدني بها بالبصيرة والنور الذي نوّر به طريقي"[5] .

---

(1) المصدر السابق : الحلقة الأولى .
(2) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحقيقة الثانية.
(3) حلوان : مدينة مصرية على الضفة الشرقية للنيل تبعد عن القاهرة جنوباً (25) كم، فيها أكبر مجمع للحديد والصلب، ومنها حمامات حلوان الشهيرة، فيها بعض المدافن الفرعونية القديمة، يوجد فيها جامعة حلوان للعلوم التقنية، يزيد عدد سكانها عن مليون نسمة . (الموسوعة العربية الميسرة - 734/2) .
(4) مصطفى محمود سؤال الوجود : لوتس عبد الكريم، مؤسسة أخبار اليوم، 2008م، الأولى، القاهرة، ص46.
(5) المصدر السابق : ص130 .

ثالثاً . الكرم والجود والسخاء :

لقد كان للبيئة التي عاش فيها أستاذنا، والتربية التي تلقاها في صغره على يدي والده ووالدته، لقد كان لها أثر كبير في أغوار نفسه ومن ثم في حياته فيما بعد وبشكل واضح وملحوظ .

أثر القدوة والتربية في الإنسان :

كان والد الدكتور مصطفى محمود نموذجاً عجيباً للكرم، نادراً ما نصادف في حياتنا مثيلاً له، فهو يقول : "تدرج أبي في مناصبه من أولى الدرجات الوظيفية كمُحضر إلى أن وصل إلى سكرتير في مديرية الغربية، وارتفع راتبه الشهري من (80) قرشاً حتى وصل إلى (20) جنيهاً، وهو أكبر راتب حصل عليه في حياته، وكانت له عادة لم يقطعها في حياته منذ أول راتب تقاضاه وحتى آخر راتب، وهو أنه كان يعطف بربع راتبه على الفقراء، كان يذهب إلى أقاربه الفقراء والجيران ومعارفه الذين كان يرى فيهم رقة الحال في القرى المحيطة بطنطا ويوزع عليهم ربع هذا الراتب الضئيل، فقد كان عطوفاً حنوناً إلى أبعد مدى"[(1)] .

بلا شك حينما يعيش الطفل حياة مثل هذه الحياة فلا بد أن تغرس في روحه قيماً جميلة وعظيمة، ولا بد أن سيكون لها في نفسه صدىً حينما يكبر ويمتلك المال والقدرة والإمكانات، وهذا ما حدث فعلاً مع أستاذنا .

"وهكذا أصبح مصطفى محمود ظاهرة فريدة في مساعدة الفقراء والوقوف بجانبهم حيث استفاد من مشروعه الخيري أكثر من مليون أسرة بسيطة من البسطاء والغلابة، فتبنى الكثيرون العديد من مشروعاته الخيرية مثل (ما لا يلزمك قد يحتاجه غيرك)، و(القرض الحسن)، و(الصدقة الجارية)، إضافة إلى قوافل الخير التي جابت مناطق مصر النائية لتقديم خدماتها الطبية والاجتماعية والثقافية والدينية، وأصبحت جمعية مصطفى محمود منظومة فريدة للخير والعطاء حيث أصبح بحق موالاً في عشق الغلابة عاش في خيمة الرضا يقبل العطاء ويقدم الخير للبسطاء والمحتاجين"[(2)] .

هذا الذي يقوم به مصطفى محمود من العطاء والسخاء والكرم، في اللحظة التي يتعرض فيها مال الدولة للنهب والسرقة من رموز المجتمع المصري السياسية والاجتماعية والعسكرية

---

(1) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأولى .

(2) مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص91 .

والثقافية، ويهربون بها إلى خارج البلاد، ليس بالملايين بل بالمليارات، ويتلاعبون في مقدرات الشعب، والفقراء والبسطاء منهم على الخصوص .

يقول مصطفى محمود : "كان حلمي تأسيس شئٍ عمليٍ أستطيع من خلاله أن أمد يد العون، أن أساهم في حل مشاكل المحتاجين من المحيطين بي، في عام 1976م بالفعل بدأت تنفيذ الحلم وحصلت من وزارة الأوقاف على ترخيص ببناء مسجد وحصلت على دعم العديد من الأشخاص والجهات لإتمام بناء المسجد وبدأت التفكير في إنشاء مركز خدمي وعلاجي للبسطاء، فكرت أولاً في إنشائه في أرياف الجيزة، ولكن بعد إقامة المسجد فكرت في إنشاء المجمع بجوار المسجد، وعندما وضعنا كل ما نمتلك معاً، أكملوا (500) جنيه، وهو المبلغ الذي لا يُسمن ولا يُغني، لكني كنت أعمل عملاً لله، وعندما أعانني الله قمت بزيادة رأس المال المؤسس إلى ستة آلاف، وكان مبلغاً كبيراً في ذلك الوقت، وهو ما ساعدني على إنشاء المستشفى بالفعل، هل تعلم كم تبلغ القيمة الاسمية لهذه الأصول الآن، أكثر من (150) مليون جنيه، كلها لله، لا يوجد منها مليم واحد في حسابي الخاص"[1] .

وتمتد أيادي هذه المشاريع الخيرية لتصل إلى كل مكان في مصر من الصعيد إلى سيناء إلى مطروح وسوهاج وأسوان، وبلغت قوافل الخير عشرات القوافل، وسماها أستاذنا بقوافل الشتاء والصيف .

هذه هي أخلاق هذا العالم والمفكر الذي أعطى دينه ووطنه والإنسانية الشيء الكثير .

---

[1] الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة 17 .

المطلب الخامس

ثقافته، وعقيدته

من ضمن المكونات الرئيسية لشخصية الإنسان، مجموعة من المكونات على رأسها مكون الثقافة ومكون العقيدة، ومن خلال هذين المكونين تبنى شخصية الإنسان، وتتحدد معالم حياته، ويبرز دوره في المجتمع، فلقد لعبت الثقافة المتعددة الجوانب في صقل عقلية وتفكير أستاذنا، وكذلك لعبت العقيدة الدور الكبير في عطائه وكفاحه ودعوته .

أولاً . ثقافة مصطفى محمود :

نشأ مصطفى محمود في بيت لم ير الأبناء والدهم يحمل كيس فاكهة أو ربطة فجل، بل كان دائماً يدخل إلى البيت يحمل بين يديه الكتب والمجلات، بلا شك أن هذا الأمر المعتاد ينعكس على هذا الطفل وإخوانه؛ فيقبل على هذه المجلات وهذه الكتب يُقلب صفحاتها، ويقرأ عناوينها، ويوماً بعد يوم أصبحت القراءة محببة إلى نفسه شغوفاً بها إلى حد كبير، ومن ثم يقبل على قراءة كتب السندباد والرحالة والمكتشفين، وكتب البطولات[1] .

وكلما كبر كبرت اهتماماته وخصوصاً أنه كان متفوقاً في دراسته، فأقبل على دراسة وقراءة المتنبي[2] وأحمد شوقي[3] وحافظ إبراهيم[4]، وإبراهيم ناجي[5] كرموز للشعر العربي القديم والحديث.

---

(1) انظر : الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأولى .

(2) المتنبي : أحمد بن الحسين المتنبي، أبو الطيب (303 - 354هـ)، شاعر عربي، ولد بالكوفة، ونشأ في الشام، تنقل في عدة بلدان يطلب العلم والشعر، قال الشعر وهو صبي، أجاد في شعره كثيراً، يعتبر من مفاخر الشعر العربي، قُتل في بغداد، ودفن فيها . (الأعلام : الزركلي : ، 110/1).

(3) أحمد شوقي بن علي (1868-1932م)، شاعر مصري، أشهر شعراء العرب المعاصرين، ولد ومات في القاهرة، تلقى تعليمه في المدارس الحكومية، عاش حية كريمة، سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق، ساعده ذلك على دراسة الأدب الغربي وخصوصاً الفرنسي، تنقل بين عدة وظائف حكومية، أجاد في شعره كثيراً، تناول في شعره الأحداث السياسية والاجتماعية لمصر والمشرق عموماً، أكثر من قول الشاعر وله عدة دواوين مطبوعة، وبعض الكتب النثرية، كتب عنه كثير من الكتب والدراسات . (الأعلام :الزركلي، 136/1) .

(4) حافظ إبراهيم : محمد حافظ إبراهيم (1871-1932م)، شاعر النيل، ولد في ديروط، ونشأ في القاهرة، مات والده وهو صغير، اشتغل في المحاماة، ثم انضم للمدرسة الحربية، وعمل ضابطاً في سلك العسكرية، نظم الشعر في صغره، اشتهر بأنه شاعر مصر القومي، ترك الجيش وتنقل بين عدة وظائف مدنية، اشتهر شعره بالقوة وجمال اللفظ، واشتهر الرجل بأنه حاضر النكتة ومهذب النفس، جمع شعره في مجلدين، كتب عنه الكثير من الكتب والدراسات . (الأعلام : الزركلي، 76/6) .

(5) إبراهيم ناجي بن أحمد القصبجي : (1898-1953م)، طبيب وشاعر، ولد في القاهرة، ومات فيها، درس الطب وعمل طبيباً، واشتغل بالأدب، صاحب نزعة روحية صوفية، جُمعت أشعاره في ديوانين مطبوعين، وله عدة كتب أخرى غير الشعر، في الأدب والقصة، جُمعت بعد موته أعماله في مجموعة كاملة، كُتب عنه عدة دراسات .(الأعلام : الزركلي، 76/1).

وقد تعددت مصادر ثقافة مصطفى محمود ما بين قراءات أدبية وفلسفية وفكرية ودينية، وهكذا نجد أثر هذا التنوع واضح في تنوع كتاباته وكثرتها .

يُحدثنا الأستاذ محمد رضوان عن مصادر ثقافة مصطفى محمود فيقول :[1]

أهم مصادر ثقافته التي شكلت أدبه وفكره هي :

- الكتب المقدسة : القرآن والتوراة والإنجيل .
- كتب التفاسير للقرآن الكريم لكبار العلماء القدامى والمحدثين .
- مؤلفات كبار المفكرين والأدباء مثل عباس محمود العقاد[2]، وطه حسين[3]، ومحمد حسين هيكل[4] .
- مؤلفات كبار الفلاسفة العرب وأعلام الفكر العربي والإسلامي مثل : أبي حامد الغزالي[5]، وابن رشد[6]، وابن تيمية[7] وغيرهم .

---

(1) مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص15 .

(2) عباس محمود العقاد : (1889-1964م)، أديب وكاتب وشاعر مصري، ولد بأسوان، ظهرت موهبته منذ صغره، تقلد بعض الوظائف الحكومية، عمل معلماً وصحفياً، انضم لحزب الوفد، وكان من أشهر كتابه، صاحب آراء ومبادئ في الحرية والتربية، له عدة دواوين في الشعر، وعشرات الكتب في الأدب والسياسة والتراجم، من أشهر كتبه العبقريات، توفي في القاهرة، ودفن في أسوان . (الأعلام : الزركلي، 266/3).

(3) طه حسين : طه حسين بن علي بن سلامة، (1889-1973م)، كاتب وأديب مصري، ولد في قرية الكيلو من قرى المنيا، كف بصره وهو صغير، درس في الأزهر الشريف، ثم في الجامعة المصرية، سافر للدراسة في فرنسا، ونال منها الدكتوراه في الأدب، عمل مدرساً في الجامعة المصرية ثم عميداً فمديراً للجامعة، فوزيراً للمعارف، له كثير من الكتب، لُقب بعميد الأدب العربي، خاض كثيراً من المعارك الأدبية . (الأعلام : الزركلي، 231/3).

(4) محمد حسين هيكل : (1888-1956م)، كاتب وسياسي وأديب مصري، ولد في كفر غنام بالدقهلية، تخرج من كلية الحقوق، نال الدكتوراه من السربون، عمل بالمحاماة والصحافة والجامعة المصرية، تولى وزارة المعارف مرتين، ثم رئيس مجلس الشيوخ المصري، له كثير من الكتب، أشهر كتبه في الإسلاميات، وتراجم الشخصيات، توفي في القاهرة . (الأعلام : الزركلي، 107/6) .

(5) الغزالي : محمد بن محمد الطوسي الغزالي (أبو حامد) حجة الإسلام، (450-505هـ) ولد بطوس، تنقل في كثير من البلدان وأجاد في أغلب العلوم، وكان إماماً وحجة، له عشرات الكتب، أشهرها إحياء علوم الدين، كُتب عنه عشرات الكتب والرسائل العلمية، لم يترك علماً إلا وكتب فيه، عاد في آخر أيامه إلى بلدته ومات ودفن فيها . (الأعلام : الزركلي، 22/7) .

(6) ابن رشد : الوليد محمد بن أحمد بن رشد (1126-1198م)، فيلسوف أندلسي، ولد بقرطبة بالأندلس، أسرته مشهورة بتولي القضاء، حفظ في صغره القرآن وموطأ مالك، ودرس علوم عصره، كان على علاقة طيبة بابن طفيل، محباً للفلسفة، تنقل ما بين الأندلس والمغرب العربي، عمل طبيباً وقاضياً، له عدة كتب نالت شهرة عظيمة، كانت أغلب كتبه عن الفلسفة والطب، شرحاً أو إبداعاً، حاول أن يوفق ما بين الدين والفلسفة، اشتهرت كتبه في بلاد الغرب كثيراً، كُتب عنه كثيرٌ من الأبحاث والدراسات، مات ودفن في مراكش بالمغرب . (موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد السحار، 34/4) .

(7) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم الحراني (أبو العباس) (661-728هـ)، شيخ الإسلام، ولد في حران، وانتقل إلى الشام، ظهر نبوغه من صغره، تنقل بين كثير من البلدان، لقب بشيخ الإسلام، ناله كثير من الأذى والسجن، كتب في كثير من فنون العلم، حتى نال الأستاذية فيها، كتبه من أعظم ما كتب في الإسلام، يسترشد بها العلماء في

- مؤلفات أعلام الصوفية مثل : النفري[1]،
- ومحيي الدين بن عربي[2]، والحلاج[3] .
- مؤلفات أعلام الفكر الفلسفي الغربي مثل : نيتشه [4]، وهيدجر [5]، وسارتر [6]، وديكارت[7]، فضلاً عن فلسفة أرسطو [8]، وأفلاطون[9] .

كل البلدان والأزمان، اشتهر بالفتاوى، طبعت أغلب كتبه ، تناوله الدارسون والباحثون في كتبهم ودراساتهم، حتى كتب عنه العشرات من الكتب والدراسات، مات في المعتقل بمدينة دمشق . (الأعلام : الزركلي، 144/1) .

(1) محمد بن عبد الله النفري : من كبار الصوفية، ولد بالقرب من الكوفة بالعراق، اشتهر بالزهد والتخفي عن الناس، كان عالماً من علماء القرن الرابع الهجري، جمع حفيده كلماته وإشاراته في كتاب سماه (المواقف والمخاطبات)، يميل النفري إلى الرمزية، قيل أنه توفي في مصر سنة 345م، اختصر مصطفى محمود كتاب النفري في كتاب سماه (**رأيت الله**) . (انظر : رأيت الله : مصطفى محمود، دار المعارف، مصر، السادسة، 1981، ص18).

(2) محمد بن علي عربي الطائي : من كبار الصوفية، ولد في مرسية بالأندلس عام 560هـ ، ارتحل إلى كثير من بلاد المسلمين، استقر في نهاية المطاف في دمشق، مكثر من الكتابة، وأشهر كتبه (الفتوحات المكية)، في التصوف وعلم النفس، لُقب بالشيخ الأكبر، خلط ما بين الفلسفة والتصوف، هو ممن قال بوحدة الوجود، مات في دمشق، عام 638هـ . (الأعلام : الزركلي، 281/6).

(3) الحلاج : الحسين بن منصور (أبو عبد الله) (244-309هـ)، صوفي متفلسف، ولد في بلدة البيضاء من بلاد فارس، انتقل إلى بغداد، كان يميل للزهد، لهذا أقبل على حلقات التصوف، تنقل في كثير من البلاد، كان يميل إلى الفكر الباطني، كانت له آراء وأفكار أثارت عليه الناس والعلماء، مما جعل العلماء يكفروه، ويأمر الخليفة بسجنه ثماني سنين، ازدادت فتنته فحكم عليه بالقتل، له مؤلفات متعددة وله ديوان شعر، خلط ما بين الفلسفة الباطنية والتصوف، وجهت لها اتهامات كثيرة . (موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا، 404/1) .

(4) نيتشه : فريدريك (1844-1900م)، فيلسوف ألماني، من رواد الفلسفة الفاشية، سيطرت على فكره ونظرياته الكراهية، يعتبر الصراع من أجل الوجود إرادة القوة، يقول بنظرية التطور الداروينية . (انظر : موسوعة أعلام الفلسفة، روني ليلي ألفا، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، 1992، ص512/2 ،

(5) مارتن هيدجر : (1889-1976م)، فيلسوف ألماني، يعد أباً للفلسفة الوجودية الإلحادية، تابعه سارتر في فلسفته وروج لها، تتلمذ على أيدي الآباء اليسوعيين، نال درجة الدكتوراة في الفلسفة اللاهوتية، عمل في التدريس الجامعي، له كثير من الكتب ذات الصلة بالفلسفة، انضم للحزب النازي . (انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا، 538/2 ، والموسوعة العربية الميسّرة، 1924/2) .

(6) جان بول سارتر : (1905-1980م)، فيلسوف فرنسي معاصر، ولد في باريس بفرنسا، تلقى تعليمه الثانوي والجامعي في نفس المدينة، تنقل بين كثير من البلاد، منح جائزة نوبل في الأدب فرفضها، اشتهر بالفلسفة الوجودية، وعمل على نشرها في العالم بأسره، وذلك من خلال مجموعة الكتب الكثيرة التي قام بنشرها، وترجمت إلى لغات عدة، منها اللغة العربية، رفض فكرة الدين، ودعا إلى الحرية المطلقة من أي قيود اجتماعية أو دينية، كان من المناصرين للكيان الصهيوني، يجمع له التبرعات ويدافع عن احتلاله للأرض الفلسطينية . (موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا، 531/1).

(7) رينيه ديكارت : (1596-1650م)، فيلسوف فرنسي، ولد في لاهاي ومات في ستوكهولم، تتلمذ على أيدي الآباء اليسوعيين، له كثير من المؤلفات تظهر فلسفته، إلا أن الملاحظة على فلسفته أنها فلسفة متناقضة، فهي ميتافيزيقية، وعلمية، ومثالية ومادية، وسيطية وحديثة، كل هذا في نفس الوقت، تشير أصابع الاتهام في أنه سرق منهجه في الشك (كتاب مقال في المنهج)، أنه سرقه من كتاب المنقذ من الضلال للإمام الغزالي، وهناك إشارات قوية على هذا الاتهام . (موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا، 451/1) .

(8) أرسطو طاليس : (384-322 ق.م)، فيلسوف إغريقي، تتلمذ على يد أستاذه أفلاطون، أسس مدرسة للفلسفة في أثينا سماها بالمدرسة المشائية، تنقل بين العديد من المدن الأوروبية في حينها، له مصنفات كثيرة في الفلسفة والسياسة والطبيعة وعلم الأحياء والمصنفات العلمية، اشتهرت فلسفته بالنزعة الواقعية خلافاً لأستاذه التي اشتهرت فلسفته بالمثالية . (موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا، 72/1) .

(9) أفلاطون : (428-348 ق.م)، فيلسوف إغريقي، ولد في جزيرة أجينا، وهو ينتسب لأسرة عريقة، تنقل في كثير من البلاد منها مصر، يعتبر من أعظم فلاسفة العصور القديمة، أسس أكاديمية لتربية وتعليم فلاسفة سياسيين، تعتبر كتبه من أعظم ما أنتج العقل البشري، فقد كتب مجموعة كبيرة من الكتب في السياسة والفلسفة

- روائع الأدب الغربي من مسرحيات وروايات مثل : روائع شكسبير [1]،
- وفيكتور هيجو [2]، واميل زولا [3] .
- دواوين الشعر العربي للمتنبي والمعري [4]، والحسن بن هاني (أبو نواس) [5]، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم .
- أعمال الأدب العربي مثل : توفيق الحكيم [6]، ونجيب محفوظ [7]، والمازني [8]،

والأخلاق والتربية، كان حرباً شرسة على السفسطائيين، استفاد الفلاسفة العرب من كتبه كثيراً، وقاموا بترجمتها وشرحها للعربية . (موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا، 97/1) .

[1] وليم شكسبير : (1564-1616م)، كاتب وشاعر إنجليزي، من أبرز الشخصيات في الأدب العالمي، عاش في عائلة مرموقة، ولد في مدينة ستراتفورد، انتقل في مقتبل عمره إلى لندن، وهناك ارتبط بالمسرح تمثيلاً وكتابة، اشتهر بالمسرحيات الغنائية والتاريخية والتراجيدية، ترجمت بعض أعماله إلى العربية، قيل أن أصوله عربية، وأن اسمه الشيخ زبير .(انظر : الموسوعة العربية الميسرة، 1107/2) .

[2] فيكتور هوجو : (1802-1885م)، شاعر وروائي وكاتب فرنسي، له مجموعة من المسرحيات والكتب ودواوين الشعر، جعلته من صغره من أشهر الكتاب في فرنسا، ترجمت رواياته إلى كثير من اللغات الحية، خصوصاً روائية البؤساء، شارك في الحركة السياسية لبلده، مما جعل السلطات الفرنسية تقوم بنفيه خارج البلاد، ثم عاد إليها معززاً، أثارت بعض كتبه جدلاً كبيراً بين النقاد في بلاد . (الموسوعة العربية الميسّرة، 1914/2) .

[3] اميل زولا : (1840-1902م)، روائي فرنسي، يدعو من خلال قصصه إلى الإصلاح الاجتماعي، يميل إلى الفكر الاشتراكي، يهاجم في مقالاته وكتبه رجال الكنيسة وخصوصاً المذهب الكاثوليكي، قامت معارك أدبية بينه وبين معارضيه، حكم على إثرها بالسجن إلا أنه فرّ هارباً إلى بريطانيا، وهناك وجد ميتاً مختنقاً . (انظر : الموسوعة العربية الميسّرة، 933/1) .

[4] المعري : أحمد بن عبد الله بن سليمان، أبو العلاء (363-449هـ)، شاعر عربي اشتهر بالحكمة والفلسفة، ولد في معرة النعمان، فقد بصره وهو في الرابعة عشرة من عمره، قال الشعر وهو صبي صغير، اشتهر بالحكمة والفلسفة، شدد على نفسه كثيراً في شؤون الحياة، أطلق عليه رهين المحبسين، حينما مات رثاه على قبره (84) شاعراً، جمع شعره في ديوان كبير، اتهم في عقيدته ورُمي بالالحاد، ترجم إلى عدة لغات أجنبية، له كتب أخرى غير الشعر، كتب عنه كثير من الكتب والدراسات . (الأعلام : الزركلي، 157/1، وسير أعلام النبلاء : الذهبي، 24/18).

[5] الحسن بن هانئ : أبو نواس، (146-198هـ)، شاعر عراقي ماجن، ولد في الأهواز، وعاش في بغداد، اتصل بالخلفاء من بني العباس، تنقل بين العراق والشام ومصر، مات ودفن في بغداد، اشتهر بالمجون، أجاد في جميع صنوف الشعر وخصوصاً المديح والغزل والخمريات، جمع شعره في أكثر من ديوان، كتب عنه القدماء والمحدثون كتباً ودراسات كثيرة . (الأعلام : الزركلي، 225/2) .

[6] حسين توفيق الحكيم (1898-1987م)، قاص وكاتب مسرحي مصري، ولد في الإسكندرية في أسرة ميسورة الحال، درس الحقوق وأثناء ذلك كان يعمل في المسرح، سافر إلى فرنسا لدراسة الدكتوراه في القانون لكنه آثر دراسة الأدب على القانون، عاد إلى مصر وتنقل بين عدة وظائف منها وكيل نيابة في الأرياف، زادت كتبه على السبعين كتاباً، ترجم الكثير منها لعدة لغات أجنبية، نال عدة جوائز، مات في القاهرة ودفن بالإسكندرية .(موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد السحار، 206/1) .

[7] نجيب محفوظ : (1911- 2006)، أديب وروائي مصري، ولد في القاهرة ونشأ فيها (القاهرة القديمة)، تلقى تعليمه في مدارس القاهرة، وظهر نبوغه أثناء دراسته الثانوية، درس الفلسفة في الجامعة المصرية، حينها بدأ يكتب المقالات الأدبية والاجتماعية، صدرت أول كتبه أثناء دراسته في الجامعة، أسس عام 1943م مع عبد الحميد وسعيد جودة السحار لجنة النشر الجامعية، التي كان لها دور كبير في نشر إنتاج وإبداع الشباب من الكتاب، كتب الكثير من القصص والروايات التي أخذت طابعاً اجتماعياً، يوجد في قصصه شطط كثير، ومخالفات عقدية وشرعية، نال جائزة نوبل للأدب، غير جوائز محلية كثيرة . (موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد السحار، 266/1) .

[8] المازني : إبراهيم عبد القادر (1889-1949م)، أديب وصحفي مصري، ولد في القاهرة ومات فيها، قرأ الأدب العربي والأدب الغربي، نظم الشعر منذ صغره، وله ديوان كبير من مجلدين، علم في سلك التعليم، غلب

وجبران[1].

- خلاصة الفكر الغربي في المجالات الفلسفية والعلمية، خاصة ما يتصل بالفلك وعالم الحيوانات والحشرات وغرائب البحار وأحدث مكتشفات الطب .

بهذا "استطاع مصطفى محمود أن يهضم كل هذه القراءات على اختلاف ألوانها وتباين موضوعاتها، وأن يبتكر أسلوباً جديداً جمع بين البلاغة العربية والبساطة العصرية، فاستطاع أن يُعبر عن عصره وزمانه، واستطاع أيضاً أن يكون قريباً من قلوب الشباب وعقولهم، فتمكن من أن يكون كاتب الشيوخ والشباب والمثقفين والبسطاء، لأنه طوّع فكره وأسلوبه ليساير عصره وزمانه"[2]

من هنا "كانت ثقافة مصطفى محمود المتنوعة في شتى معارف العصر وعلومه وثقافاته بجانب دراسته العميقة لتراثنا العربي والإسلامي الروحي والصوفي والأدبي، فضلاً عن تأمله العميق في ملكوت الله والتعمق في قراءة القرآن الكريم والنفوذ إلى مدلولاته وإشاراته وأسراره وقراءة الأحاديث النبوية بتعمق وإحاطة، كل هذا صنع ثقافة مصطفى محمود التي استطاع بها أن يُقدم لنا تراثه الأدبي والفكري الباقي الذي جسّد فيه رحلته الأدبية والفكرية على مدى أكثر من نصف قرن من الزمان كان فيها الكاتب والأديب والمفكر والباحث والرحالة"[3] .

لهذا لا عجب أن ينجح هذا الرجل أكثر من غيره في توصيل صوته للناس جميعاً على حد سواء.

ثانياً . عقيدة مصطفى محمود :

كان للأب أكبر الأثر في تكوين عقيدة أستاذنا، فهو يذكر أن أباه كان رجلاً بسيطاً قلبه عامر بالإيمان العميق، وحب الله، والحب الفطري للخير والرحمة والتسليم والتفويض والرضا، ونشأ أستاذنا في كنف هذا الوالد الذي كان يتخلق بأخلاق الأولياء، معتمداً على الله، آخذاً بالأسباب، لم يسلك والده طريقة صوفية على يد شيخ؛ لكنه كان رمزاً وصورة حية للولاية الكاملة،

عليه طابع الحزن، له عدة كتب ما بين قصص وروايات وأبحاث ومقالات، تميز بأسلوب خاص به من خلال دقة التعبير وواقعيته . (الموسوعة العربية الميسرة : محمد شفيق غربال، دار الشعب، 1621/2) .

(1) جبران خليل ميخائيل سعد : (1883-1931م)، كاتب مهجري، نبغ بين الكتاب المعاصرين، أصله من دمشق، تنقل بين الشام ولبنان وباريس، ثم استقر في أمريكا، عمل رساماً ومصوراً، له عدة كتب حازت شهرة كبيرة، كتب بالعربية والإنجليزية، لما مات نقل جثمانه إلى مسقط رأسه ودفن فيه . (الأعلام : الزركلي ، 110/2) .

(2) مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص17 .

(3) المصدر السابق : ص17 .

لقد سرت الأنفاس المباركة لهذا الرجل الصالح في ولده وانطوت في باطنه حتى أذن الله لها بالظهور[1] .

وكون مصطفى محمود شريفاً ينتسب إلى أهل البيت جعله أقرب للتصوف من غيره من الاتجاهات، فهو ينتسب إلى الطريقة النقشبندية والتزم بالذكر القلبي حتى آخر أيامه، وهو يقول عن نفسه "أنا لست من السالكين، فسلوكي قليل، وأكثر معارفي مصدرها القراءة في التصوف"[2].

وكان انتساب مصطفى محمود للطريقة النقشبندية حينما كان في رحلة للحج عام 1966م، وفي مكة المكرمة التقى بالشيخ محمد متولي الشعراوي وقد التقيا بالشيخ النقشبدني وأخذا منه العهد . وهو يقول " إنها تناسبني لأن مدارها على الذكر القلبي وأورادها وأحزابها قليلة تتناسب مع مشاغله الكثيرة، وقد استمرت علاقته بالشيخ النقشبندي ست سنين "[3] .

وقد تأثر أستاذنا كثيراً بالشيخ النفري، وابن عربي، وابن عطاء الله السكندري[4]، والإمام الغزالي .

والتصوف بالنسبة لمصطفى محمود كما يقول "هو مشربي، إلا أنه لا يضع نفسه في عِداد الصوفية وليس من رجال التصوف، لأنه لم يصل إلى الكمال النفسي الذي يصل إليه السالك، ولا يمتلك الكمالات القلبية والروحية التي يصل إليها العارفون بالله .

إنه مجرد محب للتصوف والصوفية وقارئ لمؤلفات العارفين بالله " أنا عاشق للتصوف وليس أكثر من ذلك".[5]

ومصطفى محمود كالشيخ الشعراوي ينهج منهجاً يميل إلى الاعتماد على الأدلة الشرعية التي تعتمد على العقل في الإقناع، وخصوصاً فيما يتعلق بقضايا عقائدية كالإيمان بوجود الله تعالى والبرهنة على وحدانيته عز وجل .

وهو في أساس عقيدته سُني أشعري كالكثير من أهل مصر، ولم نلحظ على كتاباته النزعة الضيقة للخلافات بين الفرق الإسلامية، وصوفيته تميل إلى العمل والزهد والخوف من الله

---

(1) انظر : مصطفى محمود والتصوف : أحمد الجزار، 70-73 .

(2) المصدر السابق : ص74 .

(3) المصدر السابق : ص19

(4) ابن عطاء الله السكندري : أحمد بن محمد بن عبد الكريم، فقيه مالكي وصوفي شاذلي الطريقة، ولد في الإسكندرية (658-709هـ) توفي في القاهرة، له كثير من الكتب المعتمدة عند المتصوفة منها : الحكم العطائية، والمعاني الحسنة، والتنوير ومفتاح الفلاح،(موسوعة أعلام الفكر الإسلامي : 720).

(5) المصدر السابق: ص35

وتقديم العون والخير للناس، ومشروعاته الخيرية أكبر شاهد على ذلك، فهو لا يميل إلى الصراعات الفكرية والعقائدية .

المبحث الثاني

عصر الدكتور مصطفى محمود

ويشتمل على ثلاثة مطالب كما يلي :

المطلب الأول : الحياة الدينية والاجتماعية .

المطلب الثاني : الحياة السياسية .

المطلب الثالث : الحياة الثقافية والعلمية .

كما هو معلوم من تاريخ ميلاد مصطفى محمود، هو يُعتبر من رجالات القرن العشرين، هذا القرن الذي اضطربت فيه الأمور كثيراً في شتى مناحي الحياة، عسكرية وسياسية وفكرية ودينية وحزبية، فقد شهد هذا القرن حربين عالميتين، وشهد ظهور كثير من الأفكار، والنظريات والفلسفات وشهد قيام الكثير من الأحزاب، وشهد قيام ثورات عمت أغلب بلاد المعمورة، وشهد أيضاً ثورة علمية خطيرة، وبلا شك فإن كل هذه الأحداث الإيجابية والسلبية كانت ذات أثر كبير على مصطفى محمود، الإنسان والمفكر، وسوف أتناول في هذا المبحث العصر الذي عاشه أستاذنا من عدة نواحي .

المطلب الأول

الحياة الدينية والاجتماعية

الإنسان ابن بيئته :

من أقوى المؤثرات في بناء الشخصية، عاملا الدين والظروف الاجتماعية، ونادراً أن نجد أحداً من الشخصيات الاعتبارية لم يتأثر بهذين العاملين تأثراً ظاهيراً أو تأثراً خفياً، لهذا كلما كان هناك انسجام وتوافق بين قيم الدين والعقيدة من ناحية، وبين ظروف المجتمع وحياته من ناحية أخرى، كان ذلك أدعى للطمأنينة والإبداع والحياة الكريمة .

لهذا لا غرابة أن يكون النص الشريف مركزاً على هذه العلاقة : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾، (سورة الحجرات : آية 13)، والإسلام يحرص حرصاً شديداً على أن الدين هو الموجه للقيم الاجتماعية ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾، ومع عدم التعارض مع هذه القيم الاجتماعية ﴿**وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾ .

إن الناظر للحياة الاجتماعية للمجتمع المصري خلال القرن العشرين يجد أنها توزعت إلى قسمين :

القسم الأول : الحكم الإقطاعي، حيث سيطرة الملك على مقدرات البلد، فهم الذين يمثلون الصفوة في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والفكرية، وحال بقية المجتمع متوزع ما بين الفقر والجهل والمرض، لهذا كانت حياة الغالبية من الفلاحين لا تختلف عن حياة العبيد، ليس لهم أي حقوق إنسانية أو مالية، ولم يكن لهم الحق في الممارسة السياسية إلا في أضيق نطاق، وقد "وضعت العقبات في وجه الطبقات الضعيفة من العمال والفلاحين لمنعهم من المشاركة السياسية، وذلك من خلال الشروط التي تقررت فيمن يحق له الترشح للبرلمان، بحيث أُشترط

على المرشح أن يدفع مبلغاً كبيراً من المال عند الترشح حتى لا يستطيع أحد الوصول إلى البرلمان من غير طبقة الإقطاعيين والرأسماليين، هذا غير تزييف نتائج الانتخابات حتى لا يصل للبرلمان إلا من يرغبون، ولم يكن مسموحاً أن يتولى المناصب العليا في الدولة إلا من هو صاحب نفوذ مالي أو اجتماعي، لهذا كانت الحياة السياسية في ناحية والمجتمع المصري في ناحية أخرى"[1] .

وبالتالي لا بد وأن "ينتج عن هذا الفساد السياسي والحكومي كثير من المظالم، أثرت على بيئة المجتمع المصري في أن ظهرت قوى اجتماعية استغلت هذا الخلل لصالح مصالحها، فتحالفت مع طبقة الإقطاعيين، ومع الاستعمار الإنجليزي، وبالتالي سلبت الشعب حقوقه المالية ولم تول التعليم والصحة الاهتمام الواجب"[2] .

وفي الجانب الآخر؛ "فلا شك أن للاحتلال الإنجليزي دوراً كبيراً في الوضع الاجتماعي للشعب المصري، وذلك من خلال فرض حالات التعايش والاندماج مع الثقافة الغربية، كل ذلك من خلال المتغربين الذين أغرتهم حياة الغرب ومظاهرها الخادعة، الانتهال من ثقافة الغرب المتحررة، كل هذا من خلال الجرائد والمجلات والكتب الرخيصة وترجمة القصص والروايات الغربية، وتقديمها للمواطن العربي بسعر زهيد"[3] .

وكانت هناك ظروف ساعدت على ذلك؛ "لقد استغل الغرب ما فيه العرب من حالات فقر وجهل ومرض، وبالتالي بدأوا بعرض النموذج الغربي الجميل المغري، وكان أبناء الطبقة الراقية من الإقطاعيين والرأسماليين هم أول المتعلق بالنموذج الغربي، والذي سار من خلفهم الكثير من شرائح المجتمع المصري، وفي مقدمتهم الجمعيات النسائية المطالبة بالتغيير والانقضاض على تعاليم الشريعة الإسلامية، لهذا كان من الشعارات التي دعا إليها الغرب وصدقتها المرأة العربية، شعار تحرير المرأة، وهو شعار يقصدون من ورائه اجتذاب المرأة العربية المسلمة، ثم استخدامها سلاحاً في معركتهم ضد الإسلام"[4] .

ومع تطور الحياة في منتصف القرن العشرين، بدأت تظهر أحزاب ومنظمات عمالية وحقوقية من أجل العمل على تحسين حياة الفلاحين والدفاع عن حقوقهم، وكذلك عن فئة العمال، وكان موقف السلطة الحاكمة مواجهة هؤلاء الأشخاص بالتخوين والاعتقال، أو الطرد من العمل والفصل من الوظائف .

---

(1) انظر : نضال شعب مصر : محمد عبد الرحمن حسين، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص303 .
(2) تاريخ الحركة الوطنية : مصطفى رمضان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص439 .
(3) انظر : موسوعة التاريخ الإسلامي : أحمد شلبي، دار النهضة المصرية، 1986م، ص341/9 .
(4) انظر : حاضر العالم الإسلامي : صالح الرقب، مطبعة الرنتيسي، غزة، 1998، الأولى، ص 113 .

استمر ذلك حتى قيام ثورة 1952م، والتي عملت على تحسين حياة الفلاحين من خلال قوانين تضمن لهم حقوقهم ومن ذلك العمل على إنشاء نقابات عمالية تدافع عن حقوق العمال، والسماح للعمال والفلاحين بدخول المجالس النيابية[1] .

القسم الثاني : سيطرة العسكر على حكم البلاد، وتجيير مقدرات الدولة لمصالحهم الخاصة، وكأن الذي تغير في البلاد هو صورة الحاكم، فبدل أن كان ملكاً، أصبح ضابطاً عسكرياً، لهذا حدث الصدام بين رجالات الثورة وبين الدكتور مصطفى محمود الذي وصف حال المجتمع المصري حينها بقوله : "كانت حركة الضباط الأحرار في عام 1952م، والتي رحبتُ بها كثيراً لأنها تمثل تمرد الجيش والشعب على النظام الملكي الفاسد، فكان التمرد على الواقع هو ما يلفت انتباهي دائماً، ولكن خذلتنا الثورة بعد ذلك، فقد حررت الدولة المصرية لاستعباد الشعب المصري"[2] .

أما عن الحياة الدينية فمن الأمور المعروفة بداهة أن الإسلام جاء لنشر العدل والرحمة والأمن، وتقدم الإنسان ورقيه، وشرّعت القوانين التي تحفظ عليه ضروراته الخمس، عقله وماله ودينه ونسله وعرضه، وانتشر الإسلام في ربوع المعمورة ومن ضمنها مصر المحروسة، آمن شعبها بهذا الدين، وخرج من بينهم أعظم العلماء وعلى مدار التاريخ الإسلامي، إلا أن أعداء الإسلام لا يعجبهم ذلك فبدأوا يعملون على تشويه الإسلام، ونشر الأحزاب الإلحادية والمادية، ونشر الثقافة الغربية الفاسدة من خلال الجرائد والمجلات والأفلام وغيرها من جمعيات مشبوهة[3] .

كذلك لا ننسى الطرق الصوفية المنتشرة في كل ربوع المجتمع المصري. أيضاً لعبت الجامعات الحديثة كالجامعة المصرية (القاهرة)، وجامعة فؤاد الأول (عين شمس)، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، دوراً خطيراً في نشر فكرة الصراع ما بين الدين والعلم، وعدم توافق الدين لتطور الحياة وعصر العلم[4] .

خصوصاً أن القائمين على التدريس في هذه الجامعات كانوا إما مستشرقين أو تلاميذهم.

وظهرت أقلام كثيرة حملت على عاتقها التزييف والتشكيك، أمثال طه حسين وسلامة موسى، إلى لطفي السيد، والمئات من أقلام الصحفيين المأجورين[5] .

---

(1) انظر : مصر في القرن 21 : أسامة الباز، مؤسسة الأهرام، القاهرة، الأولى، 1996م، ص213 .
(2) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الرابعة .
(3) انظر : المؤامرة على الإسلام : أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ص260 .
(4) انظر : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي : محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، 1976م، الأولى، ص390 .
(5) انظر : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 290/2 .

الصدام بين السلطة والإخوان المسلمين :

في هذه الأثناء ظهرت جماعة الإخوان المسلمين بقيادة مرشدها الأستاذ حسن البنا، والتي تحمل فكراً مستنيراً، ورؤية سليمة وعقيدة وسطاً، أخذت على نفسها إصلاح حياة المجتمع المصري وإعادته إلى قيمه الأصيلة، ومكانته الراقية، فكان الاصطدام مع السلطة الحاكمة زمن الملك، ومقتل المرشد العام (1948)، ومن بعدها في زمن ثورة الضباط الأحرار عامي 54 و65م، وإعدام خيرة أبناء مصر وعلمائها ودخول البقية الباقية منهم في السجون، وعملية التشويه والتزوير التي قامت بها السلطة في حينها ضد الجماعة[1] .

عاش مصطفى محمود زمناً طويلاً تراجع فيه العمل الإسلامي من حياة المجتمع، وأصبح الدين فقط هو مجموعة من العبادات والطقوس يقوم بها البعض في المسجد دون أن يكون لها قيمة أو تأثير في حياة المجتمع، وذلك من أثر انتشار الأفكار الحديثة والتيارات الفكرية الوافدة، كالوجودية والماركسية والفلسفات الغربية المتعددة، وأصبح عالِم الدين (الشيخ) سخرية من قبل المثقفين، وأبناء الطبقات الراقية، ولا يتوجه لدراسة الدين إلا الفئة الفقيرة أو أصحاب العاهات الخاصة والجهلة من الطلاب[2] .

ولقد بالغت المناهج الدراسية وخصوصاً في الجامعات والمعاهد العليا من أهمية كل من اللغة الإنجليزية، والضجيج الهائل الذي أحدثته الثورة البلشفية سنة 1917م، ويضاف إليها الفكر الفرنسي والأدب الفرنسي المتحرر. فعلت هذه جميعها الأفاعيل في تراجع المد الديني[3].

حال مصر الثقافية :

ولقد سادت مصر في تلك الحقبة من أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين موجات من الفكر المتمرد والساقط نتيجة التأثر بالمذاهب والتيارات الفكرية الوافدة من وجودية وشيوعية واللامنتمي، فتأثر بها مصطفى محمود كغيره من أبناء هذه الحقبة، وتفاعل مع ذلك مع تساؤلاته وحيرته في هذه السن المبكرة، فنشر كتابه الأول المثير للجدل **(الله والإنسان)**، والذي عكس حيرته وشكه وتمرده كشاب يريد أن يثبت وجوده كمفكر حر حسب اعتقاده في تلك المرحلة من حياته[4] .

---

(1) انظر : مصر في القرن الواحد والعشرين : أسامة الباز، ص159، وانظر : في الزنزانة : علي جريشه، دار الاعتصام، القاهرة، 1977م، الأولى، 136 .

(2) انظر : الاتجاهات الوطنية : محمد حسين، ص455/1 .

(3) انظر : اتجاهات الرواية العربية : شفيع السيد، دار الفكر العربي، القاهرة، الثالثة، 1996م، ص564 .

(4) انظر : مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص9 .

لقد تـأثر مصـطفى محمـود بالتيـارات الفكريـة فـي زمانــه، فكـان نتائجهـا كمـا ذكرنـا كتابـه **(الله والإنسان)** .

كانت نهاية المطاف بالدكتور مصطفى محمود أن وصل إلى شاطئ الأمان بعد الرحلة الطويلة التي قطعها متنقلاً بين المذاهب الفكرية والفلسفية، حيناً مع الفلسفة الوجودية، وحيناً مع الفكر الاشتراكي الماركسي، وحيناً مع الشك والحيرة، وقد عاش مصطفى محمود سقوط المذاهب الفكرية والمشاريع الأيديولوجية الدخيلة على عالمنا العربي والإسلامي .

ويتحدث مصطفى محمود نفسه قائلاً : "في عنفوان شبابي كان تيار المادية هو السائد، وكان المثقفون يرفضون الغيبيات، فكان من الطبيعي أن أتأثر بمن حولي"[(1)] .

ويذكر في موضع آخر : "بدأت بيني وبين نفسي حواراً طويلاً، وقرأت كل ما كُتب في الفلسفة وعلم النفس، بدءاً من سقراط إلى أفلاطون وأرسطو وهيجل، انتهاءً بكارل ماركس، ووليم جيمس[(2)]، وتعمقت في قراءة الأديان، من أول الفيدات الهندية والبوذية[(3)]، والزرادشتية[(4)]، وأخذ ذلك مجالاً طويلاً في رحلة طويلة بيني وبين الأربعة جدران انتهت بشاطئ الإيمان، أحسست بعدها في النهاية أن القرآن الكريم جامع مانع، تناول كل شيء في هذا الوجود، ويعطي الإجابات النهائية لكل المسائل والقضايا التي كانت تحيرني وتشغل عقلي، وليس هذا فقط، ولكن القرآن يضم في عباءته كل الأديان والفلسفات وخلاصتها"[(5)] .

ومن هنا نجد أن أستاذنا قد ظهرت له الحقيقة، فوقف في وجه كل من انحرف به القلم عن جادة الصواب، انتقد وبشدة توفيق الحكيم، وطه حسين، وإحسان عبد القدوس، ويوسف إدريس، وصلاح عبد الصبور، ونجيب محفوظ وغيرهم، وهؤلاء كانوا من المقربين إليه، ومن أخلص أصدقائه، لكن الحق مقدم عنده على الصحبة والأخوة .

---

(1) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة 19 .

(2) وليم جيمس : (1842-1910م)، طبيب وفيلسوف أمريكي، من أشهر علماء النفس المعاصرين، وهو من دعاة الفلسفة البراجماتية (النفعية)، له تأثير كبير على الفكر الغربي وخصوصاً فيما يتعلق بعلم النفس الديني والصوفي، وتأثر به كثير من الدارسين العرب ، وبالتالي ترجمت بعض أعماله للغة العربية . (الموسوعة العربية الميسرة ، 682/1، وانظر : وليم جيمس رائد المذهب البرغماتي : كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية،1993).

(3) البوذية : ديانة أرضية شرقية، تنسب إلى بوذا، مذهب فلسفي روحاني، وهي من الديانات غير السماوية الشهيرة في الهند وما يجاورها، تأسس نحو عام 560-480 ق.م، تقول بتناسخ الأرواح، تعتمد على القيم الأخلاقية، والسلوك الفاضل . (انظر : موسوعة الفرق والأديان : دربالة - ص199) .

(4) الزرادشتية : ديانة أرضية شرقية تنسب لمؤسسها زرادشت، وهي من الديانات الهندية القديمة والإيرانية، تأسست نحو عام 3000 ق.م، وهم يدعون أن زرادشت من الأنبياء، وهم من عبدة النار. (انظر : موسوعة الفرق والأديان : دربالة - موسوعة الفرق والأديان – ص 201).

(5) المصدر السابق : الحلقة 19 .

قال إن توفيق الحكيم أنكر الشهادتين وقال أن إرادة الإنسان تعادل إرادة الله، ذكر ذلك في كتابه **(التعادلية)** .

وانتقد طه حسين وقال إنه تأثر بأفكار المستشرقين، وخصوصاً اليهود منهم، وأنه أخضع القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي لمنهج الشك الديكارتي، منكراً بذلك قصة إسماعيل عليه السلام .

وعن نجيب محفوظ قال : "لقد جعل نجيب محفوظ الله أباً له أولاد وزوجة، هذا غير الإباحية المفرطة في أعماله، والعبثية المبثوثة في أغلب رواياته .

وعن إحسان عبد القدوس قال إنه استبعد الدين تماماً في أعماله الأدبية، فهو متأثر بالفكر الوجودي والنظرة الفرويدية، فأدبه هو الأدب المكشوف المتناغم مع الفكر العلماني الاشتراكي الوجودي، هاجم الحجاب وجعل الحب فوق الحلال والحرام[1] .

---

[1] انظر : الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة 22 .

المطلب الثاني

الحياة السياسية

تُعتبر مصر قلب العالم، وسُرة الشرق، فهي ملتقى القارات، ومهد الحضارات، عَرف إنسانها الحضارة والبناء والإنشاء قبل غيره من بني الإنسان، لهذا كانت مطمع كل طامع، ومقصِد كل عالم، بسط الله أرضها وأجرى فيها النيل لتكون هذه البلاد سخاءً ورخاءً، حكمها أسر وإمبراطوريات وملوك وأساطين وخلفاء وأمراء ورؤساء، عرفت من أنواع الحكم ما لم تعرفه بقعة أخرى من الأرض ولا شعب آخر من الشعوب، عرفت من التسلط والظلم أشكالاً وأنواعاً، وما نعمت بحياة كريمة إلا في ظل الإسلام الذي أقام دولته على مبادئ العدل والرحمة والمساواة[1] .

يقول جمال حمدان[2] : "في قضية التركيب الاجتماعي السياسي ونظام الحكم والسلطة، التغيير الجوهري في الشكل، أما الجوهر فلم يكد يتغير، وهذا الجوهر هو الطغيان الشرقي، الطغيان الفرعوني، بكل أعمدته التقليدية فهو الخلط المستمر والقاسم المشترك الأعظم الذي يجري خلال تاريخ مصر، من مينا[3] حتى اليوم، المتغير الوحيد هو الشكل : ملكية أو جمهورية، وراثية أو انتخابية، مدنية أو عسكرية، وذلك بحسب الظرف أو العصر .

فقديماً كان الفلاحون عبيد فرعون، ثم عبيد السلطان، وحديثاً فإذا لم نكن قد صرنا حقاً أو نوعاً عبيد الرئيس فنحن يقيناً ما زلنا بين فراعنة وفلاحين، ورعايا لا مواطنين، وما زال الاستقطاب الطبقي الجوهري هو بين الحاكم والمحكوم"[4] .

هذه هي الحقيقة المؤلمة في التاريخ السياسي لمصر، وللمشرق والمغرب العربي على حد سواء .

الاحتلال الفرنسي لمصر :

احتل الفرنسيون مصر عام 1798م، واستمر احتلالهم لها ثلاث سنوات؛ ومع قصر مدة احتلالها إلا أنها أحدثت تأثيراً كبيراً في الحياة السياسية المصرية، استقلت بعدها مصر عن

---

[1] انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك : عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، 1407هـ، 291/4 .

[2] جمال محمود حمدان (1928– 1993)، عالم جغرافي مصري ولد في قرية (ناي) بمحافظة القليوبية، تخصص في دراسة الجغرافيا ونال فيها الدكتوراة، عمل أستاذاً في جامعة القاهرة، له عشرات المؤلفات منها (اليهود انتروبولوجيا) نفى من خلاله علاقة يهود اليوم بيهود الماضي، وأهم كتبه كتاب (شخصية مصر)، نال مجموعة من الجوائز من عدة دول ومؤسسات . (أنظر جمال حمدان : إسلام اون لاين) .

[3] الملك مينا : (3230ق.م)، فرعوني قديم، من الأسر المصرية المبكرة، ولد في مدينة طيبة، (الأقصر حالياً)، استطاع أن يُوحد بين المملكتين الشمالية والجنوبية عام (3200) لُقب بملك الأرضين، وصاحب التاجين. (ويكبيديا الموسوعة الحرة) .

[4] انظر : مختارات من شخصية مصر : عبد الحميد حمدان، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ص453 .

إطارها الإسلامي، **(الخلافة العثمانية)** [1]، وأقام محمد علي الدولة المصرية الحديثة، وتوارثها أبناؤه من بعده[2] .

الاحتلال البريطاني لمصر :

ثم جاء احتلال الإنجليز لمصر سنة 1882م، في خضم ما كانت تعانيه من ظلم واستعباد وجهل وفقر ومرض، واستبد الإنجليز بالحكم بعد أن سيطروا على مفاصل البلاد ومرافقها، حيث أصبح المعتمد البريطاني هو حاكم مصر الحقيقي وهو المشرّع للقانون فيها، ومنه تستمد السلطات، والحكومة الصورية هي المنفذة، وبالتالي استأثر الإنجليز بغالبية المناصب العليا في البلاد، السياسية والعسكرية على حد سواء، وفرضوا قوانينهم على الشعب المصري، فقيّدوا الحريات، ووضعوا الأحرار في السجون والمعتقلات، وأحكموا سيطرتهم على أغلب دور الصحافة والإعلام[3] .

تتابع الأحداث :

وجاءت الحرب العالمية الأولى، ففرضت على الشعب المصري ظروفاً جديدة قيدت من حركتها الوطنية، وجعلت من الجيش البريطاني وصياً على جميع الأراضي المصرية، وزادت من قيودها على الصحافة والإعلام، فكانت ثورة 1919م[4]، مما اضطر الإنجليز إلى الاعتراف بأن مصر دولة ذات سيادة مستقلّة[5] .

في هذه الأثناء بدأ صراع الفلسطينيين مع الصهاينة يبرز، وهذا ألقى بثقله على السياسة المصرية والمجتمع المصري، وهم الأقرب إلى فلسطين، فتحرّكت قوافل المجاهدين من الإخوان المسلمين وغيرهم لمناصرة إخوانهم الفلسطينيين، وكان التفاف الحكومة العميلة في مصر حينها، حينما أرسلت الجيش المصري الذي لا يملك عدة ولا عتاداً، والذي كان عقبة في وجه المجاهدين مع ما كان فيه من أحرار وشرفاء، ثم كانت ثورة يوليو 1952م، وكان للإخوان المسلمين دورٌ بارزٌ في قيامها، وما نتج عن هذه الثورة من صراعات بين القوى المشاركة فيها، إلى أن انتهى

---

[1] الخلافة العثمانية : أسسها عثمان الأول سنة 1299م واستمرت حتى سنة 1923، استمرت (600) سنة، شملت أراضيها القارات الثلاثة، بلغت أوج قوتها زمن السلطان سليم الأول، اتخذت من القسطنطينية عاصمة لها، كان من سلاطينها السلطان عبد الحميد الذي لم يفرط بفلسطين لليهود .(تاريخ الدولة الإسلامية ـ السيد دحلان ـ مكتبة الإيمان ـ القاهرة ـ الأولى ـ 2000 ـ ص 123) .

[2] انظر : مصر المجاهدة في العصر الحديث : عبد الرحمن الرافعي، الهيئة العامة، 1959م .

[3] انظر : نضال شعب مصر : محمد عبد الرحمن حسين، ص76 .

[4] ثورة 1919 ـ ثورة مصرية سياسية، بدايتها تأليف وفد برئاسة سعد زغلول للمطالبة باستقلال مصر عن بريطانيا، رفض البريطانيون ذلك واعتقلوا سعد زغلول مع زملائه ونفوهم إلى مالطا، فأضرب الموظفون وقام الشعب بالتظاهر وامتدت إلى كل مدن مصر، وكان نتيجتها اعتراف بريطانيا عام 1922 باستقلال مصر. (انظر الموسوعة العربية ـ 1/ 583) .

[5] انظر : المصدر السابق : ص80 .

أمرها إلى استفراد جمال عبد الناصر بالسلطة المطلقة والقضاء على المعارضين من عسكر وأحزاب وجماعات[1] .

عاش مصطفى محمود كل هذه الأحداث، الاحتلال الإنجليزي، وقيام الأحزاب المصرية، وقيام ثورة 13يوليو 1952م، وشارك في المعترك الاجتماعي والسياسي من خلال المقالات والقصص التي كان ينشرها في الصحف والمجلات، حتى جاءت مرحلة المواجهة مع سلطة الثورة ومع قائدها عبد الناصر شخصياً .

خلاف مصطفى محمود مع ثورة يوليو :

يقول مصطفى محمود : "ولكن هذه كانت طبيعة الظروف والأحوال في عهد الديكتاتورية التي مرت بها مصر، عهد تحرير المصريين لاستعبادهم، هذا بكل بساطة وصفي ورؤيتي لعهد جمال عبد الناصر "[2] .

أمر عبد الناصر بمنع مصطفى محمود من الكتابة كما أبلغه بذلك إحسان عبد القدوس، وأمر أن يجلس في بيته دون القيام بأي عمل، "وطالت فترة حجبي ومنعي من الكتابة حتى أنها وصلت إلى عام كامل من العزلة في منفاي"[3] .

وكان سبب الخلاف مع عبد الناصر مقالين نشرهما مصطفى محمود هما : **(سقوط اليسار)**، و**(الخروج من مستنقع الاشتراكية)** .

لقد عاشت مصر في فترة حكم جمال عبد الناصر سنين عجاف مرت على الشعب المصري، ظلم وديكتاتورية وتسلط، حتى أنه انقلب على رفاقه في الثورة، فلم يبق معه إلا قلة قليلة، والبقية إما في المنفى أو السجن أو قتل أو اعتزل العمل السياسي، وكانت آخر خلافاته مع كمال الدين حسين[4]، عضو قيادة الضباط الأحرار، وكان الخلاف والصدام بينهما على إثر اعتقال الإخوان المسلمين عام 1956م، فلم يكن من عبد الناصر إلا وأمر بإلقاء القبض على

---

[1] انظر : مصر قبل جمال عبد الناصر : عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، الأولى، 1986م، ص41 .
[2] الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الخامسة .
[3] المصدر السابق : الحلقة الخامسة .
[4] كمال الدين حسين : (1921-1999م)، سياسي مصري، من الضباط الأحرار لثورة 1952م، تخرج من الكلية الحربية، عمل وزيراً للتعليم، ثم وزيراً للإدارات المحلية، ثم نائباً لرئيس الجمهورية، اختلف مع عبد الناصر، فصدر قرار بتحديد إقامته في إحدى استراحات الهرم، عاد للحياة السياسية في عهد السادات، وقف مع ياسر عرفات أثناء حصار بيروت . (ويكيبيديا - الموسوعة الحرة).

كمال الدين حسين وجميع أفراد عائلته وأودعهم أحد المعتقلات في منطقة الهرم، كان نتيجتها وفاة زوجة كمال الدين حسين لعدم تلقيها الرعاية الطبية التي تحتاج إليها[1] .

اضطراب لا استقرار :

ويصف مصطفى محمود هذه الفترة الزمنية قائلاً: "أي مشتغل بالكتابة في بلادنا يعلم كم كانت حرفة القلم في الستينات والسبعينات من هذا القرن أشبه بالملاحة المخيفة في بحار الأخطار ما بين مدّ وجزر، ارتفع فيها الموج وابتلع الكثيرين، ما بين مدّ ماركسي وفكر مادي أغرق المنطقة العربية في غزوة شرسة، أحدثت الانقلابات والثورات وغيرت التراكيب الاجتماعية، وغمرت السوق الثقافية بموجات من الفن اليساري وفتحت بوابة البحار الدافئة للأسلحة السوفيتية والخبراء السوفيت والسياسة السوفيتية، التي دخلت بدعوى إنقاذنا من العدوان الإسرائيلي والمعاونة على تحرير فلسطين، (وهي الدعوى التي اتضح كذبها وزيفها في هزيمة 1967 وما بعدها) .

وما بين جزر سياسي صاحبه جزر ديني سلفي متطرف جذب السفينة الثقافية بشدة وعنف إلى أقصى اليمين، وأخذت انقلابات مضادة أدت إلى طرد الخبراء السوفيت وإخراج روسيا من اللعبة وتعديل المسار الاقتصادي ورفع راية الانفتاح والحرية الفردية، والاتجاه إلى أمريكا بدعوى أنها تمتلك جميع أوراق اللعبة، وأنها تملك الضغط على إسرائيل لحل المشكلة الفلسطينية، (وهي الدعوى التي اتضح كذبها في العجز الأمريكي أمام الغزو الإسرائيلي للبنان وعودة فرقة المارينز[2] وإقلاع الأسطول السادس راجعاً إلى بلاده) .

وفي خلال هذه الملاحة الصعبة التي تمزق فيها الشراع أكثر من مرة، واضطربت فيها الموازين الثقافية وتلاطمت التيارات المادية الماركسية العارمة مع التيارات الإسلامية العنيفة، واختلطت الرؤية على الرائي لكثرة الضباب، ارتفعت الصيحات تهاجم الثقافة والمثقفين وتتباكى على تخلف النقد والإبداع، ونسي أصحاب هذه الصيحات الظالمة أنها كانت معجزة أن يحتفظ الكاتب برأسه في هذا الطوفان المتلاطم، مجرد أن يحتفظ برأسه كان معجزة في أمواج تحطمت فيها الدفة والمجاديف وهلكت سياسات واختفت زعامات وغرقت رؤوس لعماليق جبابرة كانوا يصنعون الأقدار ابتلعهم الموج وأصبحوا أثراً بعد عين".[3]

---

[1] انظر : باشوات وسوبر باشوات : حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الثانية، 1988م، ص315.

[2] فرقة المارينز: إحدى الفروع الأربعة للقوات المسلحة الأمريكية، تتبع القوات البحرية، قوامها (190) ألف جندي من خيرة الجنود الأمريكيين، لها مهام خاصة، وهم قادرون على العمل تحت أي ظرف من الظروف، داخل أمريكيا أو خارجها. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

[3] انظر : مصطفى محمود : وبدأ العد التنازلي، دار المعارف، القاهرة، الخامسة ، 2002، ص 75-76.

الانقضاض على الإخوان المسلمين :

بعدها تفرغ عبد الناصر لمواجهة الإخوان المسلمين، وكان ذلك على مرحلتين، مرحلة الخمسينيات، ومرحلة الستينيات، "كانت الاعتقالات والتعذيب والاضطهاد والسجون سمة هذا العهد كله، وقد شملت هذه المحن جميع الأحزاب والهيئات والجماعات وعدداً كبيراً من الأفراد، أما القلق والخوف والفزع فكان نصيب الناس جميعاً، وكان كل واحد يتوقع الشر لأوهى الأسباب، أو لسبب مختلق، أو بدون سبب"[(1)] .

كانت المواجهة الأولى بين عبد الناصر والإخوان المسلمين إثر حادثة المنشية في الإسكندرية، عام 1954م، فقد أُلقي القبض على آلاف الأشخاص المتهمين بالانتماء لجماعة الإخوان المسلمين، نالهم من التعذيب ما لا يعلم مداه إلا الله، تقدم للمحاكمة العسكرية قرابة (870) شخصاً، حكم بالإعدام على سبعة منهم، نُفذ الإعدام في ستة منهم وخُفف عن المرشد العام الأستاذ حسن الهضيبي[(2)]، وحُكم على الباقين أحكامٌ بالسجن متفاوتة؛ لكنها طويلة الأمد[(3)] .

وكانت المواجهة الثانية عام 1965م، وأُلقي القبض على المئات بحجة المؤامرة على عبد الناصر ومحاولة الضلوع في قتله، وكان على رأس هؤلاء المعتقلين سيد قطب[(4)] رحمه الله، وقدموه للمحاكمة العسكرية أمام القاضي العسكري الشهير في حينها(محمد الدجوي) [(5)]، فكان الإعدام لسيد قطب ومجموعة من رفاقه، وحُكم على المئات الآخرين أحكامٌ متفاوتة[(6)] .

"كانت المحاكمات أشبه ما تكون بتمثيلية صاخبة هزيلة في نصها، سخيفة في إخراجها، يشاهدها جمهور فقد كرامته وعزته، سلبها منه نظام خانق مقتدر على الإفساد داخل الأرض، ضعيف أمام العدو"[(7)] .

---

(1) انظر : أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الرابعة، 1989م، ص365.

(2) حسن الهضيبي : (1891-1973م) ، سياسي ومستشار مصري ، مرشد جماعة الإخوان المسلمين بعد مقتل حسن البنا ، ولد في شبين الكوم ، التحق بالأزهر ، انتقل بعدها لكلية الحقوق ، وتخرج منها ، عمل بالمحاماة ثم بالقضاء ، حتى أصبح مستشاراً ، انضم لجماعة الإخوان المسلمين في بداية الأربعينيات ، حكم عليه عام 1954م بالإعدام ، خفف للمؤبد . (انظر : : الأعلام-الزركلي، 225/2).

(3) المصدر السابق : ص380 .

(4) سيد قطب (1906- 1966م) ، مفكر إسلامي ، تخرج من دار المعلمين ، اشتغل في الصحافة ، ثم عين معلماً ، ارتقى في الوظائف الحكومية ، سافر إلى أمريكا ليكمل دراسة الماجستير ، عاد وانضم لحركة الإخوان المسلمين ، من أعظم كتاب القرن العشرين ، صاحب تفسير في ظلال القرآن ، له تأثير كبير فيمن جاء من بعده ، اختلفت حوله الآراء ، أعدم عام 1965م . (انظر : الأعلام-الزركلي، 147/3) .

(5) محمد فؤاد الدجوى : ضابط مصري، تخرج من الكلية الحربية، عمل في غزة، وقع في الأسر الإسرائيلي عام 1956م ، عاد إلى مصر وتولى المحكمة العسكرية لمحاكمة الإخوان المسلمين في 1965م ، وحكم بالإعدام على مجموعة منهم في مقدمتهم سيد قطب . (الموسوعة الحرة).

(6) المصدر السابق : ص686 .

(7) صفحات من تاريخ الإخوان : أحمد رائف، المختار الإسلامي، القاهرة، ص215 .

"بالقضاء على الإخوان المسلمين ووقف نشاطهم الرسمي قُضي على أكبر تجمع إسلامي في مصر، أكبر دولة إسلامية ناطقة بالعربية، وتوقفت إحدى الجرائد الإسلامية الكبرى،**(مجلة النذير)**، ومنذ ذلك الوقت ومصر كعبة الإسلام وقبلة المسلمين خالية من أي تجمع إسلامي كبير، لم تجد مصر حتى الآن جريدة إسلامية يومية تعبر عن أحد تياراتها الفكرية الأصيلة، كما لم تجد تجمعاً إسلامياً تجد فيه جماهير المسلمين تعبيراً عن نشاطها وتجميعاً لجهودها وتوثيقاً لأواصر الأخوة بينها، وكيف يوجد ذلك في خارج مصر وفي العالم الإسلامي غير الناطق بالعربية ولا يوجد في مصر بكل ثقلها وتاريخها[1]

ويذكر الصحفي موسى صبري و–هو مسيحي صليبي– : "أن كل الثقات يؤكدون أن قضية الإخوان التي أعدم فيها سيد قطب كانت من اختراع شمس بدران[2] وزبانية البوليس الحربي، وأنها مؤامرة وهمية، وأن التعذيب في هذه القضية هو قمة المأساة"[3] .

أثناء حكم عبد الناصر، خاض العرب حربين مع الكيان الصهيوني، حرب 1956م، وحرب 1967م، هزم العرب في كلتا الحربين شر هزيمة.

في الأولى احتلت إسرائيل غزة حتى قناة السويس، **وفي الثانية** احتلت إسرائيل سيناء والجولان وجنوب لبنان وباقي أراضي فلسطين .

ويذكر الدكتور أحمد شلبي في موسوعته التاريخية أن زمن عبد الناصر كان زمن الهزائم[4] .

- هزيمته في عام 1956م، ومقتل الآلاف من الجنود المصريين في سيناء .
- هزيمته في عام 1967م، ومقتل الآلاف من الجنود المصريين في سيناء وقطاع غزة واحتلال قناة السويس ومنع الملاحة الدولية في القناة وغيرها .
- تراجع على المستوى السياسي لمصر في العالم وخصوصاً أفريقيا .
- ربط مصر بالدول الشرقية الشيوعية المتأخرة .
- تدمير المقدّرات الصناعية والزراعية من خلال نظام التأميم .

---

[1] انظر : الناصرية في قفص الاتهام : عبد المتعال الجبري، دار الاعتصام، القاهرة، الأولى، 1979، ص 161.

[2] شمس بدران : (1929 م) وزير الحربية المصري، شارك في حرب فلسطين وحوصر في الفالوجا، شارك في ثورة يوليو 1952م، عمل مديراً لمكتب وزير الحربية ثم أصبح وزيراً للحربية، كان المسؤول عن التحقيق مع الإخوان المسلمين في سجون مصر، وقصته مع زينب الغزالي شهيرة، اعتقل زمن حكم أنور السادات ثم خرج منفياً إلى لندن ليختفي عن الأنظار ويعتزل العمل السياسي .

[3] وثائق 15 مايو : موسى صبري، أخبار اليوم، القاهرة، 1977، ص321 .

[4] انظر : موسوعة التاريخ الإسلامي : أحمد شلبي، 83/13 .

في نهاية المطاف حينما لم يعد عبد الناصر مفيداً لأصحاب المصالح الدوليين، تخلصوا منه، قيل أنه مات مسموماً، وقيل مات نتيجة غيبوبة السكر .

مرحلة جديدة في حياة مصر :

تولى أنور السادات رئاسة مصر بعد عبد الناصر، ومن أول أعماله تطهير مصر من الفاسدين من مراكز القوى وذلك في مايو 1971م، وعمل السادات في بداية توليه للسلطة مجموعة من الإصلاحات من ضمنها إخراج المعتقلين السياسيين، والتخفيف من آثار المظالم التي لحقت بهم وبممتلكاتهم، كذلك العمل على سيادة القانون، واحترام القضاء واستقلاليته، وإعادة التنظيمات النقابية ومحاولة رفع الروح المعنوية للمواطن، وإشاعة روح المحبة، وإفساح نطاق الحرية الصحفية والإعلامية، والانطلاق الاقتصادي، والتحرر من سيطرة الروس على المؤسسة العسكرية المصرية، ومحاولة فتح قنوات اتصال مع الغرب وخصوصاً أمريكا .

شهدت فترة حكم الرئيس السادات علاقات طيبة بينه وبين أستاذنا الدكتور مصطفى محمود "كنت أحب السادات جداً وأتذكر أنه قبل رئاسته للجمهورية اتصل بي تليفونياً ليهنئني على كتابي (القرآن محاولة لفهم عصري)، وقال لي كتاباتك الأخيرة كانت متميزة يا مصطفى، وقال لي : أريدك أن تزورني، فقلت سأحضر إليك"[(1)] .

علاقة مصطفى محمود بالسلطة الجديدة :

استمرت علاقة مصطفى محمود بالسادات طوال فترة حكمه، وكما ذكرت سابقاً، فقد عرض السادات على مصطفى محمود أكثر من وزارة، وأكثر من منصب، لكنه كان يعتذر بطريقة لبقة، وذلك لعدم قدرته على تحمل المسؤولية، وهو يحب أن يتفرغ للكتابة والدعوة، وقد حزن مصطفى محمود على مقتل السادات حزناً شديداً، لما كان يرى فيه رجل دولة على الطراز الفريد، صفاء في النفس وشفافية في الروح وإخلاص للبلد .

يرى الباحث أن الدكتور مصطفى محمود هروباً من عدم رغبته في تولي أي منصب سياسي ادعى عدم قدرته على تحمل المسؤولية ليس إلا .

وعن موقفه من معاهدة السلام مع الكيان الصهيوني قال : "ما قلته للسادات في ذلك الأمر بالرغم من أن السلام مع إسرائيل خطوة لا يستطيع أحد أن يقدم عليها غيرك، وأعلم أن هؤلاء الإسرائيليين لا يوفون بوعد أو عهد، ولكن هذه خطوة تُحسد عليها، ووفقك الله في نواياك"[(2)] .

---

(1) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة 14 .
(2) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة 16 .

في فترة حكم السادات تمكن مصطفى محمود من نشر أعماله التي كانت مرفوضة من حقبة مَنْ سبق السادات، وحينما علم السادات بأمر المنع أصدر أوامره فوراً، "كل كتب وروايات مصطفى محمود وأعماله الأدبية تنشر فوراً وبصورة لائقة ومسلسلة في صباح الخير"[1] .

ومن مشاهدات الباحث الحية والمباشرة وخصوصاً أنه كان موجوداً في هذا الوقت في القاهرة وتم اعتقاله ولمدة أربعة أشهر بعد حادثة اغتيال السادات؛ انتهى عصر السادات بطلقات نارية قتلته يوم 6 أكتوبر عام 1981م، أثناء الاحتفال بالعرض العسكري على أيدي بعض شباب الجماعات الإسلامية، وكان السادات في أخريات أيام حكمه قام بحملة اعتقالات طالت صفوف المعارضين السياسيين له، ومن ضمنهم قيادات في الجماعات الإسلامية، ولّد ذلك احتقاناً في الشارع المصري .

تولى السلطة بعد السادات نائبه محمد حسني مبارك، والذي حاول أن يخفف من آثار الأزمات التي ولدت في نهاية عصر السادات، فيما يتعلق باتفاقية السلام وما صاحبها من عزلة لمصر عن محيطها العربي، ونقل مقر الجامعة العربية لتونس، وقيام جبهة الرفض في مواجهة مصر والسادات.

كما ذكرتُ عمل مبارك على إعادة مصر لمحيطها العربي والإسلامي، وذلك من خلال تفعيل دور مصر في الجامعة العربية من جديد، وإعادتها لعضوية المؤتمر الإسلامي، كذلك إخراج المعتقلين الذين تم اعتقالهم زمن السادات، والسماح بتشكيل الأحزاب وممارستها للعمل السياسي، أيضاً عمل على النهوض بالدولة اقتصادياً وعمرانياً .

في هذه الفترة واصل الدكتور مصطفى محمود من نشاطه الدعوي والخيري والإعلامي، وإن كان تركيزه أكثر وضوحاً من خلال البرنامج التلفزيوني (العلم والإيمان) .

مضايقات النظام الجديد لمصطفى محمود :

لم تخل فترة حكم مبارك من المضايقات لمصطفى محمود، وخصوصاً بسبب أعماله التليفزيونية، وبعض كتاباته والتي يتعرض فيها للحديث عن اليهود والصهيونية، ففي لقاء تليفزيوني مع نجل الدكتور (أدهم مصطفى محمود)، والذي أُذيع على قناة "دريم" الفضائية، يوم الأحد 22 مايو 2011م مع المذيع وائل الإبراشي، قال أدهم إن مدير مكتب رئيس الجمهورية للشؤون السياسية (أسامة الباز)[2]، أرسل خطاباً إلى (إبراهيم نافع)[1] رئيس مجلس إدارة الأهرام آنذاك طالباً منه لفت

---

[1] المصدر السابق : حلقة 15 .

[2] أسامة الباز : (1931- 2013)، سياسي مصري، ولد في محافظة الدقهلية، تخرج في جامعة القاهرة كلية الحقوق، أكمل دراساته العليا في أمريكا، عمل في سلك الخارجية سفيراً ثم مستشاراً لوزير الخارجية، ثم

نظر مصطفى محمود إلى حساسية الكتابة في هذه الموضوعات، وأن تأثيرها لا يقتصر على الإسرائيليين فقط بل على اليهود أيضاً، وأن هذا الخطاب كان له بالغ الأثر على صحة والده الذي دخل بعدها في نوبة من حزن شديد، والخطاب عبّر عن توبيخ سياسي واضح من الدولة، لم يقتصر على كتابات الفيلسوف الراحل، بل امتد إلى الاعتراض على محتوى ومضمون برنامجه (العلم والإيمان)، كاشفاً له أن إسرائيل لعبت دوراً رئيسياً في توقف عرض البرنامج على القنوات الأرضية[2].

وقال وائل الإبراشي[3] في لقاء مع جريدة المصري اليوم : "إن مصطفى محمود كان يمثل خطراً على إسرائيل، لأنه كان الوحيد الذي يرد على ادعاءاتهم من قراءته المتأنية في العقائد والتاريخ والعلوم، وأن سلوكه هذا سبّب حرجاً شديداً للمسئولين في الدولة، وهو ما يُفسر تخليهم عنه في محنة مرضه وحتى لحظة وفاته"[4] .

موقف مصطفى محمود من الأحزاب : في الفترة الممتدة من الثلاثينات حتى بداية الخمسينات ظهرت مجموعة من الأحزاب المصرية ، وكان لهذه الأحزاب نشاطات حزبية وسياسية وثقافية ولها جرائد ومجلات خاصة، ومن خلال البحث في حياة الدكتور مصطفى محمود لم نجد ما يثبت أنه انتمى لأي حزب من هذه الأحزاب، مع أنه عمل محرراً في جريدة النداء، التي كان يصدرها حزب الوفد، ويرأس تحريرها الأستاذ ياسين سراج الدين، الذي كانت تربطه بالدكتور علاقة طيبة، ومع هذا لم ينضم مصطفى محمود لا للوفد ولا لغيره من الأحزاب .

أما عن موقفه من الإخوان المسلمين فهو يقول : "أما بالنسبة لجماعة الإخوان المسلمين، فلا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين، ولكي أوضح رأيي في هذه الجماعة وغيرها من الجماعات التي كثيراً ما حاولت معي لكي أنضم إلى صفوفها في مراحل عمري المختلفة، فهناك نكتة إنجليزية شهيرة توضح أن الدين والسياسة لا يتفقان، فتقول : وجد شخص تابوتاً مكتوباً عليه هنا يرقد

مستشاراً لرئيس الجمهورية، شارك في مفاوضات السلام (كامب ديفيد)، تولى الملف الفلسطيني الإسرائيلي، ليس له انتماءات حزبية، له عدة مؤلفات، منها مصر والقرن الواحد والعشرين. (ويكيبيديا : الموسوعة الحرة).

(1) إبراهيم نافع : (1934-) إعلامي مصري ولد في السويس، تخرج في جامعة عين شمس كلية الحقوق، عمل محرراً في عدة وكالات للأنباء والصحف المحلية والأجنبية، تولى رئاسة تحرير جريدة الأهرام، اختير نقيباً للصحفيين أكثر من مرة، له مؤلفات عدة في السياسة والأدب والقضايا الاجتماعية، منها سنوات الخطر، رياح الديمقراطية، عاصفة الخليج، وغيرها. (موسوعة أعلام الفكر العربي السحار، 224/2).

(2) لقاء تلفزيوني بين وائل الأبراشي مع ابن الدكتور أدهم مصطفى محمود في برنامج الحقيقة يوم الأحد، 22 مايو 2011 .

(3) وائل الإبراشي : (1963-)، إعلامي مصري، مواليد محافظة الدقهلية، علماني التوجه، عمل في صحيفة روز اليوسف، مقدم برامج تلفزيونية، نال شهرة كبيرة من خلال تحقيقاته الصحفية، اتهم في عدة قضايا إعلامية في عهد مبارك، يعمل الآن في تلفزيون دريم .(ويكيبيديا : الموسوعة الحرة).

(4) جريدة المصري اليوم : عدد الثلاثاء، 24 مايو 2011 .

السياسي العبقري والرجل الصادق فلان، فقال الرجل : أول مرة أجد اثنين مدفونين في تابوت واحد. فالسياسة تحمل داخلها الكذب والانتهازية، والدين يحمل داخله القواعد والتسامح والسلام، ظللت عمري كله أحمل راية الدفاع عن الإسلام من الإخوان، وغيرها، لكن رغم انتقادي هذه الجماعة ورفضي شعارها (الإسلام هو الحل)، فإن بين أعضائها شخصيات مستنيرة، وأهم ما يميزها أنها تمثل نسيجاً واحداً منذ نشأتها على يد الأستاذ حسن البنا– رحمه الله– وحتى الآن، لكن هذا لا يبرؤها من أن بينها أيضاً شخصيات غير ناضجة، ومندفعة ومتعصبة، والدليل على ذلك إصرارها على تأسيس حزب سياسي رغم أن هذه الخطوات أثبتت فشلها منذ قيام الثورة وحتى الآن، إلا أنها ما زالت متمسكة بها رغم استحالة تأسيس الحزب لما فيه من تهديد للوحدة الوطنية، ولذلك كنت على الدوام ضد دخول الدين في السياسة نهائياً، ورأيي هذا وصلت إليه بعد أن أمعنت التفكير، لأن السياسة خليط من الكذب والالتواء والانتهازية، ولا بد من تنزيه الدين عنها، وأُفضل أن يكون دور الدين في هذه المرحلة الحزبية التي نعيشها هو إحياء الضمائر، فأخطر شيء يهدد المجتمع هو إدخال الدين في السياسة، فدور الدين يجب أن يقتصر على توعية وإحياء ضمائر الناس"[1] .

للباحث هنا كلمة : هذا الذي يقوله الدكتور مصطفى محمود لا نوافقه عليه، مع احترامنا لرأيه، وليت الدكتور استفاد من تجارب وخبرات من سبقه ممن كانوا يقولون بنفس رأيه، ولهم كتابات واضحة في هذا الرفض ولعبوا أدواراً كبيرة في الحياة الثقافية والدينية والسياسية المصرية والإسلامية، أمثال الشيخ علي عبد الرازق[2]، والشيخ خالد محمد خالد[3]، وكيف أنهما وغيرهما تراجعا في آخر حياتهم وكتبوا كتباً صححوا فيها ما كانوا ذهبوا إليه سابقاً، كذلك ما فعله الدكتور محمد حسين هيكل رحمهم الله جميعاً .

كتب الشيخ علي عبد الرازق كتابه **(الإسلام وأصول الحكم)**، فقال فيه بفكرة فصل الدين عن الدولة وفصل الدولة عن الدين، وأثار هذا الكتاب في حينه ضجة كبيرة انتهت بسحب الشهادة العالمية الأزهرية منه، وتوالت الأعوام وتراجع الرجل عما قاله في بداية حياته.

نفس الأمر حدث مع الأستاذ خالد محمد خالد فقد نشر في عام 1950م كتاباً بعنوان **(من هنا نبدأ)**، رفض فيه فكرة الدين والدولة، ومرت الأعوام، وفي عام 1981م نشر كتابه **(الدولة في**

---

(1) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأخيرة .

(2) علي عبد الرازق : (1888-1966)، عالم أزهري وباحث مصري، ولد في المنيا، تعلم في الأزهر ثم في بريطانيا، تولى القضاء،صاحب كتاب (الإسلام وأصول الحكم)، قامت عليه ضجة كبيرة، وسحبت منه شهادة الأزهرية، انتخب عضواً في البرلمان، ثم الشيوخ، تولى وزارة الأوقاف، عمل في التعليم الجامعي (جامعة القاهرة) لمدة 20 عاماً، له عدة مؤلفات منها الإجماع في الشريعة الإسلامية، كتاب عن أخيه مصطفى عبد الرازق. (الأعلام الزركلي، 276/4).

(3) خالد محمد خالد : (1920-1996)، عالم أزهري مصري ، ولد في قرية العدوية بمحافظة الشرقية، تلقى تعليمه في الأزهر، أخذ شهرة كبيرة من خلال مؤلفاته الكثيرة، ومنها (رجال حول الرسول)، كان ميالاً للتصوف والهدوء. (انظر : قصتي مع التصوف : خالد محمد خالد، المقطم للنشر، القاهرة، الثالثة، 2006، ص15) .

الإسلام)، تراجع فيه عن كل أفكاره القديمة، وقال فيه "والآن وفي ضوء اقتناعي الجديد بأن الإسلام دين ودولة..."[1].

إن أمر الدين لا يمكن أن يستتب ويستقيم في دولة ومجتمع إلا أن يكون مسانداً له سياسة قوية، وليس هناك في الإسلام مراحل تاريخية استثنائية، تجتمع فيها الدولة مع الدين ثم في أزمان أخرى نفصل ما بين الدين والدولة، فإن قضايا الإسلام الكبيرة والإستراتيجية قضايا ثابتة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان.

كذلك لا يمكن أن يستقيم حال السياسي بدون قيم الدين وأخلاقه ومبادئه وقواعده، وقد عرفنا كم عانى أستاذنا مصطفى محمود من سياسيين فاسدين، زوروا التاريخ وقلبوا الحقائق وظلموا الناس، وأفسدوا في الأرض، وخانوا بلادهم، ووضعوا أياديهم بأيدي أعدائهم، فكانوا وبالاً على شعوبهم .

---

[1] خالد محمد خالد : الدولة في الإسلام، دار ثابت، القاهرة، الأولى، 1981، ص16.

المطلب الثالث

الحياة الثقافية والعلمية

على مدار تاريخ الإنسان كانت مصر هي مقصد طلاب العلم والعلماء، تفوقت على جاراتها لأسباب كثيرة، ليس هنا مكان ذكرها، واستمر حال هذا التفوق حتى وصلنا إلى مشارف القرن العشرين، مقصد دراستنا ومحط بحثنا، الأزهر في قلب مصر، ومن حوله المعاهد والمدارس، الجامعات تتلاحق في إنشائها جامعة إثر جامعة، جامعة فؤاد الأول[1] (القاهرة حالياً)، وجامعة إبراهيم باشا[2] (عين شمس حالياً)، وجامعة فاروق الأول[3] (الإسكندرية حالياً)، وجامعة محمد علي[4] (أسيوط)، في نفس الوقت عشرات الصحف والمجلات، والعديد من دور النشر والطباعة، علماً أن أول مطبعة في الشرق كانت المطبعة الأميرية في القاهرة[5] .

الأزهر ومكانته التاريخية والعلمية :

على رأس هرم المؤسسات العلمية كان الأزهر الشريف، والذي شكّل صرحاً شامخاً على مدار مئات السنين في نشر العلم والعلوم، أَمَّه الطلاب من كل بلاد الإسلام، وقصده العلماء من كل المذاهب والفرق، كان صاحب دور بارز في العلم والسياسة، ولا ننسى موقفه من الحملة الفرنسية، وكيف كان شيخه حسن العطار [6] أحد أبطال المقاومة للحملة الفرنسية[7]، وبغض النظر عن كون الأزهر كان مستقلاً ثم أصبح تابعاً، فإن دوره كمنارة لنشر الفكر الديني، وصناعة العلماء وبعث

---

[1] فؤاد الأول : (1868-1936)، ملك مصر، ابن الخديوي إسماعيل، خريج الكلية الحربية في إيطاليا، تولى الحكم في عام 1917، في عهده قامت ثورة 19، وإعلان الدستور، وتولى أول حكومة شعبية (زغلول) في عهده، له بعض الإصلاحات السياسية والحزبية . (انظر : الموسوعة العربية : ص1328/2).

[2] إبراهيم باشا : (1789-1848)، والي مصر وقائد عسكري، ابن محمد علي، قاد الجيش ضد الوهابيين (1816) احتل اليونان (1825)، وأخمد تمردهم، انتصر في كثير من المواقع الحربية، تولى الحكم عام 1848 ، وفي نفس العام توفي . (انظر : الموسوعة العربية : ص9/1).

[3] فاروق الأول : (1920-1965)، ملك مصر، وابن فؤاد الأول، تلقى تعليمه في مصر ثم في بريطانيا، تولى الحكم بعد وفاة أبيه، أطاحت به ثورة 23 يوليو 1952م، انتقل إلى إيطاليا ومات هناك. (انظر : الموسوعة العربية : ص1264/2).

[4] محمد علي : (1769-1849)، والي مصر، ولد في اليونان، جاء إلى مصر ضمن حملة طرد نابليون من مصر، تولى قيادة الكتيبة الألبانية، شارك في معركة أبي قير والرحمانية، ترقى في السلك الوظيفي حتى تولى حكم مصر عام (1805)، كان يظهر مناصرته للمصريين، اشتهر بكثير من الإصلاحات العسكرية والتعليمية، وبعث كثير من الوفود العلمية إلى أوروبا . (انظر : الموسوعة العربية : 1661/2).

[5] انظر : مصر وعالم البحر المتوسط : رؤوف عباس حامد، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الأولى، 1996م، ص11 .

[6] حسن العطار : (1776-1835)، شيخ الأزهر ومن علماء مصر، أصله من المغرب، ولد ومات في القاهرة، تلقى تعليمه في الأزهر، حتى أصبح شيخاً له (1246هـ)، شارك في مقاومة حملة نابليون على مصر، له مجموعة من المؤلفات، في المنطق والشعر والأصول، تنقل في عدة بلاد إسلامية من ألبانيا والشام، تولى جريدة الوقائع المصرية . (الأعلام : الزركلي، 220/2) .

[7] انظر : عجائب الآثار في التراجم والأخبار : عبد الرحمن الجبرتي : ، دار الكتب المصرية، القاهرة، الأولى، 1998م، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، ص187/3 .

الوفود، والوقوف في وجه أعداء الأمة، وحمل كلمة الحق، كل هذا استمر على مدار تاريخه الطويل، صحيح أنه تعرض لحالات مد وجزر إلا أنه بقي له الكلمة المؤثرة، والرأي الأرجح والحكم المعتمد وكان لعلمائه مواقفهم المشرفة، مهما حاولت بعض الجهات طمسها .

وصحيح أيضاً أنه أصبح في عهوده القريبة مؤسسة حكومية كأي مؤسسة تابعة؛ تتدخل الدولة في تعيين شيخه، وهيئة علمائه، إلا أن مواقفه كانت في كثير منها مشرّفة، يكفينا نحن في فلسطين موقف علماء الأزهر من قضية احتلال فلسطين، والدعوة للجهاد فيها، ولا يعتد بالرأي الفرد والقول الشاذ لبعضهم حتى لو كانوا شيوخاً له .

نشأ الدكتور مصطفى محمود في ظل حياة ثقافية وعلمية راقية، البيئة التي نشأ فيها بيئة محبة للعلم، وكان والده يجيد اللغة الفرنسية، حرص على تعليم أولاده، حتى ارتقوا إلى أعلى المناصب العلمية والإدارية، تعلم في المدارس الحكومية المنتشرة في أغلب مدن مصر وكان متفوقاً، مما ساعده لدراسة الطب في (القصر العيني)[1] .

الزمن الذي عاشه مصطفى محمود :

واكب نشأة الدكتور مصطفى محمود ظهور وبروز العشرات من المبدعين في مصر، على مستوى الشعر والأدب والسياسة والفنون، من كل التيارات الفكرية والفلسفية، المقبولة وغير المقبولة، وكانت أرض مصر تعج بنهضة ثقافية وفكرية شاملة، منها ما توافق مع دين المجتمع وموروثاته الفكرية، ومنها ما كان متمرداً، مقلداً للغرب، فقد انتشرت في البلاد الدعوات الفلسفية كالوجودية والماركسية والإلحادية والعبثية، وتيارات كالقومية والبعثية، وجمعيات نسائية كثيرة دعت إلى الحرية والمساواة للمرأة[2] .

صحيح أننا لا نستطيع أن نغفل دور المستعمر الإنجليزي في إعلاء شأن اللغة الإنجليزية على حساب اللغة العربية، وأن التعليم في فترة من فتراته كان لأهل الحظوة والخاصة من القوم، وعملت على نشر السلبية والجهل مما زاد من نسبة الأمية بين أفراد الشعب المصري، وعملت على إعلاء شأن كل ما هو غربي، والازدراء من الدين ومن العلماء، حتى على مستوى العمل الإداري والوظيفي، ولا ننسى الدور الذي قام به نصارى الشام أصحاب مؤسسات إعلامية كبيرة كدار الهلال والمقطم والأهرام[3] .

---

(1) انظر : الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأولى .
(2) انظر : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : محمد محمد حسين، ص279/2 .
(3) انظر : المصدر السابق : 281/2 .

أيضاً لعبت البعثات العلمية للخارج دوراً كبيراً في حرف ثقافة المجتمع المصري، وقد ظهر هذا واضحاً على يد توفيق الحكيم، وسلامة موسى، وطه حسين، والمئات ممن درسوا في بلاد الغرب، وعادوا إلى ديارهم أبواقاً للفكر الغربي والقيم الغربية، كان لهم دورٌ خطيرٌ في التأثير على الحياة الثقافية والعلمية، خصوصاً أن منهم من تولى مناصب عليا في البلاد .

إن انفتاح المجتمع المصري على العالم الخارجي، وتدفق الثقافة الفرنسية بكل مكوناتها والثقافة الإيطالية، وقد كانت الجالية الإيطالية تشكل وجوداً ظاهراً، فهي تأتي في المرتبة الثانية بعد الجالية اليونانية، والمتجول في شوارع القاهرة الحديثة والإسكندرية ومدن القناة يشاهد مدى تأثير الثقافة الأوروبية على حركة الإنشاء والبناء[1] .

لا يستطيع شخص كمصطفى محمود أن ينفي تأثره في خضم هذه التيارات المتلاطمة من الثقافات، والتي كان ينظر إليها في زمانه على أنها صورة للتطور والرقي، إلا أن الملاحظ على ثقافة أستاذنا أنها لم تخرج عن مألوف مجتمعه ودينه، والسبب الرئيسي في ذلك التحصينات التي تحصن بها منذ طفولته ونشأته، وتأثير الأب والأم في التربية .

"لقد سادت مصر في تلك الحقبة من أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين موجات من الفكر المتمرد والساخط نتيجة التأثر بالمذاهب والتيارات الفكرية الوافدة من وجودية وشيوعية واللامنتمي ، فتأثر بها مصطفى محمود كغيره من أبناء هذه الحقبة، وتفاعل مع ذلك مع تساؤلاته وحيرته في هذه السن الباكرة"[2] .

التوجه الروحاني عند مصطفى محمود :

كذلك لا يمكننا أن نغفل أثر التصوف وانتشار الطرق الصوفية في هذه الحقبة، يتحدث مصطفى محمود عن كتاباته فيقول : "إن ما أكتبه فن، فن خيّر، الهدف منه التحبيب في الخير والتنفير من الشر، وأنا لست رجل دين، بل أنا فنان دخلت إلى رحاب الدين من باب الفضل الإلهي، والفن كان دائماً ضعفي وقوتي، وكل ابن آدم خطاء، ولهذا لم أدع لنفسي العصمة، ودائماً أراجع ما أكتب، فإن رأيتني كتبت صواباً فمن الله، وإن كتبت خطأ فمما سولت لي نفسي، بهذه الروح أحب أن يقرأني الناس، فما تصورت نفسي أبداً مفسراً للقرآن أو حاكماً في قضية فقه أو شريعة، إنما هي محاولات فهم من مفكر دوره لا يزيد على إثارة العقل وإخراجه من رقاده، وإيقاظ القلب وتفتيحه على محبة الله، فإن استطعت أن أعيد رجلاً ابتعد عن الحق إلى الطريق المستقيم وإلى فتح المصحف، فهذا أقصى مرادي، أما تفقيه الرجل في الدين فهذا دور العلماء المتخصصين،

---

(1) رؤوف حامد : مصر وعالم البحر المتوسط، ص12 .
(2) محمد رضوان : مصطفى محمود مشوار العمر، ص9 .

وحسبي أنا أني قد جئت به إلى بابهم، وأيقظت استعداده، فما أنا بالعالم، بل أنا مجرد فنان ينتهي دوره عند إثارة حب الحقيقة في قلب القارئ، وفي هذا فليحاسبني القراء والنقاد لا أكثر، فلا يحاسبني أحد على أنني فقيه مثل الشافعي، وابن حنبل وأبي حنيفة"[1] .

إن النبرة الصوفية، ومراجعة النفس ومحاسبتها لا يخلو منها عمل من أعمال مصطفى محمود، حتى عمله كطبيب ومن قبلها دراسته للطب لا يخلو من روحانية عميقة الجذور في روحه وعقله، "من الممكن أن نُرجع السبب في كل ذلك إلى أن الأطباء دائمو الوقوف أمام الموت، وهم أقرب إلى الميت من الآخرين، فيرون كل يوم بأعينهم الموت وهو يقبض أرواح البشر في الوقت الذي يفر فيه الجميع منه ويهرولون، حتى الأقارب وأقرب الأقربين والأصدقاء في حين أن الطبيب الذي يعد أشجع إنسان في البشرية هو الوحيد الذي يواجه الموت ويحدق في عينيه متحدياً ومحاولاً إنقاذ المريض، هذا فضلاً عن أنه الوحيد الذي يحضر ميلاد الإنسان ورحيله وأول من يستقبل الإنسان في الوجود أيضاً وآخر من يودعه من الوجود، وبالفعل هي لحظات رهيبة تكون قادرة على أن تخرج من داخلنا مارداً كبيراً"[2] .

حاول الدكتور مصطفى محمود أن يوظف العلم فيما يعود على الإنسان بالنفع والفائدة، فكان على الاتجاهين، اتجاه الطبيب نافعاً لمجتمعه وذلك من خلال المستشفيات والمراكز الطبية الستة التي أنشأها، والتي تقدم خدماتها لمئات المرضى والمحتاجين يومياً على مدار الساعة، وقد ذهبت بنفسي (الباحث) إلى اثنين من هذه المراكز وشاهدت ما يُقدم فيها من خدمات شبه مجانية، وفي أغلب التخصصات، ومنها الدقيقة كالقلب والمخ والأعصاب، في حين تراجع دور الدولة في مثل هذه الخدمات .

وفي الاتجاه الثاني، اتجاه الكتابة والدعوة إلى الله، نجده تفوق فيها أكثر من أصحاب التخصص، الذين تخرجوا من كليات الصحافة والإعلام، والكليات الإسلامية والدعوة .

الباحث يُرجع سبب ذلك لما كان يتمتع به أستاذنا من إخلاص وصدق، فالرجل إن أقدم على عمل قام به على وجهه الحسن، وبكل إخلاص واتقان .

أيضاً مما كان يتمتع به الرجل من روحانية عجيبة، بساطة في النفس، سلاسة في التعامل، تجعل من يتعامل معه لا يمل في التواصل به، والرجل التقيت به مرتين أثناء دراستي الجامعية من خلال المعرض الدولي للكتاب .

---

(1) أحمد الجزار : مصطفى محمود والتصوف، ص79 .

(2) سيد الحراني : الفارس المتمرد : الحلقة الثانية .

إن الحياة الثقافية والعلمية التي عاشتها مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين لم يتسنّ لأي مجتمع عربي آخر أن يعيشها، ربما سوريا ولبنان فقط من دول الوطن العربي، انتشار في التعليم الجامعي، وحرية التنقل والسفر، وكثرة البعثات الخارجية، ونهضة إعلامية وفكرية، صحيح كان لها اتجاهات في أغلبها حجب للدين عن واقع الحياة، ومحاولة اللحاق بالمجتمعات الغربية بخيرها وشرها[1] .

---

[1] انظر : الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي : محمد البهي : ، ص406 .

المبحث الثالث

أعمال مصطفى محمود، ومؤلفاته،

وأقوال المعاصرين فيه

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أعماله .

المطلب الثاني : مؤلفاته .

المطلب الثالث : منهجه في الكتابة .

المطلب الرابع : أقوال المعاصرين فيه .

المطلب الأول

أعمال مصطفى محمود

تمهيد :

تظهر قيمة الشخص من خلال أمور عدة، منها أعماله، أقواله، أخلاقه، شهادة الناس له، فإن كانت الأعمال التي يقوم بها الشخص أعمال خير، نافعة غير ضارة، كان هذا الشخص أولاً من المقبولين عند الله تعالى، ثم من الخالدين في ذاكرة الناس والتاريخ .

ومن خلال ما رأيت وقرأت وعرفت، فإن الرجل صاحب أعمال نفعت مجتمعه، ونفعت الأمة، وخيره عمَّ الفقراء والمحتاجين .

أما أقواله، ومنها كتاباته، فهي خير شاهد على الرجل، وأن دعوته كانت خالصة لله تعالى، ولهذا الدين وللناس وللوطن؛ الوطن الكبير، وقبول الناس وإقبالهم على مؤلفاته بهذا الشكل اللافت للنظر، وطباعة مؤلفات مرات عديدة، خير شاهد على نجاح الرجل، وهذا توفيق من الله تعالى له.

أما عن شهادة الناس له أثناء حياته وبعد موته، فهذه شهادة له عند الله تعالى، وهي دليل على قيمة الرجل.

تنقسم أعمال مصطفى محمود إلى عدة أقسام :

أولاً . مؤلفاته .

ثانياً . مقالاته .

ثالثاً . مشاريعه الخيرية .

رابعاً . برامجه التلفزيونية .

أولاً . مؤلفاته : سأفرد لها مطلباً مستقلاً .

ثانياً . مقالاته :

كما كان الدكتور مصطفى محمود مكثراً من تأليف الكتب كان مكثراً من كتابة المقالة وعلى تنوع موضوعاتها؛ السياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والدينية والفكرية.

وقد مرّ معنا في المباحث الماضية أنه عمل صحفياً وكاتب مقال أثناء دراسته للطب في كلية القصر العيني، ثم لما ترك مزاولة مهنة الطب عمل فقط في الصحافة والكتابة؛ ومن خلال عدة مؤسسات صحفية حكومية وخاصة .

ولكثرة مقالات الدكتور، وبعدها الزمني ونشرها من خلال صحف كثيرة مصرية وعربية، يصعب على الباحث حصرها، إلا أن مجموعة من محبي الدكتور قاموا بعد وفاته بجمع وتوثيق كل ما كتب من مقالات في الفترة الزمنية الممتدة من (1976/3) إلى تاريخ (2003/9)، وقد بلغت مجموع مقالاته في هذه الفترة الزمنية (353) مقالاً، وعدد صفحاتها (2177) صفحة .

ثالثاً . أعماله الخيرية :

ولد عمل الخير مع ميلاد أستاذنا مصطفى محمود، الذي كان يرى والده يقوم بتوزيع ربع راتبه على الفقراء والمحتاجين من أقاربه وجيرانه، والذي قام برعاية وتربية أبناء زوجته من الزوجين السابقين عليه، "كانت له عادة لم يقطعها في حياته منذ أول راتب تقاضاه، وحتى آخر راتب، وهو أنه كان يعطف بربع راتبه على الفقراء، كان يذهب إلى أقاربه الفقراء والجيران، ومعاونة الذين يرى فيهم رقة الحال في القرى المحيطة بطنطا ويوزع عليهم ربع هذا الراتب البسيط"[1] .

حينما يتربى الابن على مثل هذه القيم والسلوكيات العظيمة، ماذا سيكون شأنه حينما يكبر، لابد أنه سيسير على نفس خطى والده، وستكون منظومة قيمه وسلوكياته مختلفة، وهكذا كان الرجل .

لهذا نجد أن "العديد من المحللين والذين عرفوا الدكتور مصطفى محمود عن قرب، خاصة في المرحلة الثانية من حياته (1970– 2009)، أنه لم يكن يعيش لنفسه؛ بل لخدمة الآخرين، فقد صنع منه اقترابه من الله ورسوله على شاطئ اليقين أنموذجاً للإنسان المحب للآخرين، فيما يخصه كذا أصبح نموذجاً للإنسان المصري المسلم المحب لوطنه وناسه حباً إيجابياً فعالاً، فأنشأ المشروع الخيري "مسجد محمود" بالمهندسين، حيث كان هدفه كما حدده في البداية، أحاول أن تكون وظيفة الجامع أكثر شمولاً واتساعاً بحيث نعقد الصلة المفقودة بين

[1] الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأولى .

الإنسان والكون وبين الإنسان والعلم، وبين الإنسان والفكر والتفكير، كل الوسائل العصرية المتاحة مثل السينما والتليفزيون والمرصد الفلكي والمتحف العلمي والمكتبة والندوات، ثم أحاول أن أجعل من المسجد مجمعاً للخدمات، فألحق فيه عيادة في كل الفروع ومعملاً للتحاليل ومركزاً للأشعة ووحدة للإسعاف وطبيباً مقيماً .

تأسيسه للمشاريع الخيرية :

فأصبح هناك مستشفى متخصص في جامع مصطفى محمود، كان يشهد توسعات متوالية باستمرار إلى جانب مركز طبي متخصص اسمه مركز الكوثر في شارع جامعة الدول العربية بالمهندسين"[1] .

وقد قام الباحث بنفسه بزيارة مؤسسة محمود بتاريخ 2012/10/8، واطلع على كل مكونات هذه المؤسسة، العيادات التخصصية، ومراكز التحليل والأشعة والمتحف والمرصد الفلكي والمكتبة، إن ما قام بعمله هذا الرجل (مصطفى محمود) يُعد مفخرة عظيمة ستسجل بإذن الله في ميزان حسناته، إننا نرى الكثير من الأثرياء في وطننا وفي غيره من الأوطان، والذين جمعوا ثرواتهم على حساب الآخرين من أبناء المجتمع، يبخل الواحد منهم تقديم مساعدات قليلة، فما بالنا بهذا الرجل الذي كان يحرم نفسه وأسرته ليقدم للناس ما بين يديه .

إنه ظاهرة عجيبة غريبة، تستحق التقدير والاحترام والإشادة بها .

"وهكذا أصبح مصطفى محمود ظاهرة فريدة في مساعدة الفقراء والوقوف بجانبهم حيث استفاد من مشروعه الخيري أكثر من مليون أسرة بسيطة من البسطاء والغلابة"[2] .

ولم يتوقف مصطفى محمود عند هذا العمل الجبار "وإنما سعى إلى الاستعانة بطب الأعشاب والإبر الصينية والعلاجات الحديثة كالعلاج الطبيعي، والأشعة بمختلف أنواعها، وأنشأ لذلك ما يشبه مراكز البحث المتخصصة داخل الجمعية، وكان لديه شغف لما يُسمى الطب البديل إلى جانب الطب التقليدي، رغبة في توفير كل ما يُلبي احتياجات المرضى، متجنباً في ذلك كل أشكال الاستغلال أو التجريب العشوائي وهو ما أدى إلى اتساع نشاط الجمعية"[3] .

لقد كرس الرجل حياته وخصوصاً من بداية عام 1970م حتى وفاته، لقد كرسها لعمل الخير الذي لا يتوقف، فمثلاً قام بإنشاء الجمعيات والمراكز الطبية التالية :[4]

---

[1] مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص90 .
[2] المصدر السابق : ص91 .
[3] المصدر السابق : ص92 .
[4] نشرة إعلامية عن جمعية محمود، 2011 .

1. جمعية مسجد محمود (الوحدة العلاجية)، الكائنة بميدان جامعة الدول العربية بالمهندسين والذي يُسمى الآن في الإعلام بميدان مصطفى محمود .

2. المركز الطبي لمسجد محمود، الكائن نهاية شارع جامعة الدول العربية، عمارة الأوقاف.

3. المركز الطبي لمسجد محمود بالأعلام، الكائن بشارع النبوي المهندس، الأعلام .

4. مستشفى محمود الكائن شارع النيل الأبيض، ميدان لبنان، المهندسين .

5. مركز محمود لطب العيون، الكائن كورنيش النيل، أبو الفدا .

6. مسجد الرحمة، مركز تدريب العجوزة، خلف مسرح البالون .

هذه هي المراكز الثابتة، وهي مشاريع تقدر بعشرات الملايين، الخدمات فيها تقدم شبه مجانية وبرسوم بسيطة جداً، حتى إجراء العمليات المعقدة تجري بمقابل زهيد لا يصدق، وما شاهدته أثناء وجودي وجود بعض المرضى من غير المصريين، والذي لا يسألهم أحد عن جنسياتهم .

تنوع أنشطة جمعية محمود :

ومؤسسة جمعية محمود تقوم بأنشطة كثيرة، غير تقديم الخدمات الطبية، منها الدورات والنشرات التثقيفية ذات الصلة بالمناسبات الدينية، وقد اطلعت على مجموعة من هذه النشرات ذات الصلة بشهر الصيام، والحج، ومولد النبي صلى الله عليه وسلّم، والمسجد الأقصى، والإسراء والمعراج، وجمع القرآن، وزكاة الفطر، وأحكام تلاوة القرآن، وأحكام صلاة المريض، ومناسك الحج، وغيرها من النشرات .

كذلك تقدم الجمعية التبرعات العينية للمحتاجين (مالاً، طعاماً، أو كسوة)، هذا غير موائد الرحمن (إفطار الصائم)، فهم يقدمون من خلال عدة أماكن وفي أكثر من مدينة أكثر من (20) ألف وجبة إفطار يومياً، منها ما يوزع على البيوت ومنها ما يقدم في الميادين ومنها ما يقدم داخل المساجد، وهذا لا يقتصر على مدينة القاهرة فقط بل يعم مدن مصرية أخرى، وعلى مدار شهر رمضان كاملاً[1] .

أيضاً القوافل الطبية التي تجوب البلاد من شرقها إلى غربها، وشمالها وجنوبها، "لفت انتباهي أن المحافظات البعيدة مثل الصعيد ومطروح وسيناء لا تصلها خدماتنا، على الرغم من

---

(1) لقاء مباشر مع المشرف على الشؤون الاجتماعية للجمعية الأستاذ صالح أبو غنيمة بتاريخ 2012/10/8، بمقر الجمعية بالقاهرة .

تفاقم الأوضاع بكثير في هذه المحافظات بالذات، فقررنا أن نخرج بقوافل إلى هذه المناطق، بالفعل كنا نذهب بقافلة في الصيف وأخرى في الشتاء، كل قافلة منهما تتوجه إلى مكان ما وعلى رأس هذه الأماكن؛ مدن كالسلوم وسوهاج وقنا ومطروح والخارجة وأسوان، وكنا نستغل فترة هذه القافلة ونهتم بأهل هذه المناطق في أكثر من مجال وأكثر من نشاط فكري وديني ووصل عدد هذه القوافل إلى (13) قافلة[1] .

إن مصطفى محمود رجل نال قسطاً كبيراً من توفيق الله له، وهذا الذي أقوله مبني على معطيات واقعية على أرض الواقع، يراها الناس ويلمسونها ويستفيدون منها .

يقول الرجل : "منذ النشأة كانت لي أحلامي بخصوص من حولي، عندما نشأت لم أكن من الأثرياء ولم أكن من الفقراء، كنت من المستورين (الطبقة المتوسطة التي اختفت حالياً)، ولكنني كنت دائم الانشغال بالفقراء، اقتنعت بأن الفقر والجهل والظروف السيئة هي سبب تأخر أمتنا، بل هي منبع الإرهاب، فإذا أردنا أن نصعد بمعدل نمو دولتنا مثل الدول المحترمة، وإذا أردنا أن نقطع جذور الإرهاب فعلينا بمحاربة أسبابه، وهذا لن يكون فقط بالتنظير أو بتأليف الكتب أو بالصراخ على المنابر السياسية، العلاج يكون بأن يبدأ كل واحد بنفسه، بيده، لا أقصد هنا ألا ينتظر النظام بواقي وفضلات الدول الأخرى المسماة الإعانات، لأنك ستكون تنادي في جدار أصم، بل أقصد ألا ننتظر شيئاً أساساً من النظام، عايز تعمل خير لبلدك وأهلك وأهلها، الخير بيتنفذ، بقول يتنفذ مش بيقف عند مجرد النية، فالحل يكمن فينا"[2] .

العجيب في الأمر أن الرجل كان يواصل عمله ليل نهار، مع طول عمره وتقدم سنه، ومع المرض الذي لا يفارقه، ولكنها البركة من الله، البركة في الوقت والبركة في القليل من المال، والبركة في الصحة، والبركة في رفقة أهل الخير، وهذا ما كان لأستاذنا .

ثالثاً : برنامج العلم والإيمان :

أستطيع أن أؤكد أن النجاح والتوفيق كانا حليفين للدكتور مصطفى محمود، وهذا بالتأكيد مبني على معطيات على أرض الواقع، نجاح هذا الرجل صحفياً ونجاحه كاتباً، ونجاحه طبيباً، ونجاح مشاريع الخير المتعددة التي قام بها، وحب الناس له، وعدم رضا السلطان الحاكم، كل هذا وغيره دليل على نجاحه .

والدليل الأكبر أمام أعيننا هو برنامجه التليفزيوني **(العلم والإيمان)** .

---

(1) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة 18 .
(2) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة 17 .

من أشهر البرامج التليفزيونية العربية على الإطلاق، كان هذا البرنامج، والذي استقطب من حوله الناس بكل شرائحهم، العالم وغير العالم، والمتعلم وغير المتعلم، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والمؤمن وغير المؤمن، والمسلم وغير المسلم، لدرجة أن حركة المواصلات كانت تكاد تتوقف أثناء بث هذا البرنامج .

ومن خلال متابعة هذا البرنامج والذي لعبت فيه شخصية الدكتور مصطفى محمود بصوته المتميز وتعليقاته المختصرة على المشاهد وهدوء الشخصية، والمؤثرات الصوتية الأخرى، والجديد مما لم يكن يعرفه المشاهد ولم يطلع عليه وقدرة الدكتور في الربط بين الأحداث والوقائع كان النجاح لهذا البرنامج، والذي لم يعتد المشاهد المصري والعربي على مثله من البرامج الجادة.

كان أستاذنا يرغب أن يقدم عملاً إعلامياً "يتخذ من الصورة والمادة العلمية والتأمل الصوفي مدخلاً إلى الإيمان بالله"[1] .

كيف ظهر برنامج العلم والإيمان ؟

والبداية كانت في يوم 15 مايو 1971م، عندما كتب الدكتور مصطفى محمود مقالاً بمجلة روز اليوسف، على خلفية قضية مراكز القوى الشهيرة، قال فيها مخاطباً الرئيس السادات "أنت الزعيم وليس بعدك زعيم، أنت رجل العلم والإيمان"، كلمات أعجبت السادات وسُر منها، فأشار على وزير الإعلام وقتها بإذاعة برنامج من إعداد الدكتور مصطفى محمود يحمل اسم **(العلم والإيمان)**، وبالفعل طلب وزير الإعلام في حينها من مصطفى محمود إعداد البرنامج، وكلف رئيس التليفزيون وقتها تسهيل الأمور لإذاعته، وكان الاقتراح أن يقدم الدكتور البرنامج بنفسه[2] .

يتحدث الدكتور عن هذه الظروف فيقول : "اعتمد التليفزيون المصري (30) جنيهاً مصرياً فقط للحلقة الواحدة، في حين أن البرنامج يستلزم السفر للخارج ومتابعة آخر الأبحاث، ولذا بدأ اليأس يتسرب إلى نفسي، حتى قابلت رجل أعمال شهير، فحدثته في أمر البرنامج، فإذا به يخرج دفتر شيكات قائلاً لي : "لن أناقشك في النفقات، ولكن المهم خروج هذا العمل العلمي والديني إلى النور"، ولاقى البرنامج نجاحاً كبيراً، واجتذب جماهير كثيرة نظراً لأسلوبه الذي جذب به قلوب وعقول البسطاء قبل العلماء"[3] .

---

(1) الفارس المتمرد سيد الحراني، الحلقة 17 .
(2) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة 18 .
(3) انظر : مصطفى محمود والتصوف : أحمد الجزار، ص141.

تعرض هذا البرنامج للعديد من المعوقات، منها على سبيل المثال أن الأفلام التي تساعد في تحضير البرنامج انتهت من التليفزيون، ولا يوجد ما يقومون بالتحضير عليه، مما اضطر الدكتور للسفر وشراء أفلام على نفقته الخاصة بمبلغ (15) ألف دولار أمريكي وذلك ليستمر البرنامج .

أيضاً توقف البرنامج بسبب التدخل الصهيوني وذلك أن الدكتور حضّر عدة حلقات عن مفاعل ديمونا النووي الصهيوني، وبرامج عن حرب المياه المستقبلية، مما جعل اليهود والسلطات الأمريكية والصهيونية تتدخل لمنع عرض هذه الحلقات، وفعلاً كان ذلك، مما اضطر الدكتور لعرضها في محطات تليفزيون أخرى، مما أدى إلى تحقيق ربح بلغ عام 1995م (5) ملايين دولار، وفي عام 1997م بلغ (10) ملايين دولار[1] .

إن برنامج العلم والإيمان "موسوعة علمية وثقافية شاملة تبحث في مجالات متعددة طبيعية وجغرافية وطبية وفلكية، وفي علوم النبات والحشرات والعلوم البيئية والطبيعية، مع تعليق للدكتور مصطفى، تصلح هذه الموسوعة لجميع المدارس والكليات والمعاهد العلمية والمراحل المختلفة، وتعتبر موسوعة علمية في المنازل من أجل رفع مستوى ثقافة الأسرة جميعاً، وعددها ثماني وخمسون اسطوانة دي في دي"[2] .

بلغت عدد حلقات هذا البرنامج (400) حلقة، كانت تُبث أسبوعياً كل يوم ثلاثاء الساعة التاسعة مساءً، استمر عرضها عرضاً متواصلاً أكثر من (15) عاماً، توقف بثها لظروف مثل حرب أكتوبر وبعض الأحداث الداخلية، ومنع من عرض عدة حلقات.

زاد هذا البرنامج من توثيق العلاقة بين الدكتور ومحبيه على مساحة الوطن العربي والعالم، وكان لأسلوب الدكتور ولغته، وبساطة مظهره دورٌ كبيرٌ في اجتذاب المُشاهد، كذلك النبرة الإيمانية الصوفية الروحانية أدت إلى الإقبال غير المتوقع على البرنامج، ومن عوامل نجاح البرنامج، القدرات العلمية والمعرفة الواسعة للدكتور في مجال العلوم الطبيعية والعلمية، لدرجة أن إحدى المجلات ذات الصلة بمثل هذه الأعمال اختارت الدكتور مصطفى محمود ضمن أشهر (120) عالماً للقرن العشرين، وموسوعة برنامج العلم والإيمان تنقسم إلى خمس مجموعات، كل مجموعة تتناول موضوعات ذات صلة ببعضها[3] .

---

[1] لقاء صحفي مع آدم مصطفى محمود، نشر على صفحات جريدة المصري اليوم، يوم 24 مايو، 2011م .
[2] مصطفى محمود سر الوجود : لوتس عبد الكريم، ص137 .
[3] المصدر السابق : ص138 .

لقد أجاد الدكتور مصطفى محمود في أداء دوره من خلال برنامج العلم والإيمان، كما أجاد من قبل من خلال مؤسساته الخيرية، وكما أجاد من خلال كتبه ومنشوراته .

المطلب الثاني

مؤلفاته

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً، ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**"[(1)] .

يُعد الدكتور مصطفى محمود على مستوى الساحة العربية والإسلامية من المكثرين في الكتابة والتأليف، ومن الذين تتزين المكتبة العربية والإسلامية بكتبهم، بل يُعتبر الإنتاج الفكري لهذا الرجل من أكثر الإنتاج مبيعاً وانتشاراً، ومن أكثر الكتاب في إعادة طباعة كتبهم، حتى أننا نجد أن من كتبه ما زادت طباعتها على (15) طبعة، وقد أشادت به مجلة الفيصل واعتبرته علامة بارزة[(2)] .

من خلال متابعة ما تركه مصطفى محمود من تراث فكري وأدبي تجاوز التسعين كتاباً في شتى صنوف الكتابة، القصة والرواية والدراسة والبحث، والمقالة والمسرحية، "تقديراً لمكانه الموقور، فقد استحق الحصول على جائزة الدولة التشجيعية في عام 1970م، وحصل على نيشان الفنون والآداب مرتين، أولاهما من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، والثانية من لاحقه الرئيس المرحوم أنور السادات"[(3)] .

وحياة مصطفى محمود الإبداعية تنقسم إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى تشمل النصف الأول من حياته من عام 1950م، حتى عام 1970م، ويغلب عليها الطابع الأدبي وتتمثل في إبداعاته الأدبية التي أصدرها، من قصة قصيرة ورواية ومسرحية وأدب رحلات وأدب خواطر، وإن تخللتها بعض المؤلفات التي يغلب عليها طابع الدراسات العلمية والفلسفية، ويُمكن حصر هذه الأعمال فيما يلي :

أولاً . القصص القصيرة : وتمثلت في المجموعات القصصية التالية :

1. أكل عيش (1953-1954م) .
2. عنبر 7 (1955-1957م) .
3. شلة الأنس (1962-1964م) .

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب (العلم)، باب (ما جاء في فضل الفقه على العبادة)،ح (2823)،153/4، وقد صححه.

(2) مجلة الفيصل السعودية : العدد 326، أكتوبر، 2003، ص22 .

(3) مصطفى محمود سؤال الوجود : لوتس عبد الكريم، ص86 .

4. رائحة الدم (1965–1966م) .

ثانياً . الروايات : وتمثلت في الروايات التالية :

1. المستحيل (1964م) .
2. الأفيون (1964م) .
3. العنكبوت (1965م) .
4. الخروج من التابوت (1965م) .
5. رجل تحت الصفر (1966م) .

ثالثاً . المسرحيات : وتمثلت في المسرحيات التالية :

1. الإسكندر الأكبر (1963م) .
2. الزلزال (1963م) .
3. غوما (1968م) .
4. الشيطان يسكن بيتنا (1973م) .

رابعاً . أدب الرحلات : وتمثلت في الكتب التالية :

1. الغابة (رحلة إلى أفريقيا الاستوائية – 1963م) .
2. مغامرات في الصحراء (رحلة إلى الصحراء الكبرى – 1969م) .
3. المدينة أو حكايات مسافر (مجموعة سفريات إلى أوروبا بين عامي 1956– 1968م) .

خامساً . المقالات الأدبية والوجدانية : وهي خواطره الأدبية وتأملاته الوجدانية والفكرية وتحليلاته وردوده على رسائل القراء العاطفية التي كان ينشرها في مجلة صباح الخير، وتتمثل في الكتب التالية :

1. في الحب والحياة (1961–1966م) .
2. يوميات نصف الليل (1961–1966م) .
3. اعترفوا لي (1956–1959م) .

4. 55 مشكلة حب (1960–1966م) .

5. اعترافات عشاق (1956–1969م) .

وقد تخللت هذه المرحلة من حياة مصطفى محمود الأدبية عدة مؤلفات تمثل الإرهاصات الأولى للجانب الفكري والتأملي والعلمي الذي سيتضح في النصف الثاني من حياته، وتمثل ذلك في المؤلفات التالية :

1. الله والإنسان (مجموعة مقالات كتبت عام 1955م) .
2. إبليس (دراسة كتبت عام 1957–1958م) .
3. لغز الموت (دراسة كتبت عام 1958–1959م) .
4. لغز الحياة (دراسة كتبت عام 1967م) .
5. الأحلام (دراسة كتبت عام 1961م) .
6. آينشتاين والنسبية (دراسة كتبت عام 1961م) .[1]

من الملاحظ لهذا الإنتاج الغزير، والمتنوع للدكتور مصطفى محمود أنه لم يخل من الأفكار الفلسفية والرؤى الدينية، غير أنها تعبر عن موقف فكري للأديب الفنان الذي يُجسد لنا قصة الصراع بين العلم والدين، فيعارض الفهم الخاطئ للدين، ويؤكد على أن الفهم العلمي والمعرفة العلمية لا تناقض جوهر الدين الصحيح[2] .

في هذه المرحلة الإبداعية حاول مصطفى محمود أن يخوض في القضايا الرئيسية للإنسان، مثل موقف الإنسان من الطبيعة، وموقفه من الله، وموقفه من الروح والجسد، إلا أنه يكتشف في كل مرة أن العلم لم يُقدم الحل النهائي لمشكلة الإنسان في هذا الوجود، فما زالت هناك مجهولات كبرى تواجه العقل الإنساني، هذه المجهولات حاول في النصف الثاني من عمره أن يبحث لها عن إجابات[3] .

والباحث إذ يقوم بتتبع ما كتبه مصطفى محمود فهذا ليس معناه الموافقة على ما ورد في هذه الكتب من أفكار وآراء، وليس من صميم عمل الباحث نقد كل ما كتب الرجل .

---

(1) انظر : مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، 18-20 .
(2) المصدر السابق : ص21 .
(3) المصدر السابق : ص22 .

المرحلة الثانية من الحياة الإبداعية لمصطفى محمود ما بين عامي (1970-2009م)، وهي ما يُسميها برحلة اليقين، وقد سبقت هذه المرحلة حينما قام بنشر كتابه (القرآن محاولة لفهم عصري)، عام 1969م، وقد أثار هذا الكتاب جدلاً كبيراً في الساحة الفكرية والثقافية، قام بالرد عليه مجموعة من العلماء على رأسهم الشيخ عبد المتعال الجبري، وبنت الشاطئ، والشيخ مصطفى الحديدي الطير، بعد ذلك توالت كتاباته وأعماله الفكرية والتي خاض في غمارها القضايا الجدلية الشائكة متسلحاً بعمق إيمانه، وثبات يقينه بعد أن وصل إلى شاطئ الإيمان الصادق بعد رحلة مضنية في دروب الشك والتساؤل والحيرة والضياع[1] .

ومن ثمرة هذه المرحلة :

1. رحلتي من الشك إلى الإيمان (1970م) .
2. الطريق إلى الكعبة (1971م) .
3. الله (1972م) .
4. التوراة (1971م) .
5. الشيطان يحكم (1965-1970م) .
6. رأيت الله (1973م) .
7. الروح والجسد (1973م) .
8. حوار مع صديقي الملحد (1974م) .
9. الماركسية والإسلام (1975م) .
10. محمد صلى الله عليه وسلم (1975م) .
11. السر الأعظم (1975م) .
12. الطوفان (1976م) .
13. الوجود والعدم (1977م) .
14. من أسرار القرآن (1977م) .
15. لماذا رفضت الماركسية (الثانية 1976م) .

---

[1] المصدر السابق : ص27 .

16. نقطة الغليان (1977م) .

17. عصر القرود (1977م) .

18. القرآن كائن حي (1978م) .

ثم انهمرت مؤلفاته بعد ذلك، فكانت كالنهر الجاري المليء باللآلئ والكنوز، وهي كما يلي :

19. الإسلام في خندق (1994م) .

20. زيارة للجنة والنار .

21. عظماء الدنيا وعظماء الآخرة (الطبعة السادسة – 1996م) .

22. علم نفس قرآني جديد (1998م) .

23. الإسلام السياسي والمعركة القادمة (1997م) .

24. المؤامرة الكبرى .

25. عالم الأسرار .

26. على حافة الانتحار (الخامسة 1996م) .

27. أكذوبة اليسار الإسلامي (1978م) .

28. نار تحت الرماد (2008م) .

29. أناشيد الإثم والبراءة (السابعة 1999م) .

30. جهنم الصغرى (2005م) .

31. من أمريكا إلى الشاطئ الآخر (2008م) .

32. أيها السادة اخلعوا الأقنعة .

33. الإسلام ، ما هو (2008م) .

34. هل هو عصر الجنون .

35. وبدأ العد التنازلي (الخامسة 2002م) .

36. حقيقة البهائية (الثانية 1992م) .

37. السؤال الحائر (2008م) .

38. سقوط اليسار (الثالثة 1998م) .

39. قراءة للمستقبل (1997م) .

40. السيرك السياسي (1997م) .

41. على خط النار (2000م) .

42. كلمة السر .

43. الشفاعة (1999م) .

44. الطريق إلى جهنم .

45. الذين ضحكوا حتى البكاء (1997م) .

46. المسيح الدجال (2004م) .

47. حياتي وفكري، آرائي ومواقفي .

48. سواح في دنيا الله (2000م) .

49. إسرائيل البداية والنهاية .

50. ماذا وراء بوابة الموت (1999م) .

51. الغد المشتعل (الثالثة 1995م) .

52. تأملات في دنيا الله .

53. المؤامرة الكبرى .

54. إسرائيل النازية ولغة المحرقة (2001م) .

55. على حافة الزلزال (2002م) .

ومن خلال النظرة السريعة على مؤلفات المرحلة الثانية من حياة مصطفى محمود نجد أنها كانت تتمحور في "الدعوة إلى المواءمة بين الدين والعلم، أو بمعنى أدق أن العلم لا يناقض الدين، بل إن الإسلام في جوهره يدعو إلى العلم والتفكير والابتكار، بالإضافة إلى مواجهته غير المسبوقة للصهيونية .

والرد على الدعاوى التي تزعم أن هناك تعارضاً وتصادماً بين الدين والنظريات العلمية، ونحن في عصر المخترعات والمكتشفات العلمية الباهرة"[1] .

لقد قام الدكتور مصطفى محمود من خلال كتبه "يكشف الضلال الذي بثه أدباء وعلماء الغرب في مؤلفاتهم، والذي انبهر به بعض المسلمين للأسف الشديد، مثل فكر سارتر وصموئيل بيكيت[2]، وكل منهما حائز على جائزة نوبل في الأدب، وهما من الملحدين المنكرين لوجود الله، وعالم النفس فرويد[3]، الذي ما زالت نظرياته تدرس للطلبة في المدارس والجامعات، وداروين صاحب نظرية التطور، وامتد جهاد كاتبنا في كشف الحقائق أمام القارئ إلى تناول أكبر شاعر عربي هو المتنبي بالدراسة، وتنبيه القارئ إلى شخصية المتنبي الخافية على أكثر الناس، والذي ملأ الدنيا وشغل الناس، وتناول أيضاً الفن والشعر الحديث وأموراً كثيرة"[4] .

بعد هذا العرض لمجمل ما كتب الدكتور مصطفى محمود ما بين قصص وروايات ومسرحيات وأدب رحلات ومقالات تأملية ووجدانية، وكتب فكرية ودراسات نقدية، بعد هذا التجوال تبدو للباحث مجموعة من الحقائق أجملها فيما يلي :

- أن مصطفى محمود يعتبر موسوعة أدبية وثقافية أثْرت بها المكتبة العربية إثراءً واضحاً.
- التحول الذي حدث للكاتب في منتصف حياته الإبداعية، كان تحولاً إيجابياً .
- كان جل اهتمام مصطفى محمود أن يوصل فكرة معينة للناس، وهي أنه لا صراع بين الدين والعلم، وأن الإسلام دين علم ومعرفة .
- يُؤخذ على مؤلفات مصطفى محمود أحياناً ضعف التأصيل الديني لبعض القضايا التي يطرحها، وهذا يرجع إلى أن الرجل ليس عالم دين أو شيخ أزهري، بل هو أديب ومفكر رغب في أن يخدم دينه ومجتمعه .
- سهولة أسلوب الكاتب وطريقته في طرح القضايا والقدرة على الإقناع، لعب دوراً كبيراً في نجاح الكاتب .

---

(1) مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص28 .

(2) صمونيل بيكيت : (1902 _ 1989)، روائي ايرلندي، ولد في مدينة دبلن، من رواد الحركة التجريبية الأدبية في القرن العشرين، وكاتب مسرحي، وناقد و شاعر، اشتهر بالكتابة للمسرع العبثي، يغلب على كتاباته التشاؤم والكآبة والسواد، له كثير من المؤلفات، نال عام 1969م جائزة نوبل للآداب. (ويكبيديا الموسوعة الحرة).

(3) فرويد : (1856– 1939 م) عالم نفسي نمساوي، مؤسس مدرسة التحليل النفسي، كان يعالج مرضاه بالمخدرات حتى أنه أخذ جرعة زائدة فأدت إلي موته، صاحب القول بعقدة أديب، له كتب كثيرة منها (تفسير الأحلام)، و(مدخل إلى التحليل النفسي)، وغيرها كثير. (الموسوعة العربية،1297/2) .

(4) مصطفى محمود والتصوف : أحمد الجزار، ص28 .

- التـزامن فـي النجـاح لمـا كـان يكتـب، ولبرنامجـه التلفزيـوني **(العلـم والإيمـان)**، زاد مـن التواصل بين الناس والرجل .

- ساعدته بعض الظروف السياسية، الأولى خلافاته مع عبد الناصر، والثانية صداقاته مع أنور السادات .

المطلب الثالث

منهجه في الكتابة والتأليف

يُعتبر مصطفى محمود من أكثر الكتاب والمؤلفين إنتاجاً وإبداعاً، من ناحية التنوع في الموضوعات المطروحة، ومن ناحية الكم الكبير الذي كتبه من الكتب والمؤلفات، فقد كتب في العديد من العلوم والموضوعات، وقد بلغت كتبه الـ (98) كتاباً، ومقالاته بلغت المئات .

وقد تميزت كتابته بمميزات خاصة به ميّزته عن غيره من الكتاب المعاصرين له، ومن خلال دراستي لتراث الرجل توصلت لجملة من الأمور منها :

1. سهولة أسلوبه وقدرته على تطويع الكلمات مما جعل كتاباته تلقى رواجاً على جميع المستويات العمرية والمثقفين وغيرهم، ومثل هذه النوعية من الكتابة يكون تأثيرها واضحاً ومجدياً.
2. بُعده وتجنبه لإثارة نقاط الخلاف خلال طرحه لأي قضية دينية أو فكرية، ومحاولته توصيل المعلومة للقارئ دون إرهاق ومتاهات الخلاف.
3. تناوله للقضايا الملحة في حياة القارئ، بعيداً عن عالم الخيال والوهم الخادع، فهو يحرص على ما ينفع وهذا يتوافق مع توجيهات النبي عليه السلام .
4. إعلاء قيمة العقل ومحاولة إقحامه في كل الأمور، وعدم التفريق في ما للعقل له علاقة وما لا علاقة للعقل فيه.
5. أحياناً كثيرة يعيد تكرار الموضوع نفسه في أكثر من كتاب دون زيادة أو تغيير.
6. طباعة كتبه طبعات عدة دون إضافة أو إعادة نظر أو تصحيح لما يلزم تصحيحه.
7. يعاب عليه عدم توثيقه للمعلومة المنقولة من غيره، وبالتالي الصعوبة في الرجوع إلى مصادره الناقل عنها، بالإضافة إلى عدم إحالة الأقوال لأصحابها .
8. عدم وجود ثبت بالمراجع التي استعان بها أثناء كتابته لموضوعاته.

المطلب الرابع

أقوال المعاصرين فيه

نادراً ما تنال شخصية عامة الاتفاق على الاحترام والتقدير كما نال مصطفى محمود من احترام وتقدير، مع الحق في الاختلاف معه، كان مصطفى محمود عَلماً من أعلام الفكر والأدب والصحافة والدعوة والأعمال الخيرية، التف من حوله كل من قرأوا له كتاباً أو شاهدوا له برنامجاً تليفزيونياً، أعجبوا به وأظهروا له أثناء حياته وبعد مماته، أظهروا له الحب والاحترام ورثوه بعد موته بأصدق الكلمات.

ولا ينقص من قدر الرجل بعض الأخطاء الاجتهادية التي وقع فيها، وكانت سبب خلافات كبيرة بينه وبين بعض العلماء في لحظة معينة.

أولاً . أقوال من مدحه : لقد مدحه معاصروه وقالوا فيه مقالة حق، سأقتصر على بعضهم :

1. قال عنه الشيخ نصر فريد واصل، مفتي الديار المصرية :

"الدكتور مصطفى محمود رجل علم وفضل ومشهود له بالفصاحة والفهم وسعة الاطلاع، والغيرة على الإسلام، فما أكثر المواقف التي أشهر قلمه فيها للدفاع عن الإسلام والمسلمين والذود عن حياض الدين، وكم عمل على تنقية الشريعة الإسلامية من الشوائب التي علقت بها، وشهدت له المحافل التي صال فيها وجال دفاعاً عن الدين"[1] .

2. قال عنه الشيخ حسن مأمون، شيخ الأزهر الشريف :

"الكاتب عني بتمجيد العقل والعلم والحرية، وإظهار أثرها في تقدم الفرد والأمة، وهذه دعوة لا ننكرها عليه، ولا ينكرها الدين الإسلامي، وهو يدعو إلى تعاون السياسي اليقظ والمفكر الحر ورجل الدين العصري"[2] .

3. قال عنه الكاتب والأديب كمال النجمي [3]

"تحدثت إليه كثيراً، وناقشته مراراً، بحثت عن دوافعه وحوافزه إلى الكتابة عن الدين والتصوف لعلي أجد في هذه الدوافع الحوافز خبيئاً، أو أكشف وراءها دليلاً على التصنع

---

(1) دار الإفتاء المصرية : 1999/5/15م .

(2) دار الإفتاء المصرية : فتوى رقم (1116)، بتاريخ، 1957م .

(3) كمال محمد النجمي : (1923-1998م)، شاعر وصحفي مصري، تنقل في عدة بلدان، له كثير من الأعمال الشعرية والنثرية، فازت أعماله بأكثر من جائزة، من الشعراء الذي ذاع سيطهم لعذوبة شعرهم . (ويكبيديا الموسوعة الحرة).

والتلاعب بالكلام، ولما فاتني هذا المطلب منه صبرت حتى رأيته يواجه بزهده وتصوفه موقف اختبار أو موقف اختيار حاسم، فيكشف فيه الزاهد والمتصوف، وقد أثبت بالفعل لا بالقول أنه زاهد في كل مظاهر الدنيا التي رأينا بعض المفكرين وحملة الأقلام من أبناء جيلنا يسكرون بها حتى الثمالة"[1].

4. ويقول الكاتب المتصوف أحمد كمال الجزار :

"مصطفى محمود أحد المبدعين، جهل حقيقته كل من كتبوا عنه، ولم يعرفوا السر الذي يكمن وراء بساطته وعفويته وسهولة فهم عبارته ومضمون أعماله الإبداعية، وحب الناس له، الصغير منهم والكبير، حتى أصبح قدوة لكثير من أولادنا وشبابنا الصادقين، ونجا من الفخ الذي ينصبه الشيطان لكل صاحب موهبة إبداعية"[2] .

5. قال عنه الشيخ الإمام محمد زكي إبراهيم[3]

"مصطفى محمود رجل ظلمه الأدباء لدينه، وظلمه العلماء لأدبه، وما يحسبونه عليه من أخطاء هي له وليست عليه" [4] .

6. قال عنه الكاتب ثروت أباظة :

"وجد الدكتور مصطفى محمود نفسه في النهج الذي انتهجه، ووجد الشباب فيه ضالتهم التي كانوا يتلمسون، فتوافق على يديه العلم الحديث والإيمان العميق، وقد توفرت عند الدكتور مصطفى كل الأدوات التي تمكنه من مخاطبة الشباب، فهو طبيب في دراسته، فنان في هوايته، صوفي في عقيدته، وبهذه المقومات جميعاً خاطب الشباب فأحبوا ما يكتب "[5] .

8. قال عنه عمر بطيشة :[6] "هو أحد اثنين والثاني هو الشيخ الشعراوي، استطاعا النفاذ إلى كل عقل وقلب في هذا العصر، فمؤلفاته من أكثر الكتب توزيعاً، وأحاديثه يلتف حولها الصغير والكبير، والمتعلم وغير المتعلم، والمسلم وغير المسلم"[7] .

---

(1) مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص101 .

(2) مصطفى محمود والتصوف : أحمد الجزار، ص41 .

(3) محمد زكي إبراهيم : (1916-1998م)، صوفي مصري، ولد في القاهرة، في بيت علم شرعي وتصوف، حفظ القرآن، وتخرج من الأزهر، برع في علوم القرآن وعلوم الحديث والفقه، اشتغل بالتدريس الجامعي، له كثير من الكتب والمؤلفات . (ويكبيديا الموسوعة الحرة).

(4) مصطفى محمود والتصوف : أحمد الجزار، ص6 .

(5) مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص115 .

(6) عمر بطيشة : (1943- م) ، شاعر وإذاعي مصري، ولد في دمنهور، تخرج من جامعة الإسكندرية، كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، له مجموعة من دواوين الشعر، وله برنامج إذاعي (شاهد على العصر)، نال عدة جوائز تقديرية . (ويكبيديا الموسوعة الحرة).

(7) شاهد على العصر : عمر بطيش، أخبار اليوم، 1984م، الأولى، ص70 .

ثانياً . أقوال انتقده :

1. قال عنه الدكتور عبد المهدي عبد الهادي – من علماء الأزهر :

إن مشكلة الدكتور مصطفى محمود وغيره من منكري الشفاعة والسنة أنهم يكتبون في غير تخصصهم، لهذا ليس عنده تصور لما يكتب فيه. [1]

2. قال عنه الشيخ مصطفى الحديدي الطير :

أخرج الدكتور مصطفى محمود القرآن عن ظاهره في أمور خطيرة، وأن المخالفات التي جاءت في كتابه كانت ناشئة عن أن ما عالجه لم يكن واضح الصورة لديه "[2] .

3. قال عنه الدكتور حسن الحويني – من علماء الأزهر :

العجيب أنه نصب نفسه عالماً من علماء الدين وهو بعيد عن ذلك غاية البعد، يتشدق في جرأة يحسها المرء، ويلمسها في لهجته ووقع عبارته، فهو يلفق الأحاديث المختلفة في نص واحد، يستخف فيه بعقول العامة. [3]

4. قال عنه عبد المتعال الجبري :

"سر الخطأ عدم ارتباطه بقواعد اللغة العربية في فهم القرآن، وعدم تعرف وجوه القراءات"[4]

---

[1] انظر : الرد على مصطفى محمود : عبد المهدي عبد الهادي – ص24.

[2] انظر : اتجاه التفسير في العصر الحديث : مصطفى الحديدي الطير، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، 1974م، ص171 .

[3] الرد على مصطفى محمود : حسن الحويني – ص9-11.

[4] شطحات مصطفى محمود : عبد المتعال الجبري – ص47.

الفصـــل الثـانـــــي

آراء مصطفى محمود ومعتقداته

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : حرية الاعتقاد .

المبحث الثاني : آراؤه في الإلهيات .

المبحث الثالث : موقفه من القضاء والقدر.

المبحث الرابع : آراؤه في النبوات .

المبحث الخامس : آراؤه في الغيبيات .

المبحث الأول

حـريـة الاعـتـقـاد

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : حقيقة حرية الاعتقاد .

المطلب الثاني : رأي مصطفى محمود في حرية الاعتقاد .

المطلب الأول

حقيقة حرية الاعتقاد

قبل أن أبدأ بالبحث عن آراء مصطفى محمود أرغب في التنويه إلى أمر ذي أهمية كبيرة؛ ألا وهو أن كاتبنا رجل أديب ومفكر وليس عالماً أكاديمياً متخصص في مجال الدراسات الإسلامية، والفرق وعلم الكلام، وبالتالي لا نستطيع أن نحاكم أفكاره وأقواله بنفس الميزان الذي نحاكم ونناقش به أفكار وأقوال غيره من ذوي الاختصاص.

فالرجل لم يتناول من خلال كتبه أو مقالاته الفرق الكلامية، أو القضايا الخلافية بين علماء العقيدة على الإطلاق.

حقيقة الحرية في اللغة : مصدر للفعل حُرّ، والحر من الرجال خلاف العبد مأخوذ من ذلك لأنه خلص من الرق، وجمعه أحرار، ورجل حر بيّن الحرية. [1] والحرية هي حالة الإنسان الحر، وهي بمعنى خلوص الشئ من كل ما يخالطه. [2]

حقيقة الحرية في الاصطلاح : عرّفها الجرجاني بأنها : "الخروج عن رق الكائنات، وقطع جميع العلائق والأغيار" [3]

عرّفتها الموسوعة الإسلامية بأنها : "حالة إسلامية إيمانية يكون الإنسان فيها قادراً على فعل شئ أو تركه بحسب إرادته واختياره، في إطار التزامه بالمنهج الإسلامي عقيدة وسلوكاً، فهي خلاف العبودية لما سوى الله سبحانه وتعالى" [4]

حقيقة العقيدة في اللغة : أصلها عقد، تأتي بمعنى التوكيد والتوثيق والإبرام والجمع، والعقيدة ما يَدين الإنسان به وله [5]

حقيقة العقيدة في الاصطلاح : عرّفها الكرمي بأنها "ما يؤمن به الإنسان في قلبه دون العمل"[6]

حقيقة حرية الاعتقاد : "الحرية هي سلطة التصرف في الأفعال عن إرادة وروية، لاختيار ما يراه صاحبها من أقوال وأفعال دون إكراه أو إجبار أو قسر خارجي"[7] .

---

(1) انظر المصباح المنير : أحمد المنوفي، ص 128.
(2) انظر : الهادي إلى لغة العرب : حسن الكرمي، دار لبنان للطباعة ، بيروت ، الأولى، 1991م، 441/1.
(3) التعريفات : الجرجاني، ص146.
(4) الموسوعة الإسلامية العامة: ص536.
(5) انظر المصباح المنير : أحمد المنوفي، ص421.
(6) الهادي إلى لغة العرب : حسن الكرمي، 242/3.
(7) الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية : محمد الزحيلي - مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية، المجلد 27، العدد الأول، 2011، ص374 .

والاعتقاد : "هي الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقيناً عندك لا يمازجه ولا يخالطه شك"[1] .

أهمية حرية الاعتقاد :

وحرية الاعتقاد : "هي أن يملك الإنسان ويختار ما يرضاه من الإيمان والنظر للكون والخالق والحياة والإنسان، دون إكراه أو قسر أو فرض عليه، وقد ترد لفظة العقيدة بمعنى : حرية الاعتقاد الديني"[2] .

والنصوص الشرعية واضحة في هذا الأمر، ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (سورة البقرة : 256)، والآية تتحدث عن الدعوة إلى حسن الاختيار وتحمل الإنسان لمسؤولية اختياره ، ومنها قوله تعالى : ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة يونس : 99) .

وهناك غير هذه الآيات من النصوص .

والإنسانية "لم تعرف حقوق الإنسان بشكل كامل حقيقة وواقعاً بشكل صادق وعملي إلا بعد ظهور الإسلام ودعوته الإنسانية العالمية، وبموجب النصوص في القرآن الكريم والسنة النبوية، وما ورد فيهما من تكريم الإنسان، وتفضيله على سائر المخلوقات، وتسخير ما في الأرض والسماء له، والدعوة إلى المساواة بين الشعوب والقبائل، والمحافظة على حقوق الإنسان إيماناً وعقيدة وعبادة، وممارسة وتقرباً إلى الله وزلفى، وعبودية لله وحده التزاما بالأحكام والتشريع"[3] .

في حين لم تعرف المجتمعات والنظم السياسية الغربية مثل هذه الحرية حتى جاءت الثورة الفرنسية ووضعت وثيقة حقوق الإنسان والمواطن عام 1789م، والتي تضمنت إشارة عامة عن حرية العقيدة، ثم من بعدها أخذت تظهر الوثائق والدساتير المتحدثة عن حقوق الإنسان ومن ضمنها حرية العقيدة.

"إن مكانة الحرية الدينية في الإسلام في نظرته للإنسان عامة، في عقله وإرادته تتأكد في نظرة الإسلام لغير المسلمين وتقدير مكانتهم الإنسانية ولو كانوا مخالفين للمسلمين في الدين والعقيدة، ومنحهم حرية الاعتقاد والبقاء على دينهم .

---

(1) رسالة العقائد، من مجموع الرسائل : حسن البنا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص379 .
(2) الحريات في النظام الإسلامي : حسن محمد سفر، مطابع سحر، الأولى، 1996، ص29 .
(3) الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية : محمد الزحيلي، ص380 .

فالإسلام لا يُلزم الإنسان البالغ العاقل على الدخول فيه، مع القناعة واليقين أن الإسلام هو الدين الحق المبين، وأن عقيدته هي الصواب والصراط المستقيم ودين الفطرة، والمنزل من الله تعالى والمتفق مع العقل، ومع ذلك يترك لغير المسلم حرية الاعتقاد، واختيار الدين الذي يريده، على أن يتحمل نتيجة هذا الاختيار ومسؤوليته"[1] .

ومع حرص الإسلام على بيان الحق وإظهار محاسنه إلا أنه يترك للآخرين الحرية المطلقة في اختيار ما يرغبون من العقيدة والدين، وفي نفس اللحظة يعمل جاهداً على احترام بيوت العبادة لغير المسلمين، فلغير المسلم الحق المطلق في ممارسة عبادته داخل أماكن عبادتهم دون أن يتعرض لهم ولا لبيوتهم بأي أذى، والوثيقة التي أبرمها عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع نصارى بيت المقدس خير شاهد على هذا .

هذه القيم الإسلامية لا نجد لها مثيلاً عند أصحاب الأديان الأخرى، ولا حتى عند النظم السياسية الحديثة المدعية الحرية والديموقراطية في معاملتهم مع غيرهم، وخصوصاً المسلمين، وما عمليات القتل والإقصاء الديني التي تحدث هنا وهناك إلا مثالاً حياً وواضحاً على ذلك .

(1) الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية : محمد الزحيلي، ص386 .

المطلب الثاني

رأي مصطفى محمود في حرية الاعتقاد

قضية حرية الاعتقاد في فكر مصطفى محمود :

تناول مصطفى محمود هذه القضية في أكثر من كتاب من كتبه، فقد تناولها في كتابه "**القرآن محاولة لفهم عصري**"، وفي كتابه "**لغز الموت**"، وفي كتابه "**الله**"، وفي كتابه "**الشيطان يحكم**"، وفي كتابه "**حوار مع صديقي الملحد**"، وغيرها من المقالات الكثيرة في الصحف والمجلات، ومن خلال برنامجه التلفزيوني "**العلم والإيمان**".

لهذا نجد أن الدكتور مصطفى محمود يركز تركيزاً كبيراً على أن الإسلام دين لا يَقهر ولا يرغم أحداً على اعتناقه واتباعه، بل هو يترك مطلق الحرية للناس في اتباعه أو عدم اتباعه .

فنراه يقول في كتابه حوار مع صديقي الملحد : "ويؤكد هذه الحرية ما نشعر به من استحالة إكراه القلب على شيء لا يرضاه تحت أي ضغط، فيمكنك أن تكره امرأة بالتهديد والضرب على أن تخلع ثيابها، ولكنك لا تستطيع بأي ضغط أو تهديد أن تجعلها تحبك من قلبها، ومعنى هذا أن الله أعتق قلوبنا من كل صنوف الإكراه والإجبار، وأنه فطرها حرة .

ولهذا جعل الله القلب والنية عمدة الأحكام، فالمؤمن الذي ينطق بعبارة الشرك والكفر تحت التهديد والتعذيب لا يحاسب على ذلك طالما أن قلبه من الداخل مطمئن بالإيمان، وقد استثناه الله من المؤاخذة في قوله : ﴿**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾ (سورة النحل : 106) .

وهذه الحرية حقيقة ودليلنا عليها هو شعورنا الفطري بها في داخلنا، فنحن نشعر بالمسؤولية وبالندم على الخطأ وبالراحة للعمل الطيب، ونحن نشعر في كل لحظة أننا نختار ونوازن بين احتمالات متعددة، بل إن وظيفة عقلنا الأولى هي الترجيح والاختيار بين البديلات"[1] .

الحقيقة أن الله فطر النفس الإنسانية على الدين وليس على الحرية، ومن خلال الدين ينال الإنسان حريته .

ويؤكد مصطفى محمود على ارتباط الجزاء بالعمل فيقول : "يحاسب الله النفس على إجرامها وشرها لأنه لم يخلقها مجرمة ولم يجعلها شريرة، وإنما هي التي اختارت الشر وأضمرت الإجرام منذ الأزل، وقبل أن يعطيها الجسد لتفعل ولا تفعل"[2] .

---

(1) انظر : حوار مع صديقي الملحد : مصطفى محمود، دار المتوسط للنشر والتوزيع – بيروت - ص12-13 .
(2) على حافة الانتحار : مصطفى محمود، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، 1996، ص169 .

ثم نجده يركز على ثلاثة أمور :–

1 . علاقة الإيمان بالإرادة :

يعلن كاتبنا بوضوح : "لقد رفض الله أن يُكره الناس على الإيمان، وكان هذا في إمكانه، ولكنه أراد للإنسان أن يكون حراً مختاراً، يختار الإيمان أو الكفر، ﴿**وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ (سورة الكهف : 29) .

إن الله يتركنا ولو اخترنا العمى على الهدى، وبهذه الحرية التي قبلها الإنسان مختاراً حقت عليه المسؤولية والمحاسبة"[1] .

الصواب أن يقول : لقد أبى الله بدلاً من لقد رفض الله .

قال تعالى:﴿**إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**﴾ (سورة الشعراء:4).

لو شاء الله لفعل ولكنه لم يفعل، لأنه لم يشأ أن يقهرنا على إيمان فتنتفي بذلك حرية الاختيار التي جعل منها جوهر وجودنا، فقد أراد لنا أن نكون أحراراً نؤمن أو نكفر .

2 . موقف إبليس :

وبخصوص إبليس يُبين كاتبنا أن الله "لم يجعل الله إبليس إبليساً، وإنما إبليس اختار لنفسه الكبرياء والجبروت والتعاظم حينما رفض أن يكون في خدمة آدم مثل بقية الملائكة، و﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ (سورة ص : 76)، اختار إبليس لنفسه الغرور بغير علم ولا حق، فاختاره الله ليغرر بالناس، وقضى عليه قضاء من جنس ضميره . وبالمثل أبصر النقاء والطهر في قلب محمد فاختاره نبياً للهداية"[2] .

يرى الباحث أن إبليس رفض الاستجابة لأمر الله بالسجود، وليس لأمر خدمة آدم، أمر آخر أن الجزاء يكون على العمل وليس على ما يضمر الإنسان، فالصواب أن نقول : وقضى عليه قضاء من جنس عمله وليس ضميره .

3 . التسيير والتخيير :

وتحت عنوان الإنسان مسير أم مخير كتب الدكتور مصطفى محمود قائلاً : "الحرية عملية مرتبطة باحتكاك الإنسان ببيئته وبظروفه، فإذا لم توجد العوائق أو الصراع لم تظهر الحرية، ولم يكن لها معنى أو وجود، فوجود قيود الحاجة والفقر والقانون والأديان والتقاليد أمر حتمي.

---

[1] انظر : القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود - دار الشروق – بيروت – 1970- ص32-34 .
[2] انظر : المصدر السابق : مصطفى محمود، ص46 .

كما تمارس ظاهرة الحرية وجودها من خلال كل تلك القيود، ولهذا فمن العبث اعتبار الإنسان مسيّر بسبب هذه الضغوط، ولا يحق للقارئ أن يصرخ لأنه لا يمتلك إلا الكفاف قائلاً : لقد فقدت حريتي، أين حريتي، بل لقد وجدت حريتك ما دمت قد وجدت الكفاف، فما يزيد على الكفاف ليس حرية بل عبودية"[1] .

ثم نجده يقع في مخالفة ظاهرة لما هو ثابت عندنا من أن الناس يولدون على فطرة الإيمان وليس الكفر، وبالتالي ليس صحيحاً قوله بوجود نفوس أضمرت الشر منذ الأزل، فهذا القول زعم من غير دليل، وهو يخالف القول بأن الإنسان خيّر بطبعه، وأن الكفر والشر طارئان عليه .

يخلط كثير من الناس في التعامل مع قضية الحرية، بين الحرية الاجتماعية والسياسية والحرية الاعتقادية، ظناً منهم أن لهم الحق في اختيار ما يرونه مناسباً لهم حتى في مجال الدين، فالمسلم له الحرية أن يختار ما يراه مناسباً له من مسكن وطعام وشراب وعمل وعلاقات اجتماعية، أما بخصوص المعتقد فما دام اختار الإسلام ديناً فلا يجوز له تركه والتحول لغيره من الأديان لأنه بهذا يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير .

مع هذا أجاد الدكتور مصطفى محمود في طرح قضية حرية الاعتقاد طرحاً سلسلاً سهلاً، ومقنعاً، موضحاً أن الإسلام يُعلي من قدر الإنسان، واختياراته ولا يفرض عليه قناعاته إجباراً، وأن للإنسان في الإسلام القيمة والكرامة .

---

[1] انظر : لغز الموت : مصطفى محمود - دار العودة - بيروت - 1972 ص56 .

المبحث الثاني

آراء مصطفى محمود ومعتقداته

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول** : أدلة وجود الله تعالى، وطرق معرفته .
- **المطلب الثاني** : موقفه من أسماء الله الحسنى، وصفاته.

المطلب الأول

أدلة وجود الله تعالى، وطرق معرفته

أولاً . وجود الله تعالى :

من أخطر وأهم القضايا التي ألحت على عقل الإنسان، منذ اللحظة التي بدأ يدرك فيها الأشياء، ويتعرف على العوالم؛ هي قضية وجود إله لهذا الكون، وهي قضية غيبية غير مشهودة أمامه، والغيب كما يقول ابن منظور : كل ما غاب عنك، أو هو كل ما غاب عن العيون، وإن كان محصلاً في القلوب، وغاب الأمر عني غيباً وغيوباً ومُغاباً ومغيباً، والغيب خلاف الشهادة والحضور[1] .

وكان موقف الإنسان من هذه الغيبيات ما بين مؤمن وما بين منكر، "كثيرون هم المؤيدون لعقيدة الغيب، وإن اختلفت طرقهم في الإيمان بهذه العقيدة، فبعضهم آمن بها بصوت الفطرة في نفسه، ومنهم من اعتمد على مبدأ السببية، ومنهم من ناقش القضية مناقشة حسابية رياضية"[2] .

و"الإيمان بوجود خالق لهذا الكون قضية ضرورية لا مساغ للعقل في إنكارها، فهي ليست قضيةً نظريةً تحتاج إلى دليل وبرهان، ذلك لأن دلالة الأثر على المؤثر يدركها العقل بداهة، والعقل لا يمكن أن يتصور أثراً من غير مؤثر، أي أثر، ولو كان أثراً تافهاً، فكيف بهذا الكون العظيم"[3]، من أجل هذا نجد القرآن الكريم لا يولي هذه القضية مع أهميتها، لا يوليها اهتماماً كبيراً، والسبب أنها من مستلزمات الفطرة السليمة، والعقل الصحيح، وحينما طرحها القرآن كان طرحاً مسلماً نتائجه، **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾** (لقمان : 25)، **﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾** (لقمان : 32)، لهذا "كان الله هو الشاغل عند الذين أثبتوه، وعند الذين أنكروه، وعند الذين شكوا في وجوده، وكان موضوع بحث الفلاسفة دائماً بلا استثناء، سواء أرادوا أن يستدلوا على الرفض أو على الإيمان، ولم يختلف حال الفيلسوف عن حال البدائي إلا في الوسائل، كان الفيلسوف يلتمس الطريق بعقله، والبدائي يلتمس الطريق بوجدانه، لكن الله كان مطلب الاثنين على الدوام"[4] .

---

(1) انظر : لسان العرب : ابن منظور، لسان العرب ـ دار الجيل ـ بيروت ـ الأولى ـ 1988م- 654/1 .
(2) عالم الغيب ما بين الوحي والعقل : يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، الأولى، ص48 .
(3) الإيمان بالله : علي محمد الصلابي، دار ابن الجوزي، القاهرة، الأولى، 2012م، ص37 .
(4) الله : مصطفى محمود، دار العودة، بيروت، الأولى، 1972م، ص91 .

يقول الإمام الشهرستاني[1] : "أما تعطيل العالم عن الصانع العليم القادر الحكيم فلست أرها مقالة لأحد، ولا أعرف عليها صاحب مقالة إلا ما نُقل عن شرذمة قليلة من الدهرية، ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع، فما عُدّت هذه المسألة من النظريات التي قام عليها الدليل"[2].

ومن خلال البحث لم نجد لهذه المسألة من طرح خلال القرون الثلاثة المفضلة، حتى دخلت الفلسفة اليونانية إلى بلاد المسلمين، وترجمت كتبهم، فظهرت مسائل علم الكلام، ومن ضمنها مسألة الاستدلال على وجود الله تعالى، وكان من فرسان هذا المجال علماء الكلام المسلمون"[3] .

وقد اعتمد علماء السلف جملة من الأدلة على وجود الله تعالى، منها :

أولاً . دليل الخلق : وخلاصته أن هذا الخلق بكل ما فيه شاهد على وجود الله العلي القدير، **﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ﴾** (سورة الطور : 35-36) .

ثانياً . دليل الفطرة : وخلاصته أن معرفة الخالق والإقرار بوجوده تبارك وتعالى، وربوبيته أمر بدهي مغروس في نفوس الناس وفطرتهم،**﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾** (سورة الروم : 30)، وقال النبي عليه الصلاة والسلام : "**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون لها من جدعاء**"[4] .

ثالثاً . دليل الآفاق : وخلاصته أن هذا الكون بما فيه من سماوات وأرض وما بينهما من نجوم وأقمار، وليل ونهار ورياح وأمطار ونبات وحيوان، كلها من عجائب خلق الله تعالى، وهي جميعها دليل على الخالق العظيم، **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** (سورة فصلت : 53) .

---

[1] الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم (479-548هـ)، ولد في شهرستان، وانتقل إلى بغداد وفي آخر حياته عاد إلى بلدته ومات فيها، إمام من أئمة علم الكلام والفرق، اشتهر بالتصنيف، له كتاب الملل والنحل ونهاية الأقدام، والإرشاد إلى عقائد العباد وغيرها من المصنفات . (الأعلام : الزركلي، 215/6) .

[2] نهاية الأقوام : محمد عبد الكريم الشهرستاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، 1425هـ، ص 123.

[3] انظر : منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة : تامر محمد متولي، دار ماجد للطباعة، السعودية، الأولى، 2004م، ص268 .

[4] أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ح (1385)،245/3، المكتبة العصرية، بيروت، الأولى، 1996م .

رابعاً . دليل الأنفس : وهي الأقرب من كل الموجودات إلى الإنسان، فالتفكير في النفس وما اشتملت عليه من أعضاء، روح وجسد فهي كلها دالة على الخالق عز وجل، ﴿**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ (سورة الذاريات : 21) .

خامساً . دليل الهداية : وخلاصته أن الله هدى كل خلق من خلقه، إنساناً أو حيواناً أو نباتاً أو حشرات إلى ما فيه صلاحه، وإرشاده إلى ما فيه بقاؤه من مطعم ومشرب ومنكح، وتقلبه وتصرفه[1]، قال تعالى : ﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ (سورة طه : 50) .

سادساً . دليل انتظام الكون وعدم فساده : وخلاصته أن انتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل الأدلة على أن مدبره واحد لا إله غيره[2]،﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ (سورة الأنبياء : 22) .

وهناك غيرها من أدلة اكتفيت بذكر أشهرها عند العلماء .

أما أستاذنا الدكتور مصطفى محمود فقد سلك طريقاً مختلفاً بعض الشيء، وخصوصاً أن منهجه ليس هو منهج العلماء المتخصصين، إنما منهجه وطريقته هي أسلوبه الأدبي والفني في عرض الأدلة وبيانها، بعيداً عن منهج المتكلمين وطرائقهم .

ومن الأدلة التي اعتمد عليها مصطفى محمود :

1. دليل قانون السببية:

والذي يقوم على أن لكل صنعة صانعاً، ولكل خلق خالقاً، ولكل موجود موجداً، النسيج يدل على النساج والرسم يدل على الرسام، والنقش على النقاش، والكون بهذا المنطق أبلغ دليل على الإله القدير الذي خلقه[3].

ثم يستطرد مصطفى محمود قائلاً : "الله هو الدليل الذي لا يحتاج إلى دليل، لأن الله هو الحق الواضح بذاته، وهو الحجة على كل شيء، الله ظاهر في النظام والدقة والجمال والإحكام، في ورقة الشجر، في ريشة الطاووس، في جناح الفراشة، في عطر الورد، في صدح البلبل، في ترابط النجوم والكواكب، في هذا القصيد السيمفوني الذي اسمه الكون، لو قلنا أن كل هذا جاء

---

[1] انظر : شفاء العليل : ابن القيم الجوزية، دار الحديث، القاهرة، 2005م، ص173 .
[2] انظر : الصواعق المرسلة : ابن القيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض، الأولى، 1408هـ، 464/3 .
[3] حوار مع صديقي الملحد : مصطفى محمود، ص5 .

صدفة لكنا كمن يتصور أن إلقاء حروف مطبعة في الهواء يمكن أن يؤدي إلى تجمعها تلقائياً على شكل قصيدة شعر لشكسبير بدون شاعر وبدون مؤلف" [1] .

2. دليل الأثر النفسي :

ثم نجده يسوق دليلاً أدبياً بليغاً يبدؤه بسؤال عن معنى أن الله موجود، فيقول : معناه أن يطمئن القلب وترتاح النفس، ويسكن الفؤاد، ويزول القلق، فالحق لا بد واصل لأصحابه .

معناه لن تذهب الدموع سدى ولن يمضي الصبر بلا ثمرة، ولن يكون الخير بلا مقابل، ولن يمر الشر بلا رادع، ولن تفلت الجريمة بلا قصاص .

معناه أنه لا عبث في الوجود، وإنما حكمة في كل شيء، وحكمة من وراء كل شيء، وحكمة في خلق كل شيء، في الألم حكمة وفي المرض حكمة وفي العذاب حكمة، وفي المعاناة حكمة، وفي القبح حكمة، وفي الفشل حكمة، وفي العجز حكمة، وفي القدرة حكمة، ولأن الله موجود فإنك لست وحدك، وإنما تحف بك العناية حيث سرت وتحرسك المشيئة حيث حللت[2] .

3. دليل الآفاق :

ثم نراه ينتقل إلى عالم الكون بكل ما فيه من مخلوقات فيقول : "العلم يقول لنا إن هذه العمارة الهائلة على سعتها مبنية كلها من نسيج واحد، وخامة واحدة، ومصممة كلها بأسلوب واحد، وخطة واحدة، ومحكومة بقوانين واحدة .

سوف يقول لنا العقل، لا بد أن الخالق واحد والمبدع واحد .

فإذا أدرنا بصرنا عائدين إلى الأرض وأحوالها، ورحنا نتأمل ما فيها من حياة ونبات وحيوان وإنسان، وجدنا نفس الشيء، نفس القوانين الواحدة، والخامة الواحدة، والنسيج الواحد والأسلوب الواحد، والخطة الواحدة في الجميع .

الذي بنى السماء هو، هو الذي صنع ورق الشجر، وهو الذي وضع السم في العقرب، والعطر في الورد، والعقل في الإنسان، وهو الذي صنع الجميع من خلايا متشابهة كما تبنى البيوت من لبنات واحدة .

---

(1) المصدر السابق : ص7 .

(2) انظر : ما معنى وجود الله : مصطفى محمود : مقال، مجلة صباح الخير، عدد 23 إبريل 1978م .

إن وحدة القوانين المعمارية تؤكد لنا وحدة الخالق الذي انفرد وحده في بناء كل شيء لم يشرك في العمل يداً غير يده" [1] .

4. دليل توازن الكون : وفيه يستعرض الدكتور ما في هذا الكون من إبداع وتوازن فيقول : "هذا التوازن العظيم والاتساق المذهل والتوافق والتلاحم والانسجام الذي يتألف من ملايين الدقائق والتفاصيل، يصرخ بأن هناك مبدعاً لهذه البدائع، وأنه إله قادر جامع لكل الكمالات، قريب من مخلوقاته قرب دمها من أجسادها، معتني بها عناية الأب الحنون مستجيباً لحاجاتها، سميعاً لآهاتها، بصيراً بحالاتها، وأنه الله الذي وصفته لنا الأديان بأسمائه الحسنى لا سواه، وليس القانون الأصم الذي تقول به العلوم المادية البكماء، ولا إله أرسطو المنعزل، ولا إله أفلاطون القابع في عالم المثل، ولا هو الوجود المادي بكليته كما تصور اسبينوزا[2]، وأتباع وحدة الوجود[3]" [4]، إن الله موجود ليس لأن المسلمين يؤمنون بوجوده، ولكن لأنه حقيقة مطلقة أزلية لا معنى لأي شيء بدونها، الله هو سر الجمال والرحمة والمودة والحرية والحياة، وأسماؤه الحسنى مطبوعة على الوردة وعلى إشراقة الفجر، وعلى ابتسامة الوليد وعلى إطلالة الربيع وعلى كفتي الميزان، وعلى صولجان الحكم، فهو العدل الحكم، وبدونه يستحيل العدل وتستحيل الرحمة وينطمس الكون ويظلم، فهو نور السماوات والأرض، وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، إن الدين يبدأ به، والفلسفة تنتهي إليه، والعقل يتوقف عنده ، فلا كيف ولا كم ولا أين ولا متى، وإنما هو، ولا إله إلا هو [5] .

5. ومن دلائل وجوده سبحانه وتعالى عظمة أسمائه وصفاته: أنه جعل لكل حركة إيقاعاً في الزمان والمكان، يُؤخر ويُقدم ويُبدئ ويُعيد بمقتضى الحكمة العالية التي لا يحيط بها عقل، ومن أسمائه أنه المقدم والمؤخر والمبدئ والمعيد والعليم والحكيم والمحيط والكبير المتعال، المتعال على جميع الأفهام وعلى جميع العقول، فهو المحيط الذي لا يحاط به، سبحانه هو البديع في كل ما خلق وأنشأ وصور [6] .

---

(1) الله : مصطفى محمود، ص28 .

(2) اسبينوزا : باروخ (1632-1677م)، فيلسوف هولندي من أصل يهودي، اعتنق النصرانية، ألف في جوانب فكرية متعددة منها الميتافيزيقا والسياسة والأخلاق، يعتبر من الفلاسفة الداعين بالإيمان والأخلاق والتسامح، له كتب متعددة في اللاهوت والأخلاق . (الموسوعة الفلسفية : الحفني، ص89).

(3) وحدة الوجود : مذهب فلسفي لا ديني، يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق أو يعتبرونه صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته . (انظر : موسوعة الفرق والأديان : إسلام محمود دربالة، مكتبة الإيمان، المنصورة، الأولى، 2007م، ص448) .

(4) رحلتي من الشك إلى الإيمان : مصطفى محمود، دار العودة، بيروت، ص100 .

(5) سواح في دنيا الله : مصطفى محمود، أخبار اليوم، القاهرة، 2000م، ص191 .

(6) من أسرار القرآن : مصطفى محمود، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، 1976م، ص18 .

مناقشة مصطفى محمود للفلاسفة :

"وإنما دليل الفيلسوف على وجود الله يأتيه من ضميره، من رغبته الباطنة في تحري الحق والعدل والكمال والخير .

وكما أن الظمأ إلى الماء يدل على وجود الماء، فالظمأ إلى العدل يدل على وجود العادل .

والظمأ إلى الكمال يدل على وجود الكامل، وهو الله، لأن العدل لا يتحقق أبداً في الدنيا، فلا بد أن يكون هناك حياة أخرى يلقى فيها كل إنسان جزاءه الحق، ويوضع موضعه العادل[1] .

موقف مصطفى محمود من إنكار وجود الله :

دعاوى المنكرين :

الذين أنكروا الله كانت لهم في كل زمان حجة .

1. قالوا إن الدين وهم، وإن الله فكرة اخترعها الإنسان ليلتمس العزاء في الدنيا وليعلل نفسه بأحلام الخلود بعد الموت وبالجنة والحور والقصور .

2. وقالوا بأن الدين أفيون يوزعه الأغنياء على الفقراء، وصكوك بجنة وهمية بعد الموت في مقابل سرقتهم لحياة الناس، واعتمد الفكر المادي في رفضه للدين على أنه غيبيات وأن العقل العلمي لا يصح أن يؤمن بالغيبيات، ونسمع من يقول أن الدين هو حسن السير والسلوك ومكارم الأخلاق، وأن هذه الأشياء يهتدي إليها الإنسان الآن بعقله، وبالوازع الاجتماعي وبدون حاجة إلى الدين، ويقولون كيف تكون الدنيا من صنع خالق كامل حكيم عليم رحيم كريم وهي بهذا الشر والنقص ملطخة بالدم ناباً ومخلباً[2] .

هذه بعض دعاوى المنكرين للخالق سبحانه وتعالى، مع أنه لم ينكر توحيد الربوبية أحد من البشر ، إلا طائفة من الشذاذ المكابرين، المعاندين المنكرين لما هو متقرر في فطرهم، فإنكارهم إنما كان بألسنتهم مع اعترافهم بذلك في قرارة أنفسهم .

رد الدكتور مصطفى محمود على دعاوى المنكرين :

كان رده رداً مفحماً مبيناً بطلانها ونقصها، فقال : قولهم إن فكرة الله من اختراع البشر للهروب من خلالها بأحلام الخلود، هذا القول مردود على أصحابه، لأنه هناك أديان لا نقول كثيرة، لا تعتقد بالروح وبالآخرة، ومع هذا لها أتباع كثيرون مثل الديانة البوذية، فليس صحيحاً مثل هذا الدعوى .

---

(1) الله : مصطفى محمود، ص94 .

(2) انظر : الله : مصطفى محمود، 105-110 .

1. أما القول إن الدين أفيون يوزعه الأغنياء على الفقراء، فهو سلاح لطبقة على طبقة، نسي هؤلاء أن فكرة الله نشأت وبدأت منذ الخليقة الأولى في المجتمعات الهمجية البدائية قبل أن يظهر الإقطاع والرأسمالية، وقبل أن يعرف الإنسان الصراع بين الطبقات .

ومالنا نرى أن الدين ثابت في مؤسساته مع انهيار الطبقية في المجتمعات المادية الحديثة، وفكرة أن الدين في مجمله قضايا غيبية والعقل العلمي لا يؤمن بالغيبيات، فإن الفكر المادي نفسه أقام فلسفته على الغيبيات، ومنها قولهم بقدم المادة وأزليتها، وأنها تطورت من خلال سلسلة من المراحل، فهذه افتراضات خاطئة .

2. القول بأن مبدأ الكون كان المادة ولا شيء غير المادة، وأن المادة سابقة في الظهور إطلاقاً هو فرض آخر، وكلام عن غيب، فلم يكن أحد من الفلاسفة الماديين موجوداً في تلك اللحظة التي هي مبدأ الكون، ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (سورة الزخرف : 19) ، ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ (سورة الكهف : 51) ، هو إذن بنيان واه من الفروض والاحتمالات والشطح والتخمين والتبسيط الساذج لحقائق هي بطبيعتها مركبة ومتداخلة ومعقدة ومؤلفة من مئات الأسباب والعوامل، وبالرغم من أن الفكر المادي يضع يافطة العلم شعاراً لكل ما يقول إلا أنه لا يراعي بداهات هذا العلم وأولياته .

3. ثم يستطرد الدكتور مصطفى محمود ناقضاً بقية دعاواهم، متحدثاً عن الفكرة القائلة بأن الدين هو حسن السير والسلوك، فهذه واحدة من مهمات الدين، فإن للدين وظائف أعظم وأشمل، منها تحقيق الانتماء إلى الكون والوجود والله على أفضل وجه .

ولقد فشلت النظريات الاجتماعية والنفسية فشلاً ذريعاً في تحقيق منظومة أخلاقية مع كل من ساندها من ظروف وإمكانات .

4. ينتهي الدكتور مصطفى محمود من دعاوى المنكرين الرافضين لفكرة الله والدين بما يشاهدونه من شر واقع على الأرض وبين الناس، مفصلاً في هذا الأمر تفصيلاً كبيراً، فالشر نسبي، مختلف عليه منذ الأزل، ما يراه أحدهم شراً يراه الآخر خيراً، فكثيراً ما ينظر الإنسان إلى شيء فيحكم عليه أنه شر، فإذا به ينكشف عن خير عظيم .

ثم ليس دائماً الشر مبغوضاً، فأحياناً كثرة المعاناة والألم هي التي تخلق العزم والصلابة، وواقع الحياة على كل المستويات، الإنسان والكون قائم على المتعارضات، الليل والنهار، الفقر والغنى، الصحة والسقم، العلم والجهل، العدل والظلم، الحرية والعبودية، وهكذا.

ثم النظرة الجزئية للأشياء لا يعطينا حكماً صحيحاً عليها، فما نراه من الرؤية الجزئية عيباً ونقصاً نراه في النظرة الشاملة وفي المنظور التاريخي نعمة وخيراً، فالزلازل والبراكين والكوارث الطبيعية تبدو في النظرة الجزئية دماراً وهلاكاً وتشريداً وقتلاً، لكنها في النظرة الشاملة ذات وظيفة نافعة في إعادة التوازن بين باطن الأرض الفوار الملتهب وبين قشرتها الصلبة الساكنة، والزلازل تعمل على إعادة الجبال إلى أماكنها بعد الانزلاق الذي تنزلقه كل عدد من السنين، والكوارث الطبيعية تهلك آلافاً لكن في سبيل بقاء الحياة الإنسانية وامتداد عمر الدنيا .

أما على مستوى الشر البشري الإنساني، فهو غير موجود بالأصالة، إنما هو مجرد بطلان الخير، وذلك لعلاقته بمحدودية الإنسان والكائن الحي، فالعيوب ملازمة لوجود هذا المحدود[1] .

والباحث يرى أن الدكتور مصطفى محمود كان مقنعاً في حديثه المتواصل والمبثوث في كثير من كتبه ومن خلال مقالاته، وحلقاته في برنامجه (العلم والإيمان)، عن قضية وجود الله تعالى، إلا أنه تناولها وطرحها بخلاف طرح الآخرين لها، لهذا كان مؤثراً تأثيراً كبيراً في القراء والمشاهدين، ولم يترك شيئاً ممكن أن يستدل به إلا واستعمله، متنقلاً ما بين عوالم المخلوقات، من إنسان إلى حيوان إلى نبات إلى بحار وجبال ورمال وحشرات وطيور وأسماك، وماء وهواء .

"إذا احتجت إلى الطعام والشراب والدواء والكساء فأنت لا تحتاج إلى غير الله، بل تحتاج إلى الله، فهو الذي وفر لك الحصول على كل هذه الأشياء بما خلق من نبات وحيوان، وبما أودع من صفات علاجية في الأعشاب والعناصر .

كذلك حينما يلقم الطفل الرضيع ثدي أمه، فإنما يتناول غذاءه برعاية من الرحمن فهو الذي خلق الثدي وأجرى فيه اللبن وأودع في الأم المحبة والشفقة وهدى الطفل إلى التقام حلمة الثدي"[2] .

ثم نراه يقول : "الصلة دائماً معقودة بين هذا الخالق ومخلوقاته، فهو أقرب إليها من دمها الذي يجري فيها .

وهو العادل الذي أحكم قوانينها، وأقامها على نواميس دقيقة لا تخطيء .

هكذا قدم لي العلم الفكرة الكاملة عن الله"[3] .

---

(1) انظر : الله: مصطفى محمود، ص105-114 .
(2) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص32 .
(3) رحلتي من الشك إلى الإيمان : مصطفى محمود، ص16 .

لقد كان للدكتور مصطفى محمود جهدٌ مشكورٌ في توصيل قضايا العقيدة الملحة، وخصوصاً في الفترة الزمنية التي سيطر فيها الفكر اليساري[1] والشيوعي[2] والمادي[3] والعلماني[4] والإلحادي[5] والوجودي[6] والعبثي[7] على عقول الكثير من الناس، فأزال عن الكثير غشاوة الزيغ والضلال والحيرة والشك، وأخذ بأيديهم إلى واحة الإيمان والطمأنينة وانحسار المد اليساري وتواريه عن الأنظار .

ثانياً . طرق معرفة الله :

أما فيما يتعلق بطرق معرفة الله معرفة الله كانت ومازالت هي الشغل الشاغل للباحثين والمفكرين والفلاسفة، منذ بداية الخليقة والإنسان يبحث عن الله الخالق، فالبحث عن الله أمر فطري يتجه إليه العقل بدون أن يدفعه إليه دافع .

إلا أن الإشكالية التي وقع فيها الإنسان هو "أن العقل حين ينتهي به البحث إلى نقطة البداية في التعرف على الله ينطلق في لهفة لاهثة للبحث في ذات الله، يريد أن يرى الله رؤية مباشرة، وأن يعرف كنه ذاته، حتى لكأن الله عنده شيء من تلك الأشياء التي تخضع لمعطيات حواسه ومدركات عقله .

---

[1] الفكر اليساري : هو الفكر السياسي للشيوعية الاشتراكية، وهو فكر قائم على الفكرة المادية المنكرة للأديان السماوية، فهو فكر إلحادي لا يؤمن بالله وكتبه ورسله . (انظر : الدرر الناضرة في الفتاوى المعاصرة : صبري عبد المجيد ، دار المؤيد، القاهرة، الأولى، 2005، ص468).

[2] الفكر الشيوعي : فكر يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات، وبالعامل الاقتصادي . (انظر : موسوعة الفرق والأديان : دربالة، ص278) .

[3] الفكر المادي : هو الفكر الذي يقوم على أساس أولوية المادة (الطبقية)، وأنها أساس الموجودات، وبالتالي ينكرون الروح والعقل والنفس وكل الغيبيات . (انظر : مقال المادية تعريفها، ومراحلها : محمد خطاب، الموقع الإلكتروني (شذرات)، *www.shatharat.net*).

[4] الفكر العلماني : الفكر اللاديني، يعتمد على العلم الوضعي والعقلي بعيداً عن الدين، والمقصود بها عزل الدين عن الدولة، وحياة المجتمع، وهو من ترسبات الصراع بين الكنيسة والعلم في الغرب، انتقل إلى العالم العربي مع بدايات القرن التاسع عشر . (انظر : موسوعة الفرق والأديان : دربالة ، ص 327).

[5] الفكر الإلحادي : فكر يقوم على فكرة إنكار وجود الخالق سبحانه وتعالى، وأن الكون وجد من غير موجد، وأن المادة أزلية، ولا قيمة للقيم الأخلاقية، لعبت الصهيونية دوراً كبيراً في نشرها في العالم وخصوصاً بلاد المسلمين . (انظر : موسوعة الفرق والأديان : دربالة ، ص 181).

[6] الفكر الوجودي : مذهب أدبي فلسفي ملحد، وهو من أشهر المذاهب الفكرية في أوروبا في القرن العشرين، لا اعتبار للقيم الأخلاقية والدينية، من أشهر ملاعين هذا الفكر جان بول سارتر، وكيركجورد، وسيمون دي بوفوار. (انظر : موسوعة الفرق والأديان : دربالة : ، ص 433).

[7] الفكر العبثي : مذهب فكري يدعي أن الإنسان ضائع لم يعد لسلوكه معنى في الحياة المعاصرة، ولم تعد لأفكاره مضمون، وأنه فقد القدرة على رؤية الأشياء بحجمها الطبيعي، ظهر هذا المذهب الفكري في النصف الثاني للقرن العشرين، تعبيراً عما يعيشه الغرب من ضياع روحي ونفسي . (موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة : موقع الدرر السنية **http://www.dorar.net/enc/mazahib/893**).

ومـن هنـا موضـع الخطـأ والخطـر معـاً، وهنـا تكثـر عثـرات العـاثرين، ومهـاوي الضـالين، ومصـارع المبطلين، وفرق كبير بين موقف الإنسان من الشـيء وهو يعرفه من آثاره البادية لـه منـه، وبين موقفه منه وهو يأبى الاعتراف به إلا إذا قلّبه بين يديه وعرف ذاته جملة وتفصيلاً .

إنه في الموقف الأول يجني ثمرات معرفته، وينتفع بالخير الكثير الذي يقع له منها، أما في الحالة الثانية، فقد شغل عن هذا الخير بمغامرة جريئة، هيهات أن يعود منها بشيء"[1] .

وقد سلك الإنسان من اللحظة الأولى لوجوده طرقاً ومسالك للتعرف على الله تعالى، منها ما يشترك النـاس جميعـاً فيـه، كـالحس والفطـرة والعقل والتجربـة، ومنهـا مـا ينفـرد بـه أنـاس عـن غيـرهم كـالوحي السـماوي، وهـي جميعـاً طـرق توصـل إلـى معرفـة الله تعـالى وبالتـالي الإيمـان بـه والإذعـان لأمره.

"إن موضوع مصادر معرفة الغيب وهو ما يُسمى عند الفلاسفة بنظرية المعرفة، حيث دار حوله نقاش حاد بين الفلاسفة وخاصة المحدثين"[2] .

ومن أهم وسائل الإنسان في معرفة الله سبحانه كانت وما زالت ما يلي :

أولاً . الحواس : وهي المصدر الوحيد للذهن البشري المزودة له بالتصورات والمعاني، والقوة الذهنية هي القوة العاكسة للاحساسات المختلفة في الذهن[3] .

ثانياً . العقل : مع كون العقل محدوداً بين الزمان والمكان كما يقول الإمام الشافعي "إن للعقل حداً ينتهي إليه كما أن للبصر حداً ينتهي إليه"[4]، فهو مرتبط بالحس، ويعتمد في كثير من الحالات على على الحواس في المعرفة، وبالتالي لا مجال للعقل فيما وراء الظواهر الطبيعية، فالغيب ومنه قضية معرفة الله تعالى فوق قدرة العقل المحدود في بحثها .

ثالثاً . الفطرة : وهي الطبع السليم والسلوك القويم الذي لا تشوبه شائبة، ولم يتعكر صفو صاحبها، **﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** (سورة الروم : 30)، وحديث النبي عليه الصلاة والسلام : "**ما من مولود إلا يولد على الفطرة**"[5] .

---

[1] قضية الإلوهية بين الفلسفة والدين : عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، الأولى، 1962م، 224/1.

[2] عالم الغيب : يحيى مراد، ص125 .

[3] انظر : فلسفتنا : محمد باقر الصدر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ص59 .

[4] نقلاً عن؛ العقيدة الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن الميداني، دار الفكر، دمشق، 1385هـ، ص19 .

[5] أخرجه البخاري : سبق تخريجه .

رابعاً . طريقة المعرفة الإسلامية[1] : وليس هناك تعارض بين هذه النظرية وبين العلم والعقل، والإسلام ينظر إلى الغيب على أنه من المحجوبات عن الإنسان، وهي ما يسميها بالسمعيات، حيث يصعب على العقل تحصيلها، لأنها تدرك بالنقل المسموع وهذا لا يكون إلا من خلال ما ورد في القرآن الكريم، فهو المصدر الأول للحديث عن هذه الغيبيات، وهو قطعي الثبوت، ولأن القرآن كلام الله وهو علام الغيوب، فما يقدمه للناس من علوم ومعارف هي في حدها الأعلى من الصدق والحق.

ثاني هذه المصادر السنة النبوية الصحيحة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه السنة هي أيضاً قطعية الثبوت، لأنه ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ (سورة النجم : 3-4)، فكل ما ورد ذكره في القرآن الكريم، والسنة النبوية عن أمور الغيب نؤمن به إيماناً قطعياً ثابتاً، أما ما لم يذكره القرآن من أمور الغيب ولا مجال لمعرفته بدلالات العقل أو القياس، فيبقى من العلم الذي استأثر الله به لنفسه .

أما عن مسلك مصطفى محمود في معرفة الله تعالى :

فقد سلك مصطفى محمود كل الطرق والمسالك الموصلة إلى معرفة الله تعالى، سلك طريق العقل، وطريق التأمل في المخلوقات والكون، وطريق الكشف الصوفي، وانتهى به المطاف إلى طريق القرآن الكريم، وقد استمر سلوكه لهذه الطرق ما يقرب من ثلاثين عاماً .

المسلك الأول : طريق العقل :

ظهرت علامات ميل مصطفى محمود إلى التفكير العقلي، ومحاولة فهم الأشياء وتحليلها عقلياً من خلال المرحلة الثانوية ورفضه لما يسمع ما لم يتوافق مع عقله، مما سبب له كثيراً من المشاكل من ضمنها مرحلة الشك والحيرة التي وقع فيها، وقد ظهرت له مجموعة من المؤلفات انتهج فيها منهج العقل ومنها كتبه : الروح والجسد، والأحلام، واينشتين والنسبية، وتأملات في دنيا الله .

المسلك الثاني : طريق التأمل في المخلوقات والكون :

من أسباب دراسة مصطفى محمود للطب هو رغبته في تأمل المخلوقات والكون، ومن قبل ذلك إقامته لمعمل أسفل بيته للبحث والاختراع، ثم ظهر هذا الميل بشكل كبير من خلال رحلاته وبرنامجه التليفزيوني (العلم والإيمان)، وكان نتاج ذلك مجموعة من المؤلفات منها : لغز الموت،

---

[1] المعرفة الإسلامية : مجموعة العلوم والمعارف التي يتم تحصيلها عن طريق القرآن والسنة الصحيحة، واجتهادات علماء الإسلام.

ولغز الحياة، وحكايات مسافر، والغابة، ومغامرات في الصحراء، ومن أمريكا إلى الجانب الآخر، والطريق إلى الكعبة، وعالم الأسرار.

المسلك الثالث : طريق الكشف الصوفي :

من اللحظة الأولى التي وطأت فيها أقدام مصطفى محمود مدينة طنطا ورؤيته للمتصوفة الذين يقيمون حلقات الذكر بجوار مسجد السيد البدوي، وما يرى من أحوالهم تعلقت بهم روحه كأي إنسان مصري ينشأ على حب الزهد وأهل الكرامات، في حين يُسلب العقل عن التفكير في البدع والانحرافات، وكبر أمر التصوف مع صاحبنا حتى تبع إحدى طرقهم كما ذكرت ذلك في الفصل الأول، وكان نتاج ذلك مجموعة من المؤلفات منها : كلمة السر، ورأيت الله، والسر الأعظم، والوجود والعدم، والسؤال الحائر.

المسلك الرابع : طريق القرآن الكريم :

هو ملجأ كل الحيارى من الباحثين، يجد فيه كل إنسان ضالته، فالقرآن فيه دعوة لإعمال العقل، والنظر والتفكير، بالإضافة لما فيه من راحة للنفس وارتقاء للضمير، لهذا لا غرابة أن نجد مصفى محمود يلوذ بالقرآن :

"واحتاج الأمر إلى ثلاثين سنة من الغرق في الكتب وآلاف الليالي من الخلوة والتأمل والحوار مع النفس وإعادة النظر، ثم إعادة النظر في إعادة النظر، ثم تقليب الفكر على كل وجه، لأقطع الطريق الشائكة من الله والإنسان إلى لغز الحياة، إلى لغز الموت، إلى ما أكتب اليوم من كلمات على درب اليقين . لم يكن الأمر سهلاً، لأني لم أشأ أن آخذ الأمر مأخذاً سهلاً"[1] .

وكان نتاج ذلك عشرات من المؤلفات كما فصلت ذلك في الفصل الأول.

عتاب للنفس :

ثم يتحدث كأنه يعاتب نفسه وعقله وزمانه : "ولو أني أصغيت إلى صوت الفطرة، وتركت البداهة تقودني لأعفيت نفسي من عناء الجدل، ولقادتني الفطرة إلى الله، ولكني جئت في زمن تعقد فيه كل شيء، وضعف صوت الفطرة حتى صار همساً، وارتفع صوت العقل حتى صار لجاجة وغروراً واعتداداً، والعقل معذور في إسرافه إذ يرى نفسه واقفاً على هرم هائل من المنجزات، وإذ يرى نفسه مانحاً للحضارة بما فيها من صناعة وكهرباء وصواريخ وطائرات وغواصات، وإذ يرى نفسه قد

---

[1] رحلتي من الشك إلى الإيمان : مصطفى محمود، ص5 .

اقتحم البر والبحر والجو والماء وما تحت الماء، فتصور نفسه القادر على كل شيء وزج نفسه في كل شيء وأقام نفسه حكماً على ما يعلم وما لا يعلم"[1] .

علاقة الوجدان والبصيرة والضمير في معرفة الله :

يتحدث الدكتور مصطفى محمود كيف أن الوجدان والبصيرة والضمير توصل الإنسان إلى معرفة الله، فيقول : "لأن الشعور الديني شعور وجداني قبل أن يكون عقلياً، نرى مقدم الأنبياء يأتي سابقاً في التاريخ على مقدم الفلاسفة الباحثين في الله .

لأن الأنبياء هم أهل البصيرة . والفلاسفة هم أهل الفكر . ودور الفكر يأتي دائماً في المحل الثاني في قضية الدين، ومع ذلك ولو كنا من أهل الفكر لا من أهل البصيرة، وآثرنا أن نناقش قضية الله بالعقل، فسوف نجد تراثاً من الفكر رافق الإنسان منذ بدأ يفكر، وآلافاً من الكتب ومئات من الفلسفات والنظريات وجيشاً من المفكرين لا همَّ لهم ولا شاغل سوى قضية الله، وما وراء الطبيعة .

ولا يمكن أن يدور كل هذا الكلام على وهم أو أن يكون لغواً فارغاً يبحث في لا شيء، ولا يمكن أن يجمع الألوف من أهل الدين والفكر على الانشغال بمسألة واحدة عبر عصور متباعدة ثم يكون إجماعهم ملفقاً مزوراً .

بل الحقيقة الإلهية مغروسة في الإنسان غرساً منذ مولده .

والضمير بما فيه من خير وحق وجمال، وبما فيه من مقاييس مطلقة تتخذ منها معياراً للحكم على الأشياء، هو أحد الشهود العدول على ما أودعه الله في الفطرة مما لا يمكن تفسيره بالمادة أو الجزيئات أو الذرات . إننا أمام الله ... أمام حقيقة الحقائق ..

والتماس البراهين على وجود تلك الحقيقة فضول لا مبرر له، فهي بذاتها البرهان الوحيد على أحقية أي شيء"[2] .

علاقة معرفة الله بالخشية والطاعة :

يركز مصطفى محمود على قضية توظيف المعرفة؛ وعدم إبقائها ترفاً عقلياً لهذا نراه يقول : "معرفة الله خشيته، وخشيته طاعته، ومن لم يطع ربه فما عرفه، ولو كتب المجلدات، ودبج المقالات، وألف النظريات في المعرفة الإلهية، ولقد كان إبليس فيلسوفاً وعالماً ومجادلاً وكان يبهر الملائكة بعلمه وفلسفته، حتى لقد سموه طاووس العابدين، لم ينفعه علمه حينما خالف أمر الله،

---

(1) المصدر السابق : مصطفى محمود - ص5 .

(2) الله : مصطفى محمود، ص85-87 .

ولـيس العـارفون هـم حملـة الشـهادات وإنمـا هـم أهـل السـلوك والخشـوع والتقـوى، أهـل الاسـتقامة والضمير، إذا حضروا لم يُعرفوا وإذا غابوا لم يُفتقدوا، وإذا ماتوا لم يمش خلفهم أحد"[1] .

منهج الصوفية في معرفة الله :

ثم ينتقل الدكتور مصطفى محمود للحديث عن منهج الصوفية في معرفة الله تعالى فيقول : "هم يؤسسون هذا العلم على المشاهدات والمكاشفات اليقينية العينية، وليس على المغالاة العاطفية والتحيز أو العصبية الدينية"[2] .

والباحث لا يعلم ماذا يقصد الكاتب بالمكاشفات اليقينية العينية، فإن كان مقصده الرؤية الحقيقة كما يرى بعضنا بعضاً، فهذا مرفوض جملة وتفصيلاً، ولم يثبت لأحد من البشر حتى الرسل والأنبياء، وإن كانت رؤية الروح والقلب، فهذا من شطحاتهم التي لنا فيها كلام كثير .

من أجل هذا يستدل كاتبنا بما يقول شيوخ المتصوفة، فالله كما يقول الصوفي محمد بن عبد الجبار : "يُستدل به ولا يُستدل عليه، فهو برهان كل شيء، لأنه الحق المطلق، ومن قصور النظر أن نطلب برهاناً على الله، وأن نلتمس له الدليل من عالم البطلان، كما نستدل على النور من مجيء النهار، مع أن النهار لم يطلع إلا بفعل النور، فالنور هو الحق بذاته الذي يبرهن على نفسه بنفسه بمحض حضوره دون حاجة إلى وسائط، وهو الذي يخرج الأشياء إلى عالم الظهور والعيان، فالأشياء تعتمد عليه في ظهورها، وهو لا يعتمد عليها في ظهوره، فهو برهانها، وهي لا تصلح أن تكون برهانه .

ولو سألنا قلوبنا عن الله لأغنتنا عن كل ذلك الجدل والتدليل، فهو حاضر في القلب مشهود للقلب على الدوام"[3] .

في نهاية حديثه يُقر مصطفى محمود بأن أفضل الطرق لمعرفة الله هي ما أرشد إليه القرآن والسنة النبوية : "وأقرب الطرق إلى معرفة الله هو معرفة النفس الإنسانية : ﴿**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ (سورة الذاريات : 21)، وفي الحديث الشريف : "**من عرف نفسه فقد عرف ربه**"[4]، فالنفس لها ظاهر وباطن في نفس الوقت، كما أن الله ظاهر وباطن، وهي واحدة، وهي كثرة من الصفات والأسماء"[5].

---

(1) انظر : نار تحت الرماد : مصطفى محمود، أخبار اليوم، القاهرة، 2008م، ص87-91 .
(2) السر الأعظم : مصطفى محمود، دار المعارف، مصر، الأولى، 1975م، ص48 .
(3) رأيت الله : مصطفى محمود، دار المعارف، مصر، الخامسة، 1981م، ص11 .
(4) هذا الحديث لا يُعرف مخرجه ولا راويه، وهو من الأحاديث المشهورة عند الصوفية، ذكره ابن عربي في الرسالة الوجودية والشعراني في الطبقات ص526، قال العجلوني في كشف الخفاء أنه موضوع، ص343/2 .
(5) الوجود والعدم : مصطفى محمود، ص86 .

علاقة العلم بمعرفة الله :

وينظر مصطفى محمود إلى العلم وعلاقته بمعرفة الله تعالى على أنه مطية يمتطيها السالك في طريق المعرفة : "العلم مطية ودابة تركبها لهدفك، والخطر كل الخطر أن تركبك هي وتقودك وتجعل من نفسها هدفاً لك، فالعلم لا يصلح هدفاً فهو مجرد تحصيل المعلومات الجزئية عن الأشياء وروابطها، وعلاقاتها، وذلك هدف المحجوبين من العلماء الذين وقفت همتهم عند إدراك الأشياء وعلاقاتهم وهم الذين قال عنهم القرآن : ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنْ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ (سورة الروم : 7) .

أما أصحاب الهمم العالية فالعلم عندهم وسيلة إلى غاية أخرى هي المعرفة .

ووسائل العلم : المسطرة والبرجل والمجهر والتلسكوب والحواس الخمس والتحليل العقلي ، أما وسائل المعرفة فهي القلب والبصيرة والوجدان .

وعلامة طلب الله ذكراً وفكراً هي الاجتهاد في العبادة والإقبال عليها حتى تصبح العبادة هوى لا تكيفاً، ولا خروج من العبودية أبداً خلال هذه المراحل، وإنما هناك مزيد من العبودية في كل مرحلة"[1].

مقارنة بين مصطفى محمود والإمام الغزالي :

إن مصطفى محمود "يشبه في رحلته برحلة الإمام الغزالي الذي كان قد حدثنا عن الأشهر الستة التي قضاها مريضاً يعاني آلام الشك، حتى هتف به هاتف باطني أعاده إلى يقين الحقيقة العقلية وكشف له بهاء الحرية الروحية، ومكنه من معرفة الله، هنا نجد مصطفى محمود يدعو ذاك النداء بالفطرة، ولكن الفرق بين الإمام الغزالي والطبيب مصطفى محمود أن الأول أغلق بمفاتيحه كل الأبواب وجعلها موصدة أمام التفكير وسمى كل الفلاسفة بالمتهافتين، في حين أن الثاني فتح الأبواب الموصدة أمام التفكير وسمى كل الباحثين بالمؤمنين، إن الثاني قد نهج النهج الذي اختطه من قبله الأستاذ عباس محمود العقاد الذي جعل التفكير فريضة خامسة، ولكن الفرق بين محمود والعقاد أن الأول خاطب الجماهير بلغة سلسة بسيطة جداً جمعت كل المعادلة في نص واحد، في حين أن الثاني خاطب النخب بلغة قوية جداً لم ينزل بها إلى كل أطراف المعادلة، وإذا كان الثاني قد اعتكف ببيته واقتصر على مجلسه الأسبوعي اجتماعياً بعد أن كان له عدة أدوار سياسية في

---

[1] انظر : الوجود والعدم : مصطفى محمود، أخبار اليوم، القاهرة، 2003، ص117-124 .

البرلمان على العهد الملكي، فإن الأول قد خدمته شاشة التلفزيون التي اطل منها على كل الناس، ودخل من خلالها إلى كل البيوت"[1] .

لقد طرق الدكتور مصطفى محمود كل الطرق الموصلة إلى معرفة الله تعالى، وكان له في كل طريق وقفات إبداعية أثرت كثيراً فيمن قرؤوا له واستمعوا إليه من خلال كتبه وبرامجه التلفزيونية والتي جذبت إليه الناس على اختلاف أطيافهم .

صحيح أننا نختلف معه في بعض تصوراته وأفكاره الفلسفية، وهذا سيظهر لاحقاً، وخصوصاً ما كان له نزعة صوفية، وذلك لما عُرف عن هؤلاء المتصوفة من شطحات في الفكر والسلوك، إلا أن هذا الاختلاف لا يجعلنا نغلق الأبواب فلا نقبل الجيد منها، وقد كان نصيب الدكتور محمود من الجيد الشيء الكثير .

---

[1] رؤية من الشاطئ الآخر : سيّار الجميل - مقال، جريدة الجزيرة، السعودية، ملف خاص عن مصطفى محمود، عدد 2008/6/2م .

المطلب الثاني

موقف مصطفى محمود من أسماء الله وصفاته

أولاً . معتقد السلف في الأسماء والصفات :

من ركائز العقيدة الإسلامية الإيمان بتوحيد الله تعالى في أسمائه وصفاته، وهو "اعتقاد انفراد الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى التي وردت في الكتاب والسنة، وذلك بإثبات ما أثبته سبحانه لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة إثباتاً من غير تمثيل[1]، وتنزيهاً من غير تعطيل[2] على حد قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (سورة الشورى : 11)، وهذا يعني أنه يجب على المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله تعالى وحده المستحق لأن يُسمى بأسماء الجلال وأن يُوصف بصفات الكمال، على الوجه اللائق به تعالى، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، ونفي ما نفاه عن نفسه، وما نفاه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، من غير تشبيه[3] ولا تحريف[4] ولا تعطيل ولا تكييف[5] "[6]، وهذا معناه أنه لا يجوز التقول في أمر الأسماء والصفات من عند الإنسان معتمداً على عقله أو علمه ، فهي أمور توقيفية نتبع ولا نبتدع .

وبناءً على ذلك فإنه يلزم المؤمن أن يعتقد بأن أسماء الله تعالى وصفاته لا تشبه أحداً من خلق الله ، ولا يشبهه أحد من خلقه، وإن وقع شيء من ذلك فهو اشتراك في اللفظ فقط دون المعنى المدلول .

ثم إن صفاته وأسمائه توقيفية، فما أثبته الله لنفسه وأثبته نبيه له نثبته، وهذا لا يكون إلا بالدليل .

هذا وصفات الله تعالى كلها صفات كمال، بدون نقص أو عجز ، وأن هذه الصفات معناها معلوم ولكن كيفها مجهول[7] .

---

[1] التمثيل : اعتقاد أن صفات الله مثل صفات المخلوقين، كأن يقول الشخص : لله يد كيدي . (انظر: شرح العقيدة الواسطية : الهراس، ص 20).

[2] التعطيل : نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذاته تعالى . (انظر : المصدر السابق: خليل الهراس، مركز شؤون الدعوة، السعودية، الثامنة، ص-21).

[3] التشبيه : الاعتقاد بأن صفات الله تعالى مثل صفات المخلوقين. (انظر : المصدر السابق : الهراس، ص 20).

[4] التحريف : إمالة الكلام عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر لا يدل عليه اللفظ، إلا باحتمال مرجوح، فلا بد من قرينة تبين أنه المراد . (انظر : المصدر السابق: الهراس، ص20) .

[5] التكييف : حكاية كيفية الصفة كقول القائل : يد الله أو نزوله إلى الدنيا كذا وكذا، أو يده طويلة أو غير ذلك، أو أن يسأل عن صفات الله بكيف . (انظر : المصدر السابق: الهراس، ص 21) .

[6] التبيان : سعد عاشور، 107/1 .

[7] انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية، 58/3 .

ثانياً . موقف مصطفى محمود من الصفات :

تناول مصطفى محمود أسماء الله الحسنى وصفاته بأسلوب وطريقة مختلفة عما تناولها به أهل الاختصاص، من قضايا كلامية وتفصيلية وخلافية تعددت فيها الآراء والاجتهادات.

فقد تحدث مصطفى محمود عن الأسماء والصفات بلغة الأديب والمفكر والمبدع، بعيداً عن الاختلاف والتناقض الموجود بين الفرق فيما بينهم والمتكلمين وغيرهم من علماء الإسلام.

كان حريصاً على توظيف الصفات عملياً في حياة المؤمن وإخراجها من دائرة المناظرات العقلية والخلافات المذهبية .

لهذا نجده يتناول بالحديث عن هذه الصفات من خلال :-

1. تفرد صفات الله تعالى :

فنراه يقرر أن الله في أسمائه وصفاته متفرد فيقول: "الله متعال على الزمان والمكان، لا يتحيّز في مكان فليس له حجم ولا مواصفات مكانية، ولا يمكن أن يقال أنه فوق أو تحت أو عن يمين أو شمال، أو داخل أو خارج .

وهو لهذا لا يحل في بدن ولا يتحيز في حيز ولا يتجسد في صورة أو شكل .

ولأنه متعال على الزمان فإنه ليس له عمر وليس له بداية أو نهاية وليس له ماضي وحاضر ومستقبل، وإنما هو حضور مطلق وآن مستمر، وديمومة أبدية، ماثلة في الغيب والشهادة على الدوام. [1]

مصطفى محمود ينفي عن الله أي صفة بشرية فيقول ولا يصح أن نقول عنه أنه ينمو أو يتطور أو يكبر أو يتضخم أو يزداد في القوة أو يتكامل، لأنه الكامل أبداً .

إلا أن مصطفى محمود جانبه الصواب في موضوع الفوقية لله تعالى، فهو سبحانه في السماء، يجلس على الكرسي فوق العرش: **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}**، (سورة طه : 5)

عن معاوية بن الحكم قال: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟

[1] الله : مصطفى محمود، ص 8 .

قَالَ: ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ اللَّهُ، قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ: مَنْ أَنَا قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ :أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ. [1]

والله في الإطلاق (الأزل والأبد)، ليس له مبتدأ ولا منتهى، ولا حدود .

وهو اللطيف منتهى اللطف ليس له جسم ولا مادة ولا كتلة ولا ثقل .

وهو الواحد الأحد، لا ينقسم ولا يتجزأ، ولا يمكن أن يكون لـه بعض أو جزء أو ضد أو ند، ولا يجوز عليه التعدد أو التناقض أو الازدياد .

وهو الحي بذاته بدون حاجة إلى خالق يمنحه الحياة .

وهو القيوم الذي يقيم كل شيء حياً ويمنح الحياة للعدم .

وهو السميع مطلق السمع بدون أُذن وبدون أدوات، هو السميع بذاته .

وهو البصير بدون بصر، وبدون أعصاب بصرية، هو البصير بذاته .

وهو المتكلم بدون حروف وبدون كلمات وبدون لسان وبدون شفتين، هو المتكلم بذاته يلقي إلينا بالمعاني فنسمعها على أية لغة شاء .

الباحث يرى أن مصطفى محمود خالف عقيدة أهل السنة مخالفة واضحة حينما يقول بأن الله سميع بلا أداة سمع، وبصير بدون عين يبصر بها ويتكلم بلا كلمات، وهذا القول هو أقرب لقول المعتزلة، وعقيدة أهل السنة أنهم يثبتون لله سمعاً وبصراً، وعيناً، لكن الكيفية مجهولة، كذلك يثبتون الكلام لله تعالى: **{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً}**، (سورة النساء: 164)، وكلام الله بحروف وأصوات مسموعة ولكن يجب أن نعلم بأن كلام الله سبحانه وتعالى لا يشبه كلام الآدميين بأصواتهم .

ويستمر مصطفى محمود قائلاً : هو الأول قبل الزمان، وقبل خلق العالم، حينما كان ولا شيء معه .

وهو الآخر بعد أن ينتهي الزمان وينتهي العالم، ويعود كل شيء إليه، فهو الباقي بعد أن يفنى الكل، فلا شيء قبله ولا شيء بعده .

وهو الظاهر بأفعاله . والباطن بذاته . وهو المنتقم لنا لا لنفسه .

وهو الجبار على الجبارين المذل للمذلين، المتكبر على المتكبرين، ومن كانت هذه صفاته كان حقيقاً بالكبرياء والعظمة، لا تجوز الكبرياء إلا له، له الكبرياء في السماوات والأرض .

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ، ح (33)، 190/2.

هو العظيم بحق إذ اكتملت له أسباب العظمة . ومع ذلك فهو المتحبب دائماً إلى أحبابه يغدق عليهم من حبه وكرمه وحنانه فهو الحنان المنان .

عذابه من عيون رحمته، فهو الرحمن الذي يعذب ليوقظ وينبه ويعلم، وهو الرحيم الذي يمنح رحمته خالصة إذا شاء، ورحمته دائماً سابقة على غضبه، وهو التواب الغفار لكل أواب رجّاع إليه .

وهو الواسع واسع العلم، واسع المغفرة، واسع الرحمة، يقول له ملائكته : ﴿ **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾. (سورة غافر : 7) .

سبحانه ذو الجلال والإكرام[1] .

2. عدد أسماء الله الحسنى :

يناقش مصطفى محمود موضوع عدد أسماء الله تعالى وهل هي فقط تنحصر في العدد تسع وتسعين، أم أن هذا العدد هو للذكر وليس للحصر : "وقد جاء المجتهدون بأسماء لله غير التسعة والتسعين المعروفة، منها : المريد، المتكلم، الفعال، الموجود، الشيء، الذات، الأزلي، الأبدي، الجميل، الكاشف، الفاصل، القاضي، الديان.

ومنهم من جاء من القرآن بأسماء أخرى مثل : الكافي، المبين، المدبر، المولى، الغالب، الناصر، النصير، الأكرم، الرب، المليك، القريب، العلام .

ومنهم من جاء بأسماء ثنائية مثل : قابل التوب، غافر الذنب، شديد العقاب، ذي الطول، ذي المعارج .

ومنهم من تحدث عن أسماء استأثر بها الله في علم الغيب عنده، وقالوا إن منها "الاسم الأعظم" الذي إذا نُودي به الله أجاب". [2]

وبالتالي توقف محمود في أمر عدد أسماء الله، ولم يرغب بحصرها بعدد محدد.

3. العلاقة بين المؤمن وربه :

وينظر الدكتور مصطفى محمود إلى علاقة المسلم المؤمن بالله على أنها الرضا الكامل والتوجه التام إلى الله وعن الله، "والزاهد يرضى بالكفاف ليكرس كل وقته لبلوغ أشرف المعارف، معرفة الله، وكل همه وكل فكره، وكل شاغله أن يعرفه هو .

---

[1] انظر : الله : مصطفى محمود، ص9-14 .

[2] انظر : المصدر السابق : مصطفى محمود، ص29-46 .

والزاهد الموحد لا يقول أنا، ولا يقول أنت، ولا يقول هم، ولا يقول نحن، بل يقول هو، لا يرى إلا هو، ولا يقصد إلا هو، لا إله إلا هو .

لا يخشى إلا هو، ولا يبقي إلا هو، ولا يرى فعلاً إلا يرده إليه هو، ولا يرى ظاهراً ولا باطناً إلا هو، فإذا أكل فهو يأكل من يده هو، وإذا شرب فهو يشرب من كفه هو، وإذا تلقى الرزق فمنه هو، وإذا تلقى الحرمان فبتقديره هو .

وإذا قُضي عليه بالشقاء فبقضائه هو، **﴿قل كل من عند الله﴾**، فإذا صبر هو يصبر بالله على الله، وإذا هرب فإنما يهرب من الله إلى الله، وإذا استنجد فإنما يستنجد بالله على قضاء الله .

وإذا استعاذ فإنما يستعيذ بالله من الله، يستعذ به من بلائه، وما الشيطان في النهاية إلا ابتلاء الله لعباده، وما الكون إلا مظاهر أسماء الله وتجليات صفاته وأفعاله .

فهو لا يرى في أي شيء إلا الله وفعل الله، وهذا مطلق التوحيد .

وهذا غاية ما تقوله الأسماء لقلب المسلم، أن تقوده إلى مطلق التوحيد"[1] .

4. رؤية الله :

كثر كلام العلماء والفرق الكلامية في موضوع رؤية الله تعالى، فأما عن رؤيته في الآخرة فهي ثابتة بالنص القرآني **﴿وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة﴾** (سورة القيامة : 22-23)، أما عن الرؤية في الدنيا فالجمهور على إمكان وقوعها مستدلين بسؤال موسى عليه السلام ربه لرؤيته، والمعتزلة تنفي الرؤية، مستدلين بقوله تعالى **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾**(سورة الأنعام : 103).[2]

مصطفى محمود ونفي رؤية الله :

يقرر مصطفى محمود القول القائل باستحالة الرؤية فيقول : "مستحيل معرفة ذات الله وكنهه، ومستحيل رؤيته لعين بشرية، لأن العين البشرية لا تدرك إلا كل ما هو محدود متناه في المكان محصور بالزمان، والله متعال على المكان متعال على الزمان، ليس كمثله شيء، وفي آيات بديعة الإيقاع يقدم لنا القرآن هذه الحقيقة الأزلية"[3]. قال تعالى : **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾** (سورة الرعد : 9)، و **﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾** (سورة الرعد : 13) .

---

(1) الله : مصطفى محمود، ص57/55 .

(2) انظر : الموسوعة الإسلامية العامة : ص717.

(3) القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود، دار الشروق، بيروت، 1970، ص126 .

ونراه يتحدث عن رؤية الله في مكان آخر فيقول : "لا مدخل لأحد إلى رؤية الذات، فهذا غيب الغيب، "[1] .

وهذا الكلام قد يحمله البعض على القول بموافقة المعتزلة[2] في نفي الرؤية، إلا أنني أرى أنه يقصد بنفي الرؤية هنا الرؤية في الدنيا وليست رؤية الآخرة، وذلك لقوله "ومستحيل رؤيته لعين بشرية"، وفي الآخرة تختلف قدرة الإبصار عما هي عليه في الدنيا، وموقف أهل السنة واضح في هذه القضية، فهي لم تقع لأحد في الدنيا، لكنها واقعة للمؤمنين في الآخرة .

توجيه لرؤية الصوفية لله : يقول : "وإذا سمعت من يتكلم عن رؤية الله من الصوفية المسلمين، فإنه لا يقصد رؤية العين، وإنما رؤية العقل والبصيرة والإحساس"[3] .

يقف الباحث عند حديثه عن "الحي القيوم"، حينما قال : "الله وقوانينه قائم على كل شيء من الذرة إلى الفلك، به وبقوانينه تقوم الحياة فهو قيوم، هو الحي الذي به الحياة"[4] .

فهو يشعرنا وكأن الله شئ، وقوانينه شئ آخر مستقل عنه سبحانه، وفي هذا خلل كبير . "وقول الكاتب (به وبقوانينه)، يشعرنا أنه يقصد أن الحياة كما يقول الفلاسفة ليس فقط قائمة بأمره الممثلة صورته التنفيذية في القوانين الطبيعية وغيرها، ولكن لها اتصال بذاته، اتصال العلة بالمعلول، والضوء بالشمس، أو أنه يقصد "النظرة الزمنية لله" التي تقول إن الحياة وليدة الكون كذلك، والله هو ذلك التركيب في صلب الكون الذي سمح بالحياة وبالرقي فيها، أو نظرية (الله، المادة، الزمن)، الرياضية التي تنتهي إلى ما انتهت إليه النظرية الطبيعية السالفة، أو أن الكاتب يعني نظرية الفيض الفلسفية، وذلك لأن العطف يقتضي المغايرة، فإن أراد بلفظ "به"، قوانينه سبحانه فنحن معه، وإلا فقد تاه في ضلال الفلسفة، وما أظنه يعني هذا، ولكنني أريد التنبيه للسذج ولمن يأتون من بعدنا فيظنون أننا إذ نكون تراثاً لنا قداستنا التي تعصمنا من أن ننطق بكلمة دون أن نعني لها مدلولها الخاص، فلغة العلم تأبى الإطناب بغير الألفاظ المحدّدة"[5] .

ومع هذا إلا أن الباحث يرى أن مصطفى محمود قدّم لنا توحيد الأسماء والصفات بطريقة مبتكرة، أدبية، فنية تفوح من بين ثناياها رائحة التصوف والخشوع، حاول جاهداً أن يربط بين هذه

---

(1) السر الأعظم : مصطفى محمود، ص61 .

(2) المعتزلة : فرقة إسلامية كلامية ظهرت في القرن الثاني الهجري، ارتبطت في ظهورها بشخصية واصل بن عطاء، اشتهرت بأصولها الخمسة : التوحيد والعدل والوعد والوعيد و المنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعتمدون بشكل كلي على العقل، لهم مخالفات كثيرة في موضوع الصفات وخلق القرآن وقضايا أخرى.(موسوعة الفرق والمذاهب : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ص867) .

(3) رأيت الله : مصطفى محمود، ص14 .

(4) المصدر السابق : مصطفى محمود - ص128 .

(5) شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية : عبد المتعال محمد الجبري، دار الاعتصام، القاهرة، الثانية، 1979م، ص49 .

الأسماء والصفات وبين الحياة الإنسانية، أي توظيف هذه الأسماء والصفات فيتمثلها المؤمن واقعاً حياً في حياته .

فهو بهذا الطرح خرج من دائرة الخلافات التي سقط فيها الكثير ، الكثير من العلماء، لقد جعل مصطفى محمود من الأسماء والصفات عالماً حياً نحياه في فكرنا ومشاعرنا وأحاسيسنا وسلوكنا وأخلاقنا، وهذا ما عجز عنه الكثير من العلماء، ممن جعلوها قضايا فكرية جدلية، وهذا ما يحسب له رحمه الله .

المبحث الثالث

موقفه من القضاء والقدر

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف القضاء والقدر .

المطلب الثاني : موقف مصطفى محمود من القضاء والقدر .

المطلب الأول

حقيقة القضاء والقدر

أولاً . القضاء في اللغة :

مصدر قضى، وتأتي بمعنى أحكم الأمر، وأتقنه، وأنفذه، قال ابن الأثير : القضاء على وجوه منها انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عمله، وفرغ منه[1] .

ثانياً . القدر في اللغة :

القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء ونهايته، ويأتي بمعنى الطاقة : ﴿**وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ**﴾ (سورة البقرة : 236)، أي طاقته وقدرته، ويطلق القدر على الحكم والقضاء[2] .

من خلال ما سبق يتبين لنا العلاقة القوية والواضحة بين المعاني اللغوية للقضاء والقدر، وما بينهما من روابط قوية .

ثالثاً . القضاء والقدر اصطلاحاً :

عرّف الجرجاني القضاء بأنه "عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد"[3] .

ومن العلماء من يُعرف القضاء والقدر مجتمعين : "إرادة الله إيجاد الأشياء على وجه مخصوص، ثم إيجادها فعلاً على وفق المراد"[4] .

وعرّفه الشيخ المحمود : "تقدير الله تعالى للأشياء في القدم وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها" [5].

وعرّف ابن عثيمين القدر بأنه : "تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته"[6] .

---

(1) انظر : مقاييس اللغة ابن فارس، 99/5، والنهاية في غريب الحديث : ابن الأثير، 78/4 .
(2) انظر : الصحاح : الجوهري، 286/2، ومقاييس اللغة ابن فارس، 62/5 .
(3) التعريفات : الجرجاني، شركة القدس، القاهرة، الأولى، 2007م، ص283 .
(4) العقيدة الإسلامية : عبد الرحمن الميداني، ص720 .
(5) القضاء والقدر : عبد الرحمن المحمود، دار الوطن، الرياض، الثانية، 1416هـ، ص39 .
(6) رسائل في العقيدة : ابن عثيمين، دار طيبة، الرياض، الثانية، 1406هـ، 37 .

رابعاً . العلاقة بين القضاء والقدر :

1. المراد بالقدر التقدير، والقضاء الخلق، فهما أمران متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه[1] .

2. وقيل عكس ما سبق : القضاء هو العلم السابق الذي حكم به الله في الأزل، والقدر هو وقوع الخلق على وفق الأمر المقضي[2] .

3. إذا اجتمعا افترقا بحيث يصبح لكل واحد منهما مدلولٌ بحسب ما مر سابقاً، وإذا افترقا اجتمعا بحيث إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر .

وقال الجرجاني في الفرق بين القضاء والقدر : "إن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها"[3] .

خامساً . الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان عند المسلمين .

والأدلة على هذا المعتقد مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وإجماع الأمة .

فمن القرآن الكريم قوله تعالى : **﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾** (سورة الأحزاب : 38) .

وقوله تعالى : **﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾** (سورة الفرقان : 2) .

ومن السنة النبوية : أخرج مسلم في صحيحه عن طاووس قال : أدركت ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كل شيء بقدر، قال : وسمعت عبد الله بن عمر يقول : كل شيء بقدر حتى العجز، والكسل أو الكيس والعجز[4]، وقال صلى الله عليه وسلم : "**وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا ، كان كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل**"[5] .

سادساً . الأخذ بالأسباب وعلاقتها بالقضاء والقدر :

لا تعارض بين الإيمان بالقضاء والقدر وبين الأخذ بالأسباب، بل إن الأخذ بالأسباب جزء من القدر المقدر عند الله تعالى، وقد كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وحياة أصحابه نموذجاً راقياً في الأخذ بالأسباب مع إيمانهم العميق بالقضاء والقدر .

---

(1) النهاية : ابن الأثير، 78/4 .
(2) انظر : فتح الباري : أحمد بن حجر، دار الفكر، بيروت، 1996م، ص312/13 .
(3) التعريفات : الجرجاني، ص277 .
(4) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب القدر، ح (2655)، 155/6 .
(5) المصدر السابق : ح (2664)، كتاب القدر، 164/6 .

سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرقى هل ترد من قدر الله شيئاً قال : "**هي من قدر الله**"[1] .

وقد جعل الله في هذه الحياة سنناً كونية إذا أخذ بها الإنسان حقق أسباب وجوده وارتقى بحياته، وملك أسباب القوة والمنعة، قال تعالى : **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾** (سورة الأنفال : 60) .

وما سبب تأخر المسلمين وهزائمهم إلا لأنهم تخلفوا عن الأخذ بالأسباب، وركنوا إلى قدر الله وقضائه بالفهم الخاطئ .

سابعاً . من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر، وهي كثيرة أكتفي بذكر بعضها :

1. الإيمان بالقضاء والقدر عبادة نتقرب بها إلى الله تعالى .
2. الإيمان بالقضاء والقدر يجعل من المؤمن شجاعاً مقداماً، لأنه يعلم أن الموت والحياة والرزق كل ذلك من قدر الله تعالى .
3. الإيمان بالقضاء والقدر يزيد من إيمان المؤمن ويقويه .
4. الإيمان بالقضاء والقدر يجعله صبوراً أمام الشدائد والمحن، فلا يجزع ولا يكفر .
5. الإيمان بالقضاء والقدر سبب من أسباب إحسان الظن بالله تعالى، وعامل من عوامل قوة الرجاء في الله .
6. الإيمان بالقضاء والقدر يعزز الاستقامة على دين الله تعالى في الحالين السراء والضراء .
7. الإيمان بالقضاء والقدر يزرع في النفس عدم الركون للظالم ومواجهة المحتل وتحمل الأذى في سبيل الله تعالى .

---

[1] أخرجه ابن ماجه في سننه : كتاب الطب، باب : ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ح (3437)، 1137/2، المكتبة العلمية، بيروت. صححه الترمذي وقال حسن صحيح .

المطلب الثاني

موقف مصطفى محمود من القضاء والقدر

حينما يقرأ الباحث كلام مصطفى محمود عن القضاء والقدر، وهل هو مخيّر أم مسيّر، يقف أمام ما يقرأ وقد أخذه الإعجاب بأسلوب الكاتب الأدبي البديع، والقدرة الفائقة على الإقناع .

هذا الكلام كان يجب أن يكون في نهاية المطلب وليس في بدايته، إلا أنني أحببت أن أذكره في البداية لشدة ما أعجبني من طرحه لهذه القضية الشائكة، لهذا ألتمس العذر.

والرجل حينما يناقش مثل هذه القضايا لا يناقشها من خلال خلفية مذهبية؛ مع أن الرجل كما ذكت سابقاً سني المذهب، وإنما طرْحه هو طرح المفكر والداعية، وليس المحاضر الأكاديمي.

أولاً . علاقة القضاء والقدر بمسألة الجبر والاختيار :

ويتناول الدكتور مصطفى محمود علاقة القضاء والقدر بمسألة الجبر والاختيار، فيقول : "علم الله مسبقاً وسلفاً بأن الإنسان سيفسد في الأرض وسيسفك الدم ويظلم نفسه ويظلم الآخرين، ويستحق بذلك درجات متفاوتة من العقوبة، كل هذا كان في سابق علمه .

وليس هذا بالجبر ولا بالحتم، ولكن كما (ولله المثل الأعلى)، يحدث أن تتوسم في أحد أبنائك حب العلم والتحصيل، فتمده بالتسهيلات والتيسيرات، وتبعثه إلى الخارج في بعثة، وترى في الآخر العكوف على الفساد وصحبة السوء فتكتفي بما له من حظ محدود من التعليم في بلده، ولو فعلت عكس ذلك لكنت ظالماً، ولأكرهت أبناءك على غير طبائعهم .

كما أن هذا التوسم ليس فيه عنصر إكراه، ولا جبر، إنما هو مجرد سبق علم"[1]، ﴿ **(عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ** ﴾ (سورة الانفطار : 5)، و﴿**فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً**﴾ (الفتح : 18) .

ثانياً . أهمية الأخذ بالأسباب :

ويربط مصطفى محمود ما بين الأعمال ونتائجها وأنها من اختيار الإنسان ومدى علاقتها بالله تعالى فيقول : "هو الذي أقام الأسباب لتكون مؤدية إلى النتائج، وجعل الأسباب مقدمة على نتائجها، والنتائج مؤخرة تلو أسبابها .

إننا جميعاً مندوبون إلى التماس الأسباب لأن هذه سنته التي أجراها على الأرض .

---

[1] القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود، ص36 .

جعل الاجتهاد والعزم سبباً للنجاح، فلا مفر لطالب النجاح من أن يلتمسه بالجد والاجتهاد وشحذ العزائم .

ولا يجدي أن تقول إن النجاح مقدور من البداية، فلماذا نسهر ونكد، فهذا فهم خاطئ للقدر، لأن ناموس الله هو عين قدره، وفي الناموس الإلهي الذي أجراه علينا أن العزم سبب ومقتضى للنجاح بالضرورة"[1] .

ثالثاً . الفهم الخاطئ للقضاء والقدر :

يوضح مسألة القضاء والقدر من زاوية فهم الناس لها بطريقة خاطئة، "إن بعض من تناولوا مسألة القضاء والقدر والتسيير والتخيير، فهموا القضاء والقدر بأنه إكراه للإنسان على غير طبعه وطبيعته، وهذا خطأ وقع فيه الكثير، وقد نفى الله عن نفسه الإكراه بآيات صريحة : ﴿**إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**﴾ (سورة الشعراء : 4)، والمعنى واضح، أنه كان من الممكن أن نكره الناس على الإيمان بالآيات الملزمة ولكننا لم نفعل لأنه ليس في سنتنا الإكراه"[2].

ثم نراه ينعي على فهمنا الخاطئ للقدر وما يترتب عليه من كسل وتواكل فيقول : "وأول وأكبر خطأ كان فهمنا لكلمة الإسلام لله ، وإسلام الوجه لله

ومفهومنا للقدر ولما يجري به القلم ولما كتبه الله في لوحه المحفوظ .

وكان مفهومنا لكل هذا سلبياً تماماً، فما دام الله كتب وقضى وأبرم فما الداعي للكد والعمل والاجتهاد، وبذلك حولنا إسلامنا إلي سلبية كريهة وكسلٍ وتواكلٍ بغيض، وفي هذا المفهوم تدليس على النفس وعلى الله، فلا أحد يعلم ما كتب الله ولا ما قضى ولا ما أبرم، ولا أحد يدري ما جرى به القلم ليرتب عليه هذا الكسل .

وما أمر الله بالتواكل بل بالتوكل الذي يقتضي استفراغ الوسع وبذل الجهد قبل إخلاء الطرف والتسليم وطلب التوفيق من الله.

ولما سئل النبي عن القدر وقال له المسلمون ولماذا نعمل ما دام الله قد كتب لنا أقدارنا، قال لهم النبي في حسم : " **بل اعلموا فكل ميسر لما خلق له** " [3]

---

(1) انظر : الله : مصطفى محمود، ص20 .

(2) حوار مع صديقي الملحد : مصطفى محمود، ص14 .

(3) جزء من حديث عمران بن حصين، أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب التوحيد، باب (ولقد يسرنا القرآن)، ح (7551)، 2360/4.

أي على العبد أن يعمل ما وسعه العمل وعلى الله التيسير لكل نفس على قدر جهادها وعلى قدر لياقتها وما يصلح لها، فكل واحد ميسر عند الله لما يصلح له ".[1]

رابعاً . تساؤلات .. تتردد مجموعة من التساؤلات حول موضوع القضاء والقدر وعلى رأس هذه التساؤلات :

1. لماذا يعذبنا الله على أعمالنا التي قدرها وقضاها علينا ؟
2. كيف يكون الإنسان مخيراً وهو محكوم عليه بالميلاد والموت والاسم والأسرة والبيئة، ولا حول له ولا قوة ولا اختيار في هذه الأشياء التي تشكل له شخصيته وتصرفاته ؟
3. هل اخترت شكلك، وطولك وعرضك .. ؟

ردود على تساؤلات :

1. نراه يجيب عمن سأله لماذا يعذبنا الله على أعمالنا التي قدرها وقضاها علينا، يرد عليه قائلاً : "أفعالك معلومة عند الله في كتابه، ولكنها ليست مقدورة عليك بالإكراه، إنها مقدرة في علمه فقط، كما تقدر أنت بعلمك (ولله المثل الأعلى)، أن ابنك سوف يزني، ثم يحدث أن يزني بالفعل، فهل أكرهته، أم كان هذا تقديراً في العلم وقد أصاب علمك .

يرى الباحث : أن اعتبار القضاء والقدر أنه فقط العلم المسبق غير صحيح ، إنما هو العلم المسبق مع تعلق المشيئة، ووقوع هذا الأمر وفقاً للمشيئة.

القضاء والقدر لا يصح أن يفهم أنه إكراه للناس على غير طبائعهم، وإنما على العكس، الله يقضي على كل إنسان من جنس نيته، ويشاء له من جنس مشيئته، ويريد له من جنس إرادته، لا ثنائية، تسيير الله هو عين تخيير العبد، لأن الله يُسير كل امرئ على هوى قلبه وعلى مقتضى نياته، **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾** (سورة الشورى : 20)، و **﴿إِنْ يَعْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** (سورة الأنفال : 70)، الله يقضي ويقدر ، ويجري قضاءه وقدره على مقتضى النية والقلب، إن شراً بشر وإن خيراً بخير ، ومعنى هذا أنه لا ثنائية، التسيير هو عين التخيير ولا ثنائية، ولا تناقض"[2] .

---

[1] انظر : عظماء الدنيا وعظماء الآخرة : مصطفى محمود ـ مؤسسة أخبار اليوم ـ السادسة، 1996ـ ص 93-94.

[2] انظر : حوار مع صديقي الملحد : مصطفى محمود، ص11-15 .

ثم نراه يقول : "يمهد الله أسباب الشر للأشرار، ويمهد أسباب الخير للأخيار، ليخرج كل منا ما يكتمه، ويفصح عن سريرته ونيته، ويتلبس بفعله .

وبهذا لا يكون التسيير الإلهي نافياً أو مناقضاً للتخيير، فالله يستدرج الإنسان حتى يخرج ما يكتمه ويفصح عن نيته، ودخيلته ويتلبس باختياره . الله بإرادته يفضح إرادتنا، واختيارنا، ويكشفنا أمام أنفسنا .

ومن ثم يكون الإنسان في كتاب الله مخيراً مسيراً في ذات الوقت، ودون تناقض، فالله يريد لنا ويقدر لنا حتى نكتب على أنفسنا ما نريده لأنفسنا، وما نخفيه في قلوبنا وما نختاره في أعمق الأعماق دون جبر أو إكراه، وإنما استدراجاً من خلال الأسباب والظروف والملابسات"[1] .

2. أما عن التساؤل الثاني : هل اخترت شكلك، وطولك وعرضك .. فيجيب

" فإني أقول له لم أختر شكلي ولا طولي ولا عرضي، ولا أرى هذه الأشياء قيوداً على حريتي، بل أراها على العكس أدوات حريتي، والجسم هو أداة الإرادة في بلوغ أغراضها، وهو لا يكون قيداً، إلا في حالة المرض، فإنه يتحول إلى سجن ولكن الله أعطانا العقل لنتغلب على أمراضنا.

ويبقى بعد ذلك اللغز الأزلي، في علاقة الإنسان بالله، كيف يكون الإنسان حراً وهو من أمر الله، وكل ما يفعله بقضائه وقدره، ثم كيف يحاسب بعد ذلك وأخطاؤه مقدرة عليه .

ولغز القدر الذي حثت الأديان على البعد عن الخوض فيه، لأن الجواب يأتي إلهاماً عن طريق القلب وليس العقل، ولأن المعول فيه على إيمان المؤمن لا فلسفة الفيلسوف، لأن العقل فيه لا يجدي والفلسفة لا تنجد"[2] .

ويرى مصطفى محمود أن "الله يُسيرنا إلى ما اخترناه بقلوبنا ونياتنا، فلا ظلم ولا إكراه، ولا جبر ولا قهر لنا على غير طبائعنا: **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾** (سورة الليل : 5-10) .

والحرية الإنسانية ليست مقداراً ثابتاً ولكنها قدرة نسبية قابلة للزيادة، والإنسان يستطيع أن يزيد من حريته بالعلم، باختراع الوسائل والأدوات والمواصلات استطاع الإنسان أن يطوي الأرض ويهزم المسافات ويخترق قيود الزمان والمكان وبدراسة قوانين البيئة استطاع أن يتحكم فيها ويسخرها لخدمته، وعرف كيف يهزم الحر والبرد والظلام، وبذلك يضاعف من حرياته في مجال الفعل .

---

(1) الشيطان يحكم : مصطفى محمود، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، 2004، ص140 .
(2) لغز الموت : مصطفى محمود، دار العودة، بيروت، 1972، ص59 .

أمـا الوسـيلة الثانيـة، فكانـت الـدين، الاسـتمداد مـن الله بـالتقرب منـه، والأخـذ عنـه بـالوحي والتلقي والتأييد، وهذه وسيلة الأنبياء.

الإنسان مخير فيما يعلم، مسير فيما لا يعلم"[1] .

إن حرية الفعل إذن حقيقة، والقدر أيضاً حقيقة .

والمشكلة هي أن نحاول أن نفهم هذا الازدواج وكيف لا يلغي الواحد منه الآخر، كيف لا يلغي القدر الحرية، وكيف لا تلغي الحرية القدر، **﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ، لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾** (سورة التوبة : 46-47)[2] .

بهذه النقول الكثيرة يصل بنا الدكتور مصطفى محمود إلى أن القضاء والقدر أمر غيبي، تأثيره على الإنسان تأثير إيجابي فيه الدافعية للعمل والعطاء والرقي وليس الاستسلام والركون للأرض، وأنه على الإنسان أن يأخذ بالأسباب فيرتقي وينجو من عقاب الله تعالى، ويحقق الوظيفة الربانية من وجوده على ظهر هذه الأرض، وهي الاستخلاف والعبودية .

---

(1) انظر : حوار مع صديقي الملحد : مصطفى محمود، ص15-16 .
(2) انظر : القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود، ص45.

المبحث الرابع

آراء مصطفى محمود في النبوات

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : بشرية النبي صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثاني : الوحي .

المطلب الثالث : المعجزات .

المطلب الرابع : الشفاعة .

المطلب الأول

أولاً . بـشـريـة الـنـبـــي

النبوة كما يذكر الصابوني "فضل إلهي، وهبة ربانية، يهبها الله لمن يشاء من عباده، ويختص لها من يريد من خلقه، وهي لا تُدرك بالجد والتعب، ولا تُنال بكثرة الطاعة والعبادة، وإنما هي محض الفضل الإلهي"[1] .

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة آل عمران : 74) .

أولاً . حقيقة النبوة :

1. **في اللغة :** تأتي على أكثر من معنى، فهي من النبأ وهو الخبر، والنبي مخبر عن ربه بما يوحى إليه، **﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** (سورة الحجر : 49) .

وقيل النبوة مشتقة من النَبْوة وهي ما ارتفع من الأرض، وما وضح من الطريق[2] .

2. **النبي اصطلاحاً :** إنسان من البشر بعثه الله لتقرير شرع من قبله.[3]

أما الرسول فهو إنسان من البشر أوحى الله إليه بشرع وأمره بالتبليغ[4] .

ثانياً . أهمية الإيمان بالنبوة والأنبياء :

ولقد اهتم القرآن الكريم اهتماماً خاصاً ببيان مسألة الإيمان بالنبوة والرسالة والأنبياء والمرسلين، اهتم بها اهتماماً كبيراً، وذلك لأهمية هذا الأمر في حياة الإنسان، وعلاقته بالإيمان بالله وتوحيده وهذا ما نلمسه واضحاً من خلال كثرة النصوص القرآنية التي تقرن الإيمان بالنبوة بالإيمان بالله : **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** (سورة النور : 62) .

ثالثاً . النبوة اختيار واصطفاء :

يستطيع الإنسان أن يصنع من نفسه ما يريد، وذلك بتنمية ما وهبه الله من مواهب، وقوى جسدية وعقلية وروحية، يستطيع أن يكون رياضياً بارزاً أو سياسياً عظيماً أو تاجراً ماهراً، ولكن لا يمكن أن يكون نبياً أو رسولاً، لأن "الرسالة والنبوة موهبة من الله ذات طبيعة مختلفة، إنه

---

(1) النبوة والأنبياء : محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة، الأولى، 1998، ص10 .
(2) انظر : معجم مقاييس اللغة : ابن فارس، 385/5، والصحاح : الجوهري، 174/1 .
(3) الرسل والرسالات : عمر الأشقر، دار النفائس، الكويت، الرابعة، 1989، ص14.
(4) النبوة والأنبياء : الصابوني، ص14 .

لا يد للإنسان فيها، لا كسب ولا اختيار، إنما هي اصطفاء خالص من جانب الله سبحانه وتعالى لعبد من عباده يجتبيه وينعم عليه ويبعثه بالهداية إلى الناس"[1] .

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (سورة الحج : 75).

رابعاً . الأنبياء من البشر :

النبوة والأنبياء لطف من ألطاف الله بالبشر، ورحمة من رحماته، بأيديهم يأخذوا البشرية للخير والنجاة، والخروج من الضلال إلى الهداية، ومن الظلمات إلى النور، فهم بشر كبقية البشر، من خاصة أقوامهم شرفاً ومكانة، يتكلمون لغة أقوامهم ويحيون حياة قبائلهم، فهم ليسوا بمجهولي النسب والعرق، كانوا قبل الاختيار والاصطفاء من خيار أقوامهم أخلاقاً وسلوكاً ولطفاً ورحمة بالناس، فهم قدوة البشر .

خامساً . مهمة الرسل والأنبياء :

"لما كان العقل البشري وحده لا يكفي للتفريق بين الخير والشر، وكانت هناك بعض الأمور الغيبية العظيمة التي لا يمكن للإنسان معرفتها إلا عن طريق الوحي وعن طريق الشرع كالإيمان بالله تعالى وبصفاته العليا، والإيمان بالملائكة وبالبعث والنشور إلى غير ذلك من الأمور الغيبية، لذلك فقد اقتضت حكمة الباري جل وعلا أن يبعث إلى الخلائق الأنبياء الكرام ليقطع على البشر معاذيرهم، ولئلا يبقى لإنسان حجة عند الله يوم القيامة، ولهؤلاء الرسل وظائف ومهمات جسيمة"[2] .

موقف مصطفى محمود من بشرية النبي :

أولاً . حديث القرآن عن النبي محمد :

"وقد تحدث القرآن عن محمد فقال له ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.(سورة الكهف : 110)

محمد بشر مثلنا وليس بشراً مثلنا، لأنه يوحى إليه ونحن لا يوحى إلينا بشيء وإنما نحن أصحاب اجتهاد على الأكثر، وأقصى ما نحلم به هو الفكر وفيض الخاطر .

وهذا الفرق الدقيق هو سر النبوة."[3]

---

(1) الإيمان بالرسل : الصلابي، دار ابن الجوزي، القاهرة، الأولى، 2012، ص35 .
(2) المصدر السابق : الصابوني، ص28 .
(3) محمد رسول الله : مصطفى محمود، ص25.

ثانياً . خصوصية النبي :

ثم يمضي الدكتور مصطفى محمود متحدثاً عن محمد صلى الله عليه وسلم قائلاً : "هذا الرجل الفطري الأمي البدوي البسيط، الذي يسعى بين الناس بلا تكلف، يتكلم في تلقائية لا يتصنع علماً ولا يتلو من كتاب، ولا يتدارس مذهباً، ولا يأخذ بأي سبب من أسباب العظمة الدنيوية، لا جاه ولا لقب، ولا شهادة جامعية ولا ميراث مادي .

أي خلط نقع فيه حينما نخلط بين مثل هذا الرجل وبين المفكرين أصحاب المذاهب والدارسين والمتكلفين والعاكفين على الكتب والمتخصصين من حملة الدبلومات والمهيجين السياسيين أصحاب الأغراض والماكرين العظام الذين قلبوا الدنيا وخطفوا أضواء التاريخ لفترة من الزمان، ها هنا شيء مختلف تماماً"[1] .

يتفق الباحث مع مصطفى محمود فيما سبق إلا في أمرين هما : البداوة والجاه .

فلم يكن النبي بدوياً بمعنى أعرابياً يعيش في الصحراء، تتمثل فيه أخلاق الأعراب من شدة وغلظة وجفوة، بل هو ابن أعظم مدينة في بلاد الحجاز (مكة المكرمة)، فهو حضري وليس بدوياً. الأمر الآخر؛ الجاه فمحمد ابن أعرق القبائل العربية ومن أعرق البيوت العربية مكانة وشرفاً، وقد تحدث النبي صلى الله عليه وسلّم عن نفسه في حديث سبق لنا ذكره .

ثالثاً . تأثير النبي فيمن حوله :

لقد كان لشخصية محمد صلى الله عليه وسلم التأثير الكبير على كل ما حوله من طبيعة، وحيوان، ونبات، وإنسان، كلها كانت بين يديه طيعة لينة، فما لفت إليه الأنظار، فمن عاش معه وممن جاء من بعده ولو بعد عشرات القرون.. "وأياً كان التفسير فإنك إذا أخذت تحسب بالورقة والقلم كيف حدثت هذه الأمور واستعنت بالعقل الالكتروني وكافة وسائل الحساب الحديثة فإنك لا تستطيع أن تفسر كيف أن فرداً واحداً مضطهداً مطارداً يُؤثر هذا التأثير في أفراد قلائل يعدون على الأصابع، ثم يُؤثر هؤلاء في كثرة من مئات ثم ألوف تهزم الروم ثم الفرس، وكانتا دولتين كأمريكا وروسيا في ذلك الوقت، يحدث كل هذا في سنوات معدودة، وابتداءً من الصفر، ومن بداوة مطلقة ومن عرب مشردين، في قبائل تقتل بعضها بعضاً بلا حضارة وبلا علم يذكر، وإنك لن تصل أبداً في حسابك إلى تلك النتيجة الهائلة وستظل المعادلة ناقصة حتى تُدخل فيها ذلك العامل الخفي، عامل الغيب، وسند المدد الإلهي من التمكين والتوفيق .

---

[1] المصدر السابق : مصطفى محمود، ص27 .

هذا التمكين وإيتاء الأسباب التي تتداعى إلى نتائجها سبباً تلو سبب من عند مسبب الأسباب الذي بيده مقاليد كل شيء هو السر المحجب وراء كل نجاح"[1] .

رابعاً . الفرق بين النبي والولي والمصلح الاجتماعي :

يُفرق مصطفى محمود بين النبي والولي والمصلح الاجتماعي **فيقول** : "النبي جليس على المائدة الربانية (الوحي السماوي)، يتلقى من ربه الكلمة والتشريع والتكليف وهو معصوم لا ينطق عن الهوى

والولي كل حظه لحظة شفافية وإطلالة خاطفة من باب موارب ما يلبث أن يعود فينغلق، ولي لا عصمة ولا تكليف ولا تبليغ .

والمصلح الاجتماعي من أهل الاجتهاد مثله مثلنا، وحظه حظنا. يخطئ ويصيب ولا عصمة له، ولا مخرج من دائرة المحسوس ولا تحليق إلا بالخيال والحدس والتخمين .

وأي فرق هائل بين هذه المراتب، تكاد كل مرتبة تكون في فلك .

وأي سقوط بالنبوة إذا نحن جردناها من هذه الصلة الربانية .

وماذا يبقى من الدين إذا جردناه من الغيب ؟

كل نبي مصلحاً وليس كل مصلح نبياً مهما بلغت إصلاحاته، لأن جوهر النبوة ليس الإصلاح ولا التغيير، ولكن جوهر النبوة هو هذه الصلة المبهمة بالله وبغيبه المغيب، هو هذه الحالة البرزخية بين الطبيعة وما وراء الطبيعة .

هذه الحالة التي تجعل من النبي مستمعاً من نوع فريد يتلقى الإلهام في آفاق عليا لا يرقى إليها غيره . ولهذا يحتاج النبي إلي إعداد روحي يختلف تماماً عن الإعداد العقلي الذي يحتاج إليه المصلح . فإذا كانت عدة المصلح الاجتماعي هي الدراسة والخبرة والعكوف على المراجع وأمهات الكتب المتخصصة، فإن عدة النبي مختلفة تماماً.[2]

خامساً . تساؤلات المشككين :

يناقش كاتبنا بعد ذلك ما يردده المشككون في أمر النبوة، وكون النبي إنساناً لا يختلف عن غيره إلا في بعض القدرات، وعدم الحاجة إليها وذلك من خلال طرح تساؤلاتهم ومن ثم الرد عليها :

---

(1) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص38 .

(2) انظر : محمد : مصطفى محمود، ص11-9 .

"يتساءل العلمانيون والحداثيون من المثقفين

1. لماذا لا يكون محمدٌ عبقرياً ملهماً ؟

2. ولماذا لا نرى فيه مصلحاً من طراز فريد ؟

3. ولماذا لا يكون السياسي والقائد والزعيم الذي لا يجود بمثله الزمان ؟

يجيب الدكتور مصطفى محمود :

كان محمد ذاته كسلوك وخلق وسيرة هو المعجزة التي تسعى على الأرض .

وإن تبلغ ذاتك الكمال في صفة واحدة، تتميز فيها وتتفوق على أقرانك فهذه هي العبقرية"[1] .

ثم يستكمل قائلاً : اجتماع الكمالات في ذات واحدة معجزة وليست عبقرية، فالعبقرية هي أن تتفوق في صفة واحدة وحسب، أما أن تكون ذواتنا مجمع كمالات فهنا النبوة، هنا أمر لا يمكن أن يكون إلا بمدد إلهي وعصمة وتوفيق وتمكين وإفاضة ممن عنده كنوز كل شيء .

إننا أمام ذات متفردة تماماً مستوفية أسباب الكمال، جامعة لأقصى الأطراف في كل شيء، فاعلة منفعلة، نشيطة مؤثرة، تصنع بطلاً من كل رجل تلمسه، وكأنما لها أثر السحر في كل ما حولها ثم فيمن بعدها، ثم في التاريخ بطول أربعة عشر قرناً، ثم فيما يستجد بعد ذلك من مستقبل إلى آخر الزمان .

نحن لسنا إذن أمام أبراهام لينكولن، ولا أمام جيفارا[2] كما تصور أصحابنا قصار النظر دعاة المادية الجدلية ودعاة العلمية بلا علمية .

نحن لسنا أمام مصلح اجتماعي، ولا أمام ثورة سبارتاكوس[3] الاجتماعية، لا هزلت تلك التشبيهات[4] .

---

(1) انظر : محمد عليه الصلاة وعليه والسلام : مصطفى محمود، دار المعارف، مصر، 1975، ص13-16 .

(2) تشي جيفارا : (1928-1967م)، ثوري كوبي الجنسية، أرجنتيني المولد، ماركسي الفكر، طبيب ووزير مالية، يعتبره كثير من الشباب اليساريون رمزاً للثورة والنضال، شارك في كثير من ثورات أمريكا الجنوبية، قتل على يد الاستخبارات الأمريكية بالتعاون مع القوات البوليفية. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

(3) سبارتاكوس : قائد روماني (109-71ق.م)، كان عبدا ، تعلم المصارعة، قاد ثورة للعبيد للمطالبة بتحسين ظروفهم الحياتية، بعدها قاد جيش العبيد في مواجهة جيوش الدولة الرومانية، انتصر في عدة مواجهات، في النهاية هزم في مواجهة عسكرية عام 71ق.م. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

(4) انظر : محمد عليه الصلاة وعليه والسلام : مصطفى محمود، ص23 .

ثانياً . النبي محمد صلى الله عليه وسلم

حينما وصف الله نبينا محمداً وصفه بقوله : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾. (سورة القلم : 4).

إذ إن صاحب الخلق العظيم لا يكون إلا في منتهى الكمال العقلي والصفاء الذهني، لأن العقل أصل فروع الفضائل الخُلقية وعنصر ينابيعها، ونقطة دائرتها، حيث يتفرع منه ثقوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة، وصدق الظن، والنظر للعواقب، ومصالح النفس، ومجاهدة الشهوة، وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من هذه كلها في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه[1] .

وقال في موضع آخر : "وأما وفور عقله، وذكاء لُبه، وقوة حواسه، وفصاحة لسانه، واعتدال حركاته، وحسن شمائله، فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم .

ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسته العامة والخاصة، مع عجيب شمائله وبديع سيره، فضلاً عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع دون تعلم مسبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب منه ولم يمتر في رجحان عقله، وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا ما لا يحتاج إلى تقريره لتحقيقه"[2] .

فلا عجب بعد ذلك أن يختار الله سبحانه هذا الرجل التي اجتمعت فيه هذه الصفات لمهمة النبوة والرسالة .

اشتهر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بجملة من الأخلاق والصفات، كان على رأسها :

1. **الصدق** : وهو محور النبوة، ومدار ارتكازها، فكل ما تلفظ به النبي صلى الله عليه وسلم صدق خالص، ولا يمكن أن يجافي الواقع أو الحقيقة، ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ**﴾. (سورة الزمر : 33).
2. **فطانته وحكمته وقوة حجته وذكاؤه** : ليس هناك أعظم من شهادة الله تعالى :﴿ **وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾. (سورة ص : 20).
3. **أمانته** : وهي أن يبلغ النبي الوحي لأمته دون زيادة أو نقص، ودون تحريف أو تبديل، ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ**﴾ (سورة الأحزاب : 39).

---

[1] انظر : الشفاء بتعريف حقوق المصطفى : القاضي عياض، مكتبة الصفاء، القاهرة، الأولى، 2002، 73/1.
[2] الشفاء : القاضي عياض، ص55/1 .

4. شرف نسبه صلى الله عليه وسلم :

النبوة أعظم مهمة تلقى على كاهل الإنسان، والأنبياء هم أعظم الخلق نسباً وحسباً، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم في ذروة شرف النسب، "**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**"[(1)]، وهذا الشرف أدعى لتصديق الناس له، وعدم الطعن في أصله ومنبته .

هذه الصفات ومعها صفة العصمة هي صفات كل الأنبياء والرسل عليهم السلام، وقد تمثلت في نبينا تمثلاً كاملاً .

عصمة النبي :

"هي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها"[(2)]، فالنبي معصوم فيما يبلغ عن ربه، ولا يمكن أن يقع منه الخطأ في أمر التبليغ والدعوة لا عمداً ولا سهواً، وقد عصمه الله سبحانه من ذلك حتى يحفظ عليهم دعوتهم، أما فيما يتعلق بأمور الحياة الاعتيادية فالنبي في أمرها بشر "والصحيح الذي عليه المعول من أقوال العلماء هو أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون عن المعاصي؛ الصغائر والكبائر بعد النبوة باتفاق، وأما قبل النبوة فيحتمل أن تقع منهم بعض المخالفات اليسيرة التي لا تخل بالمروءة ولا تقدح بالكرامة والشرف"[(3)].

ماذا قال مصطفى محمود عن النبي محمد ؟

ألف الدكتور مصطفى محمود كتاباً سماه (**محمد عليه الصلاة وعليه السلام**)، تناول فيه بعض جوانب حياة النبي، ولكن ليس كما عهدنا في الكُتاب والباحثين، تناولها بطريقة إبداعية لافتة للنظر، مزج ووظف من خلالها كل ما يمكن من مناهج للبحث، علمية ونفسية واجتماعية وفلسفية وروحية وأدبية، وبالتالي خرج لنا بهذا الكتاب صغير الحجم عظيم الفائدة والتأثير، والذي من خلاله ناقش كثيراً من الأفكار وطرح كثيراً من القضايا المهمة والملحة، هذا بالإضافة لكثير من المقالات قام بنشرها في الصحف والمجلات .

(1) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفضائل، ح (2276)، 437/5 .
(2) التعريفات : الجرجاني، ص246 .
(3) الإيمان بالرسل : الصلابي، ص96 .

ومما تناوله مصطفى محمود ما يلي :

أولاً . ما بين العقل والمعجزة :يقول : "لن أحكي عن الخوارق التي ترويها السير عن حياة محمد، فالإسلام لا يلجأ إلى الخوارق لإقناع الناس، ومحمد كان يحارب كل من يسأله الإتيان بالخوارق فإنما هو منذر وليس بصانع معجزات .

كان العقل والمنطق إذن هما وسيلتاه إلى الإقناع وليست المعجزات والخوارق، كان الصراع إذن صراع رأي، وكانت حجة الإسلام هي العقل والمنطق في كل الأوقات، ولم تكن المعجزات والخوارق .

وإذا كانت هناك معجزة في الموضوع، فإنها لم تكن شق بحر أو إحياء ميت أو شفاء أبرص أو إخراج حية من عصا .

وإنما كانت المعجزة هي ذات محمد نفسه التي جمعت الكمالات وبلغت في كل كمال ذروته .

كان محمد ذاته كسلوك وخلق وسيرة هو المعجزة التي تسعى على الأرض"[1] .

تكررت لفظة المعجزة فيما سبق كثيراً، ومحمود لا يقصد بها المعنى الاصطلاحي، إنما مقصده التعظيم من مقام النبي صلى الله عليه وسلم، هذا لا ينفي أن الله أيد محمداً عليه الصلاة والسلام بجملة من المعجزات جرت على يديه، وليس في ذلك نقص أو عيب في دعوته .

ثانياً . تميز رسالة محمد عن غيره :

ثم ينتقل مصطفى محمود للحديث عن بعض مميزات رسالة النبي محمد "دعوة الإسلام هي القمة في اليسر والسهولة، إنها الفطرة ذاتها بلا تكلف .

لم يأخذ محمد عليه الصلاة والسلام الناس إلى متاهات لاهوتية، ولم يكلفهم انقلاباً في نظام الحكم في قريش، وإنما أراد بهم أن يطهروا عقولهم من رجس الخضوع للأوثان وأن ينزهوا ربهم عن هذه الشركة المخجلة مع أصنام لا تسمع ولا ترى، وهذه الشفاعة الوهمية لحجارة تائهة لا تملك لنفسها شيئاً .

كانت دعوته في صميمها حرية وتحرراً، فلا تلك الحجارة ولا الملائكة ولا الجن ولا المردة ولا النجوم بدافعة عن الإنسان ضراً أو جالبة له نفعاً، فعليه أن يتحرر منها جميعاً، ويطرحها

---

[1] انظر : محمد عليه الصلاة وعليه والسلام : مصطفى محمود، ص13-14 .

خلفه لا يضرب عندها قداحاً ولا يذبح قرباناً ولا يدعو ولا يعتذر ولا يتوسل ولا يعبد إلا إلهاً واحداً ذلك الذي ليس كمثله شيء .

وكانت دعوته علمية ففكرة الإله الواحد هي غاية ما يصل إليه التأمل الحق في ظواهر الوجود، فكل الأسباب تنتهي في النهاية إلى سبب واحد هو محركها جميعاً .

وكانت دعوته خُلقية تهدف إلى الخير والعدل والمحبة وتدعو إلى نجدة الفقير والمريض واليتيم والأرملة"[1] .

ثالثاً . اجتماع الكمالات في النبي محمد :

ثم ينتقل ليصف لنا محمداً صلى الله عليه وسلم : "محمد النبي وقد اجتمعت فيه كمالات بلغ في كل منها الذروة، فهو العابد المبتهل الذي يذوب خشوعاً ويفنى حباً، وهو المقاتل الصنديد الذي يتعرض لجحافل الموت ثابت القَدم، وألوف الأبطال والفرسان يفرون أمامه كالجرذان، وهو المخطط العبقري الذي يرسم الخطط فيتفوق على أهل الحرفة، وهو السياسي الحاذق الذي يحرك المجاميع ويمسك مقاليد المشاعر بمهارة، وهو المحدث الذي ينطق بجوامع الكلم، وهو الأب والزوج والصديق، وهو صاحب الدعوة الذي يقيم نظاماً وينشئ دولة من عدم، وهو الكريم الحليم الودود الرؤوف الصبور البشوش البسام اللطيف المعشر، لا تمنعه الأعباء الجسام من ملاطفة الطفل والوليد فيحمله على كتفه راكعاً وساجداً وقائماً، ولا من مغازلة زوجة في حنان، لا ينضب لعواطفه معين وكأنه يستمد من بحر"[2] .

ويواصل الدكتور متحدثاً : "وقد آتى الله نبيه تلك القدرة المذهلة على تغيير الرجال، وصهر معادن النفوس وإعادة سبكها في أحلى الصور .

ولهذا أحبه أصحابه وافتدوه بالمهج والأرواح، فقد رأوا نفوسهم تولد بين يديه وكأنهم كانوا عدماً فأحياهم"[3] .

"تلك هي اللمسة السحرية وما تفعله في الرجال . وذلك هو الإشعاع الروحي وما يفعله في نفخ الحياة في الموتى وهو ما لا طاقة لعظيم من عظماء الدنيا أن يعمله بل هو النبي وحده المؤيد بقوى الغيب المحفوف بالعناية المحفوظ بالعصمة والتمكين"[4] .

---

(1) محمد : مصطفى محمود، ص57 .
(2) محمد : مصطفى محمود، ص22 .
(3) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص31 .
(4) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص12 .

رابعاً . سبب عداء قريش للإسلام :

يناقش مصطفى محمود أسباب العداء القرشي لمحمد ودينه فيقول : "قد يسأل سائل عن السر في هذا اللدد والخصام والعناد والعداوة من قريش لمحمد وهو الذي لم يدعهم إلا إلى خير، لم ينازع أحداً في سيادته، بل كان يقول "**خياركم في الجاهلية، خياركم في الإسلام إذا فقهوا**"[(1)]، وحينما دخل مكة فاتحاً بعد ذلك بسنوات لم ينزع أبا سفيان[(2)] من مكان الشرف في قومه بل ثبته في مكانته وجعل اللاجئ إلى بيت أبي سفيان كاللاجئ إلى الحرم .

لم إذن كل هذه الخصومة والعداوة ؟

هي الكبرياء لمجرد الكبرياء، وهذا أبو جهل يحكي عن نفسه، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه .

إنها لم تعد مسألة حق وباطل، وإنما أصبحت مسألة أنا وهو [(3)] .

وينهي مصطفى محمود حديثه : "نحن أمام النبوة وجهاً لوجه حيث تعمل قوى الغيب مع قوى البشر، وحيث يشع الروح العظيم المسجي في المدينة على قلوب هؤلاء البدو فيدفعهم أمامه كالإعصار، ويبلغ بهم القيروان[(4)] والأندلس وشواطئ الأطلسي غرباً وشواطئ الفارسي شرقاً ومضيق الدردنيل شمالاً في لا زمان، لا يحملون رسالة دمار كما يفعل غزاة المغول والتتار، وإنما يحملون مصاحف وحضارة ونوراً وحباً وخيراً للجميع .

وكذب من زعم أن الإسلام دخل القلوب بالسيوف، فماذا فعلت سيوف الطليان وقنابلهم وطائراتهم في ليبيا، إنها لم تخرج مسلماً واحداً عن دينه، ولا استطاعت قنابل فرنسا وطائراتها

(1) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المناقب، باب : وما يُنهى عن دعوى الجاهلية، ح (3497)، 1088/3 .

(2) أبو سفيان (صخر بن حرب)، صحابي أسلم يوم فتح مكة، تاجر واسع الثراء تزعم معارضة الإسلام، قاد قريش يوم بدر وأحد واشترك في حصار المدينة يوم الخندق، رفع النبي من شأنه، شارك المسلمين في العديد من حروبهم، مات عام 652م .(الموسوعة العربية الميسرة: 34/1).

(3) الرسول : مصطفى محمود، ص62 .

(4) القيروان : مدينة تونسية صحراوية، يطلق عليها رابعة الثلاث بعد مكة والمدينة والقدس، تعتبر من أقدم المدن الإسلامية في بلاد المغرب، بناها القائد عقبة بن نافع لتكون مركز لنشر الإسلام. (موسوعة المدن العربية : صبحي سليمان، 74).

وجيوشها أن تدخل ديناً في تونس أو الجزائر أو المغرب، فما زالت العروبة والإسلام هناك في كل مكان حيث تركها عقبة بن نافع[1] منذ أكثر من ألف عام .

إنما هنا النبوة في جانب .

وفي الجانب الآخر العظمة الدنيوية بحدودها تبني أمجاداً من زبد البحر، ثم يذهب الزبد جفاءً أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"[2] .

رحم الله الدكتور مصطفى محمود، لقد أجاد في كتابه على صغر حجمه، فطريقة الطرح والتناول والأسلوب في توصيل المعلومة امتزجت بالأسلوب العصري الجذاب .

---

[1] عقبة بن نافع : (621-683م)، قائد عسكري مسلم، من أبرز قادة الفتح الإسلامي، فتح بلاد إفريقيا وبنى مدينة القيروان، أسس لحكم المسلمين في إفريقيا، بلغت فتوحاته إلى شواطئ الأطلسي، قتل على يد البربر.(موسوعة المورد : منير البعلبكي، ص 10 /61) .

[2] الرسول : مصطفى محمود، ص70 .

المطلب الثاني

موقف مصطفى محمود من الوحي

أولاً . حقيقة الوحي وخصائصه :

1 . في اللغة : وحي أوحى إليه، ووحيت إليه إذا كلمته عما تخفيه عن غيره، ووحى وحياً بمعنى كتب، وهو بمعنى الإلهام والكلام الخفي والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك، والواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء العلم في إخفاء إلى غيرك، ويأتي بمعنى الإشارة والسرعة والصوت[1].

2 . الوحي اصطلاحاً : عرّفه الزرقاني : أن يعلم الله من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر[2] .

وعرّفه القطان بأنه : "كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبياءه" [3] .

وعرفته الموسوعة الإسلامية العامة بأنه : "إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي أو نحوه بواسطة أو غير واسطة"[4] .

وقد وردت مادة (و ح ى) في القرآن الكريم في ثمان وسبعين مرة، وهذا له دلالات على أهمية الوحي وعلى أنه حقيقة .

3 . خصائص الوحي : [5]

- رباني المصدر : **﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾**. (سورة الأحقاف : 9)، فهو محفوظ من التحريف والتبديل، يكتسب اليقين والثقة .
- يخبر عن الغيبيات : التي لا يدركها العقل مستقلاً ولا تدركها الحواس، كالذات الإلهية، الأسماء والصفات، والجنة والنار والملائكة وغيرها .

---

(1) انظر : مقاييس اللغة : ابن فارس، 93/6، ومختار الصحاح : الرازي، ص713، وأساس البلاغة : الزمخشري، ص101 .

(2) انظر : مناهل العرفان : محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، القاهرة، الأولى، 1995م، ص46 .

(3) مباحث في علوم القرآن : مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، 1995م، ص33 .

(4) الموسوعة الإسلامية العامة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، الأولى، 2008م، ص1438 .

(5) مقال بعنوان : مفهوم الوحي، د. بلبل عبد الكريم ، شبكة الألوكة الشرعية، www.alukah.net/sharia/1002/8045 .

- الخلود والكمال : ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. (سورة النحل : 64)، ففيه المعرفة الشاملة، منزل بالحق، هداية للناس كافة، وتبصير للحقيقة التي يبحثون عنها .
- الإيجابية والعملية : يزيد من المعرفة ويُعلي من قدر العقل، يدفع إلى العمل والعطاء، يجعل الإنسان أكثر عطاءً، يوضح له أسلوب الحياة الأجمل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾. (سورة فصلت : 33) .
- خصوصية الغاية : فهو يأخذ بأيدينا إلى غايتين، الأولى معرفة الله المعرفة الحقة، والثانية إقامة العدل والقسط في المجتمع البشري: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾. (سورة الحديد : 25) .

ثانياً . ماذا قال مصطفى محمود عن الوحي :

اتهم المشركون ومن بعدهم بعض المستشرقين النبي وما يكون له من وحي من الله تعالى بالسحر مرة؛ والجنون مرة وبالصرع مرة أخرى، لهذا نجد كاتبنا ينبري للدفاع عن النبي وعن ظاهرة الوحي مبيناً بطلان دعاوى هؤلاء المغرضين، ويبدأ بالحديث عن :

1. الفرق بين الوحي والصرع :

يُفرّق الدكتور ما بين الوحي الإلهي الذي كان ينزل على محمد وبين الصرع حين رده على من اتهم محمداً بالجن والصرع فيقول : "من حكمة التدبير الإلهي أن يختار الله لرسالته هذه الفطرة البسيطة البدوية ليلقي بكلماته حتى لا تتهم بأنها تأتي بتلك الكلمات اجتهاداً .

إن الكلمات لتأتي فتغير من كيميائية جسده تماماً وكأنما هي صدمة قاهرة لا يملك لها دفعاً، فيأخذه ما يشبه الغيبوبة، ويتفصد جبينه عرقاً ويثقل بدنه حتى لينخ البعير من ثقله الهائل إذا كان راكباً وهي ترعى .

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية : عن أسماء بنت يزيد قالت إني لآخذ بزمام العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة. (1)

فإذا انفصم عنه الوحي عاد لطبيعته لفوره دونما أثر من جهد ليتلو على الناس عجيباً .

(1) البداية والنهاية : إسماعيل بن كثير، دار الفجر للتراث، القاهرة، الأولى، 2003م، 26/3.

وهو أمر على نقيض الصرع (وهي التهمة التي ألصقها به بعض المستشرقين للحط من قدره)، فالصرع يخرب الجسد ثم يترك الذاكرة ممسوحة تماماً ليس فيها شيء، والبدن في حالة إعياء تام يسلم صاحبه إلى نوم عميق، أو إلى يقظة تختلط فيها النوايا الإجرامية بازدواج الشخصية، هذا ما يعرفه الطب عن الصرع، تخريب كامل لا يعقبه أي نوع من أنواع القدرة وانقطاع لخيط الحياة مع العجز وفقدان السيطرة على جميع الأفعال والأقوال". [1]

2. حال النبي حين نزول الوحي :

يبين الدكتور محمود حال النبي حين نزول الوحي عليه فيقول :

"وما كان هذا حال محمد الذي كان مثالاً للانتباه واليقظة والفطانة واكتمال البدن وسلامة من جميع العلل والقدرة النفسية والجسدية على تحمل أضعاف ما يتحمله الرجل العادي من أعباء، وعلى الإتيان بأضعاف ما يستطيعه الرجل العادي من أعمال، وكأنه أمة في رجل .

هذا مثال للتفوق والقدرة، وذلك مثال للعجز وانحطاط القوى، فأين وجه الشبه"[2] .

ثم يصفه قائلاً : "إذا تحدث النبي فإنه لا ينطق عن الهوى، ولا يأتي باللغو إنما ينطق بالحكمة الخالصة، يصف الجاحظ كلامه فيقول : هو الكلام الذي قل عدد حروفه، كثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف، لا يحتج إلا بالصدق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، لم يقم له خصم ولم يفحمه خطيب، ولم يسمع الناس بكلام أعم نفعاً، ولا أجمل مذهباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه، من كلامه صلى الله عليه وسلم، وكثير من كلامه يجري مجرى الأمثال[3] .

3 . الفرق بين الوحي والشعر :

ويوضح مصطفى محمود الفرق بين الوحي وبين الشعر، وموقف النبي من الشعر فيقول: "لو أنه أنشد الشعر على وزنه لأدركه الوجد به ولغلبت عليه فطرته القوية فمر في الإنشاء وخرج بذلك لا محالة إلى الاتساع فيه، وإلى أن يكون شاعراً، ولو أنه تكلف الشعر لذهب مذاهب العرب ونافس فيها ثم لجاراهم فيما تستوقد له الحمية، وهذا أمر يدفع بعضه إلى بعض ثم لا يكون في جملته إلا أن ينصرف عن الدعوة ثم يأتي بعد ذلك أصحابه وخلفاؤه فيأخذون فيما

---

(1) محمد عليه الصلاة وعليه السلام : مصطفى محمود، ص27

(2) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص 28.

(3) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص80 .

أخذ فيمضون على ما كان من أمرهم في الجاهلية، ويستطير ذلك في الناس، ويستبد بهم، ومتى استبد بهم لم تقم للإسلام قائمة .

ولكن عدم إنشاد النبي للشعر لم يكن يعني عدم تذوقه، فقد عُرف عن النبي حسن تذوقه للشعر وطربه للقصيد الجيد، وقد عفا عن كعب بن زهير[1] حينما أنشده لاميته المشهورة، بانت سعاد ورمى عليه بردته استحساناً، كما كان يطرب للخنساء[2] في شعرها عن أخيها صخر، يستزيدها قائلاً : هيا يا خناس، وكان يدعو شاعره حسان بن ثابت[3] ليرد على قصائد الوفود بالشعر .

4 . تأثير الوحي على المستمعين :

وهكذا يواصل مصطفى محمود حديثه عن الوحي : "إن كل كلمة هي أمر جلل .

وقوة هذه الكلمات لا يمكن أن تكون إلا عن وحي سماوي .

ويبدو أن وقع القرآن على القلوب والآذان كان في زمنه أمراً مختلفاً عما هو في زماننا، فقد كان الأعرابي إذا استمع إلى القرآن وقرعت العبارات القرآنية قلبه أناخ راحلته وشهد أن لا إله إلا الله وأسلم بجميع جوارحه .

كانت معجزة اللغة القرآنية بالنسبة لهذه السليقة العربية النقية أمراً جلياً لا جدل فيه .

ولكننا اليوم فقدنا السليقة العربية والفطرة اللغوية الأولى وصدأت الآذان والقلوب وأصبح الأمر في حاجة إلى الاستدلال والبرهان[4] .

5 . نفي أن يكون محمدٌ مؤلفاً للقرآن :

ولو كان محمدٌ مؤلفاً لألف في هاتين السنتين كتاباً كاملاً .

---

(1) كعب بن زهير: (ت 645م)، صحابي وشاعر مخضرم، ابن الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى، هجا النبي ثم مدحه بقصيدة شهيرة تعرف بالبردة، لأن النبي خلع عليه بردته. .(موسوعة المورد: منير البعلبكي، 29/6).

(2) الخنساء : تماضر بنت عمرو بن الحارث : (ت 630م)، صحابية وشاعرة مخضرمة، من أشهر شواعر العرب، أسلمت ووفدت على النبي، اشتهرت بشعر الرثاء، فقدت أربعة من أبنائها يوم معركة القادسية عام (637م) فلم تبكهم بل قالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم . (موسوعة المورد: منير البعلبكي، 80/1).

(3) حسان بن ثابت (563- 674م)، شاعر مخضرم، صحابي وشاعر الرسول، دافع في شعره عن النبي والإسلام دفاعاً عظيماً، عمر طويلاً، وكف بصره في أخر عمره.(موسوعة المورد: منير البعلبكي، 77/5).

(4) انظر : المصدر السابق : مصطفى محمود، ص85 .

ولكنه لم يكن أكثر من مستمع أمين سمع كما تسمع أنت تلك الكلمات ذات الموسيقى العلوية في لحظة صفاء وجلاء، وبعد سنتين من الصمت عاد الصوت ليهتف في أذنه : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ**﴾.(سورة المدثر : 1-2)[1] .

وفي مكان آخر يزيد الأمر وضوحاً فيقول : "ولو أن محمداً هو الذي وضع القرآن لبث فيه أشجانه وحالاته النفسية وأزماته وأحزانه، والقرآن غير هذا تماماً فهو يبدو من البدء إلى النهاية معزولاً عن النفس المحمدية بما فيها من مشاغل وهموم، بل إن الآية لتتنزل مناقضة للإرادة المحمدية ﴿**وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾. (سورة طه : 114) .

كل هذا يضع أمامنا القرآن كظاهرة متعالية معزولة عن النفس التي أخبرتنا بها، فهي لا أكثر من واسطة سمعت فأخبرت، أما القرآن ذاته فهو (لفظاً ومعنى) من الله الذي أحاط بكل شيء علماً"[2].

ثم نرى مصطفى محمود يرد على دعوى أن القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم؛ فيقول : "أما لماذا لا نقول إن القرآن من تأليف محمد عليه الصلاة والسلام :

1. فلأن القرآن بشكله وعباراته وحروفه وما احتوى عليه من علوم ومعارف وأسرار وجمال بلاغي ودقة لغوية هو مما لا يدخل في قدرة بشر أن يؤلفه.

2. فإذا أضفنا إلى ذلك أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يتعلم في مدرسة ولم يختلط بحضارة ولم يبرح شبه الجزيرة العربية فإن احتمال الشك واحتمال إلقاء هذا السؤال يغدو مستحيلاً، والله يتحدى المنكرين ممن زعموا أن القرآن مؤلف ﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾.(سورة يونس : 38)، استعينوا بالجن والملائكة وعباقرة الأنس وأتوا بسورة من مثله .

وما زال التحدي قائماً ولم يأت أحد بشيء .

وإذا نظرنا إلى القرآن في حياد وموضوعية فسوف نستبعد تماماً أن يكون محمدٌ عليه الصلاة والسلام هو مؤلفه.

3. ولأنه لو كان مؤلفه لبث فيه همومه وأشجانه ونحن نراه في عام واحد يفقد زوجه خديجة، وعمه أبا طالب ولا سند له في الحياة غيرهما، وفجيعته فيهما لا تقدر، ومع ذلك لا يأتي لهما

---

[1] القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود، ص21 .
[2] المصدر السابق : مصطفى محمود، ص23 .

ذكر في القرآن ولا كلمة، وكذلك يموت ابنه إبراهيم ويبكيه، ولا يأتي لذلك خبر في القرآن، القرآن معزول تماماً عن الذات المحمدية .

4. إن الآية لتأتي مناقضة لما يفعله محمد وما يفكر فيه .

ا. وأحياناً تنزل الآية مُعاتبة له كما حدث بصدد الأعمى الذي انصرف عنه النبي إلى أشراف قريش **﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾**.(سورة عبس : 1-4).

ب. وأحياناً تنزل الآية فتنفي عملاً من أعمال النبي **﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**.(سورة الأنفال : 67) .

ج. وأحياناً يأمر القرآن محمداً عليه الصلاة والسلام بأن يقول لأتباعه ما لا يمكن أن يقوله لو أنه كان يؤلف الكلام تأليفاً: **﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾**.(سورة الأحقاف : 9)، لا يوجد نبي يتطوع من تلقاء نفسه ليقول لأتباعه لا أدري ما يُفعل بي ولا بكم، لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً ولا أملك لكم ضراً ولا نفعاً . فإن هذا يؤدي إلى أن ينفض عنه أتباعه .

مثل هذه الآيات ما كان يمكن أن يؤلفها النبي لو كان يضع القرآن من عند نفسه .

5. ولو نظرنا بعد ذلك في العبارة القرآنية لوجدنا أنها جديدة منفردة في وصفها وبنائها ومعمارها، ليس لها شبيه فيما سبق من أدب العرب ولا شبيه فيما أتى لاحقاً بعد ذلك، حتى لتكاد اللغة تنقسم إلى شعر ونثر وقرآن، فنحن أمام كلام هو نسيج وحده لا هو بالنثر ولا بالشعر"[1].

6 . الفرق في تلقي الوحي، وإلقاء الشعر:

أخيراً نقرأ لمصطفى محمود أن : "الأنبياء كانوا يتلقون إلهامهم في هذه اللحظة، بين النعاس والغيبوبة ونيوتن اكتشف قانون الجاذبية في هذه اللحظة .

وكل المخترعين والمؤلفين والشعراء والمفكرين، تفتح أذهانهم في هذه اللحظة .

والفرق بين النبي والعبقري في تلك اللحظة هي مساحة الرؤيا التي تنكشف لكل واحد .

---

[1] انظر : حوار مع صديقي الملحد : مصطفى محمود، ص67-68 .

النبي يشبه جهاز تليفزيون بـه مليون صمام، مساحة الرؤية فيـه شاسعة، وقدرة استقباله كبيرة، فهو يستطيع أن يستقبل صوراً من المريخ على شاشة بانورامية عريضـة لأنـه مؤيد بوسائل إلهية .

والعبقري هو جهاز ترانزيستور صـغير يكـاد يسـتمع إلـى محطـة القـاهرة بصـعوبة، لأنـه يعتمد على اجتهاد الخاطر الذي قد يخطئ وقد يصيب .

ولكن الاثنين يسبحان جنباً إلى جنب في بحر الحقائق"[1] .

والباحث يرى أن الحديث عن الوحي بهذا الأسلوب يحتاج إلى دليل شرعي، لأننا ما سمعنا أن النبي كـان يغمـى عليـه أثنـاء نـزول الـوحي فيغيـب عـن الـوعي، كذلك التشبيهات التـي يشبه بهـا الـدكتور النبـي لا تليق بمقامـه صـلى الله عليـه وسلم، وكـان الصـحابة يشـاهدون النبـي أثناء نزول الوحي عليه، يعرفون ذلك من كثرة عرقه الذي يتصبب من جبينه وما تأخذه من شدة.

كذلك قوله "يكاد يُجن من أمر هذا الصوت" فأياً كان التصوير الأدبي واللغة الحديثة، فلا يجوز لنـا أن نصـف النبـي بهـذا الوصـف، فكـل مـا قرأنـاه عـن النبـي أثنـاء نـزول الـوحي لا علاقـة لـه بالجنون أو الصرع، إنما ثبات الرجال الجبال، مكتملي الوعي العقلي والروحي .

روت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضـي الله عنـه سأل رسول الله صلى الله عليـه وسلّم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : "**أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عنـي وقد وعيت عنـه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول**".[2]

قال ابن حجر[3] : "الملك هو جبريل تمثل على هيئة رجل تأنيساً للمخاطَب..".[4]

---

[1] لغز الموت : مصطفى محمود، دار العودة، بيروت، 1972م، ص65 .
[2] أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب بدء الوحي، باب : كيف كان بدء الوحي، ح (2)، 21/1.
[3] ابن حجر : أحمد بن علي (773-852هـ)، محدث ومؤرخ وعالم بـارز، ولـد فـي القـاهرة وتـوفي بهـا، وأصـله من فلسطين، له كثير من المؤلفات من أشهرها : فتح البـاري شـرح صـحيح البخـاري. (موسـوعة المـورد : منير البعلبكي، 158/5).
[4] فتح الباري : ابن حجر العسقلاني، 31/1.

المطلب الثالث

موقف مصطفى محمود من المعجزات

أولاً . حقيقة المعجزات، وشروطها :

1 . فـي اللغـة : مـأخوذة من الإعجاز، وحقيقته إثبات العجز في الغير، وهو الأمر الخارق للعادة، والتاء فيه للمبالغة، وقيل ما يعجز البشر أن يأتوا بمثله، وقيل العين والجيم والزاي أصل صحيح يدل على الضعف، ويأتي بمعنى ضعف الرأي، وعدم إدراك الشيء[1] .

2 . في الاصطلاح :

- عرّفها السيوطي : "أمر خارق للعادة، ومقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة"[2] .
- وعرّفها الشيخ الشعراوي : "طرق لنواميس الكون، أو لقوانين الكون، يعطيها الله سبحانه وتعالى لرسله، ليدل على منهجه ويثبتهم به، ويؤكد للناس أنهم رسله، تؤيدهم السماء وتنصرهم، والسماء حين تؤيد وتنصر، تقف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئاً"[3] .

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي واضحة، فكلاهما يدل على العجز وعدم القدرة على المعارضة .

3. شروط المعجزة :

اشترط العلماء في المعجزة شروطاً؛ وهي كما يلي :[4]

1. أن يكون ذلك الخرق فعلاً لله تعالى .
2. ألا يكون هذا الفعل المعجز مقدوراً للنبي .
3. أن تكون المعجزة خارقة للعادة، ولهذا السحر والكرامة والشعوذة والمخترعات الغريبة لا تعتبر معجزة .
4. أن يظهر على يد مدعي النبوة ليعلم أن هذه المعجزة تصديق له .
5. أن تكون هذه المعجزة مصدقة لمدعي النبوة في دعواه النبوة، لا مكذبة له .

---

(1) انظر : لسان العرب : ابن منظور، 169/4، ومقاييس اللغة : ابن فارس، 232/4، والمعجم الوسيط : 585.
(2) الإتقان : عبد الرحمن السيوطي، دار الحديث، القاهرة، الأولى، 2002م، ص303/4 .
(3) معجزة القرآن : الشعراوي، 7/1 .
(4) انظر : معجزات الرسول : مصطفى مراد، دار الفجر للتراث، القاهرة، الأولى، 2002م، ص12 .

6. أن يتعذر الإتيان بمثلها ومعارضتها .

7. أن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة ومصاحبة لها حقيقة .

ثانياً . موقف مصطفى محمود من المعجزة :

1. علاقة القرآن بالمعجزات :

حينما يتحدث مصطفى محمود عن القرآن نراه يقول : "القرآن كتاب حافل بالنبوءات، ومن هذه النبوءات ما تحقق في وقته، ومنها ما هو في انتظار ميعاده .

عن وقعة بدر ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ**﴾. (سورة الأنفال : 7)، و﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾. (القمر : 45)، وقد حدث .

وعن انتصار الروم بعد هزيمتها : ﴿**غُلِبَتْ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ**﴾. (سورة الروم : 2-4)، وقد حدث .

وما قاله القرآن في قصة الخلق، وفي السماوات والأرض، وفي الغيب وفي الأخلاق والتشريع والسياسة والحرية والمسؤولية والعبادات .

والذين يكتبون عن إعجاز القرآن يعدون دائماً تلك الحيثيات من تنبؤ القرآن بما لا نعلم من أمر مستقبلنا، ورواية لتاريخ ما لا نعلم من أمر ماضينا إلى جانب تلك الوقفات العجيبة مع علوم عصرية متأخرة جاءت بعد نزول آياتها بأكثر من ألف عام، إلى جانب الكلام بإحاطة في كل ما يشكل من أمور الحكم والأخلاق والتشريع وما وراء الطبيعة"[1] .

2. لغة القرآن :

ثم يستمر مصطفى محمود يحدثنا عن ألفاظ القرآن فيقول : "إنها جاءت تنزيلاً وأنها علم إلهي وليست علماً بشرياً فأنت أمام دقة وإعجاز وإحكام وعلم شامل .

ما وقفتَ أمام كلمة قرآنية وحاولت أن تنقلها من مكانها أو تستبدلها حتى أدركت الاستحالة وحتى أدركت أنك أمام طراز من الضرورات اللغوية والعلمية يثير الذهول، وأنك أمام لون من ألوان الصدق المطلق .

وبعض أسرار الكلمات فهمناها، وكثير من الأسرار ما زالت خافية علينا .

---

[1] القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود، ص259.

كتاب (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) .

وتتسابق العلوم فلا تكاد تلحق بأذياله .

فإذا أضفنا إلى كل هذا أن ذلك القرآن المذهل أتى به رجل أُمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، بدوي راعي غنم من بيئة بدوية من أجلاف البدو في صحراء جرداء مقطوعة الصلة بالحضارات والعلوم، فنحن أمام معجزة حقيقية لا يجادل فيها إلا مكابر معاند مستغلق المشاعر معصوب العين والوجدان، عاقب نفسه بنفسه إذ حجب عن وجهه إشعاع الرحمة والحنان والرأفة الذي يشعه ذلك الكتاب الكريم، رب فلتكن به رحيماً ولتفتح منه القلب ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾.(سورة الحج : 46)[1] .

للباحث وقفة عند قول الدكتور " بدوي راعي غنم من بيئة بدوية من أجلاف البدو في صحراء جرداء مقطوعة الصلة بالحضارات والعلوم"، صحيح أن النبي رعى الغنم وليس في ذلك عيب أو مذمة، لكنه لم يكن في يوم من الأيام بدوياً جلفاً من أجلاف بدو الصحراء المنقطع عن الحضارة، لقد كانت مكة مدينة حضرية، ربما لم تكن كمدن الروم والفرس لكنها كانت مدينة هي في زمانها أم المدن العربية .

3. الإعجاز البياني :

يميل مصطفى محمود إلى القول الذي يقول بأن أعظم ما اشتمل عليه القرآن من إعجاز هو الإعجاز البياني : "ولكني أرى أن إعجاز القرآن هو بالدرجة الأولى ما يستثيره في القلب من إحساس غامض، لمجرد أن تصطف الحروف في السمع بهذا النمط الفريد، ذلك الفرق بلا آلات وبلا قواف، وبلا بحور وبلا أوزان"[2] .

والمعجزة في القرآن لا حدود لها عند مصطفى محمود فهي "ذلك التشكيل والسبك والتلوين في الحروف والعبارات في معمار هو نسيج وحده، بلا شبيه من قبل أو من بعد .

كل ذلك يتم في يسر شديد لا يبدو فيه أثر اعتمال وافتعال واعتساف، وإنما تسيل الكلمات في بساطة شديدة لتدخل القلب، فتثير ذلك الإحساس الغامض بالخشوع من قبل أن يتيقظ العقل فيحلل ويفكر ويتأمل، مجرد قرع الكلمة للأذن وملامستها للقلب، تثير ذلك الشيء الذي لا أجد له تفسيراً .

---

[1] انظر : المصدر السباق : مصطفى محمود، ص276-277 .

[2] المصدر السابق : مصطفى محمود، ص262.

هذه الصفة في العبارة القرآنية إلى جانب كل الصفات الأخرى مجتمعة هي التي تجعل من القرآن ظاهرة لا تفسير لها فيما نعرف من مصادر الكلام المألوف"[1] .

موقف العلماء من الإعجاز القرآني :

تعددت مذاهب العلماء في القول بإعجاز القرآن، حتى أنها تعدت العشرات من أوجه الإعجاز، إلا أن أشهر هذه الأوجه هي :[2]

ا. ما ذهب إليه النظّام[3] بأن إعجاز القرآن كان بالصرفة، وهي صرف الله للعرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم على المعارضة، فكان هذا الصرف خارقاً للعادة، وهذا القول قول فاسد يرده القرآن الكريم : **﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾**. (سورة الإسراء: 88).

ب. مرد الإعجاز راجع لبلاغته غير المعهودة.

ج. إعجازه عائد إلى لما تضمنه من مخالفة لما عهده العرب في كلامهم من الفواصل والمقاطع.

د. إعجازه عائد إلى لما تضمنه من الإخبار عن المغيبات بأنواعها الثلاثة .

ح. إعجازه عائد إلى لما تضمنه من العلوم المختلفة والحكم البليغة، والتشريعات الحكيمة .

4. الفرق بين القرآن وأي كتاب آخر:

إن أقصى ما في مستطاع مؤلف أو أديب أن يُعبر عن نفسه أو يُخبرك عن نفسك وعن بيئتك ومجتمعك أو يروي لك تاريخ ما حفظه التاريخ، أو يحدس لك المستقبل من شواهد ودلالات الحاضر، في عبارة أقصاها أن تكون قصيدة أو مقامة أو قصة أو مسرحية .

أما القرآن فهو يختلف عن كل هذا، وهو معجزة لأنه يُخبرك عن ماض لم يُؤرخ، ويتنبأ بمستقبل لم يأت ولم تقم عليه الشواهد، ويدلك على علوم لم تعلم بعد،

ثم هو يقدم إليك حكمة الأزل، ودستور الحياة الأمثل، وفلسفة في الأخلاق والحكم واللاهوت وما وراء الطبيعة وفي المعاملات وفي الزواج والمعاشرة والحرب والسلم وشرائع العبادات؛ في أسلوب منفرد وعبارة شامخة البنيان، وجمال بلاغي هو نسيج وحده لا هو بالشعر

---

[1] المصدر السابق : مصطفى محمود، ص265

[2] مباحث في علوم القرآن : مناع القطان ، ص261.

[3] إبراهيم بن سيار النظام (أبو إسحاق)، من كبار شيوخ المعتزلة، ولد في البصرة (185-221هـ)، إليه تنسب فرقة النظامية، له آراء كثيرة مخالفة لأهل السنة .(إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الفلسفية :محمد أبو ريدة : الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، 2010م).

ولا بالمقامة المنثورة، ليس له شبيه سابق، ولا تقليد لاحق، يُلقيه الوحي في تحد باق على الأعصر والدهور"[1] .

5. مناقشته للمنكرين :

وفي معرض رده على المنكرين للمعجزة نراه يقول : "المعجزة في تصورك عمل بهلواني وخرق للقانون، ولا معقول، ولكن الحقيقة غير ذلك، نحن دائماً لا نخرج عن العقل ولا عن المعقول، وما حدث لم يكن بهلوانيات، وإنما كانت دهشة مردها جهل الناس بهذه القوانين، وكذلك دهشتك أمام شق موسى للبحر، وإخراجه للثعبان من العصا، وإحياء عيسى للموتى، ودخول إبراهيم النار دون أن يحترق، تصورت أنها لا معقول، وخرق للقوانين وبهلوانيات، بينما هي تجري جميعها على وفاق قوانين إلاهية تتفاضل مع القوانين التي نعرفها، وهي إذن صنوف من النظام، ومن المعقول، ولكن أعلى من مداركنا، والله لا يهدم النظام بهذه المعجزات، وإنما يشهدنا على نظام أعلى وقوانين أعلى وعقل أكبر من استيعابنا .

والحق أننا نعيش في عصر لم تعد تُستغرب فيه المعجزات .

وقد رأينا العلم يأخذ بيدنا إلى سطح القمر، وإذا كان العلم البشري أعطانا كل هذا السلطان، فالعلم الإلهي الذي لا شك فيه يمكن أن يمدنا بسلطان أكبر، استمع إلى هذه الآية الجميلة : ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ**﴾.(سورة الرحمن : 33)، وهذا هو السلطان، العلم البشري، وأعظم منه العلم الإلهي"[2] .

لم يعد غريباً أن نسمع أن الله أرسل ملكاً خفياً من ملائكته، وأنه ألقى بوحيه إلى أحد أنبيائه، لقد أصبح وجود جبريل اليوم حقيقة من الدرجة الثانية، وأقل عجباً وغرابة مما نرى ونسمع كل يوم"[3].

ماذا يقصد مصطفى محمود بأن وجود جبريل أصبح اليوم حقيقة من الدرجة الثانية؟ إن جبريل حقيقة يقينية راسخة، وهو جزء من عقيدة المسلم، لا يُعتبر مؤمناً صحيح الإيمان إلا بها، والباحث يعتقد أن هذا القول هو زلة للكاتب ليس إلا.

كذلك أخطأ الدكتور مصطفى محمود خطأً عظيماً حين قال : "ويضع في أوائل السور حروفاً مقطعة لم يكن النبي على علم بها (ألم)، (حم)، (عسق)، وكأنها مفاتيح الشفرة"، وقد عقب

---

[1] انظر : القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود، ص266 .
[2] انظر : حوار مع صديقي الملحد : مصطفى محمود، ص113-115 .
[3] المصدر السابق : مصطفى محمود، ص66 .

عليه عبد المتعال الجبري قائلاً : "وحسناً ما قاله الكاتب غير أنا نسأله كيف لا يعلم النبي مفاتيح الشفرة وهو حلقة الاتصال بيننا وبين الله، وكيف يُستساغ من المتحدث الرسمي للملك ألا يكون فاهماً للبيان الذي يذيعه، ولله المثل الأعلى، قد يقال : ولماذا لم يَرِد عن الرسول نص بمعناها ؟

والجواب : أن أصحاب النبي لم يسألوا عنها، لأنهم فهموا منها فهماً ما ورضوا بما فهموه"[1] .

---

[1] انظر : شطحات مصطفى محمود : عبد المتعال الجبري، ص30 .

المطلب الرابع

مصطفى محمود وموقفه من الشفاعة

أولاً . حقيقة الشفاعة ومشروعيتها، وأنواعها :

1. في اللغة : من الفعل شفع يشفع شفاعة، هو ضد الوتر أي جعل الفرد زوجاً، وتأتي بمعنى طلب ورجا، وتأتي بمعنى الوعاء، وجمعه شفعاء، [1] .

وتأتي بمعنى ضم الشيء إلى مثله، والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له، وأكثر ما تُستعمل في انضمام من هو أعلى رتبة إلى من هو أدنى لنصرته وتأييده .

وتأتي بمعنى التجاوز ومنه مغفرة الذنوب[2] .

2. في الاصطلاح : عرّفها أبو البقاء : "سؤال فعل الخير وترك الضر عن الغير لأجل الغير على سبيل الضراعة"[3] .

عرّفتها الموسوعة الإسلامية : "سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يتجاوز عن ذنوب أمته بمغفرتها"[4] .

3. مشروعية الشفاعة :

ثبتت الشفاعة بالكتاب الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وإجماع الأمة :

1. **أدلة الشفاعة من الكتاب الكريم** : تعددت الآيات الدالة على الشفاعة يوم القيامة، ومنها قوله تعالى : **﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنْ ارْتَضَى﴾**.(سورة الأنبياء : 28) .
2. **أدلة ثبوت الشفاعة من السنة النبوية** : وقد وردت عدة أحاديث صحيحة في هذا الشأن، منها : ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً"**[5] .

---

(1) انظر : لسان العرب : ابن منظور، مادة شفع، 333/3.
(2) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس : المرتضى الزبيدي، دار الفكر، بيروت، 1994م، 534/18 .
(3) الكليات : أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، 1992م، ص536 .
(4) الموسوعة الإسلامية العامة، ص816 .
(5) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان، باب شفاعته (ص) تنال من أمته إن شاء الله، ح 199)، ص436/1 .

3. **الإجماع** : أجمعت الأمة على أن الشفاعة واجبة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وذلك بإذن الله تعالى له، و"أحاديث الشفاعة المصرحة بخروج الموحدين من النار قاطعة في معناها بالإجماع، وهي قاطعة في ألفاظها لورودها عن عشرين صحابياً أو تزيد في الصحاح والسنن والمسانيد، وأما شواهدها بغير لفظها فقاربت خمسمائة حديث"[1] .

4. أنواع الشفاعة :[2]

الأول : الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه صلى الله عليه وسلم، فيقول : "**أنا لها**"[3]، وهذه الشفاعة يختص بها لا يشركه فيها أحد .

الثانية : شفاعته لأهل الجنة في دخولها كما ذكرها أبو هريرة رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة فرفعت إليه الذراع- وكانت تعجبه – فنهس منها نهسة وقال: " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة هل تدرون بم ؟ يجمع اللـه الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر، ويُسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس : أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك اللـه بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول : ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون : يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك اللـه عبداً شكوراً، أما ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول : ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسي، نفسي، ائتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فيأتوني فأسجد تحت العرش، فيقال : يا محمد، ارفع رأسك، واشفع تُشفّع وسل تعطه". [4]

الثالثة : شفاعته لقوم من العصاة من أمته، قد استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفع لهم أن لا يدخلوها.

---

[1] إيثار الحق على الخلق : محمد بن اليماني (ابن الوزير)، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، 1987م، ص359 .

[2] انظر : فتح المجيد لشروح كتاب التوحيد : الوليد بن عبد الرحمن آل فرسان، دار ابن الأثير، الثانية عشرة، الرياض 1420هـ، ص237 .

[3] جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب : التوحيد، باب : كلام الرب عز وجل يوم القيامة، ح (7510)،2342/4.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب : أحاديث الأنبياء، باب :قول الله عز وجل (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه)، ح (3440)، 1026/2.

الرابعة : شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم، روى أنس بن مالك عن النبي قوله : "**انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل**"(1) والأحاديث فيها متواترة .

الخامسة : شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيارة ثوابهم، ورفعة درجاتهم .

السادسة : شفاعته في بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه، وهذه خاصة بأبي طالب وحده، عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال "**هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**"(2) .

السابعة : شفاعته لأهل الكبائر من أمته لقوله صلى الله عليه وسلم : "**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**" (3).

الثامن : شفاعته في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب وللترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول :"**وعَدَنِي ربِّي أن يدخل الجنة من أُمَّتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب. مع كلُّ ألفٍ سبعون ألفاً وثلاث حثياتٍ من حثيات ربِّي**" هذا حديث حسن غريب .(4) .

و"يشارك الملائكة والنبيون والمؤمنون في الشفاعة، فإن المؤمنين يشفع بعضهم لبعض كما في الحديث : "**إن للشهيد عند الله ست خصال، وذكر منها : أن يشفع في سبعين إنساناً من أقاربه**"(5)

ثانياً . مصطفى محمود وموقفه من الشفاعة : (6)

تحدث الدكتور مصطفى محمود عن الشفاعة مؤكداً أنه لا شفاعة للرسول صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم ولا لغيره، وأن لا أحد من أهل النار بخارج منها، وقد اعتمد الكاتب على مجموعة كبيرة من الآيات القرآنية مدعياً أنها تنفي خروج أحد من أهل النار من النار، ولم

---

(1) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب : التوحيد، باب : كلام الرب عز وجل يوم القيامة، ح (7510)،2342/4.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب مناقب الأنصار، باب : قصة أبي طالب، ح (3883)، 1184/3.

(3) سبق تخريجه.

(4) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب صفة القيامة، باب : (11)، ح (2554)، 45/4. وقد حسنه الترمذي.

(5) أخرجه ابن ماجه في سننه : كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، ح (2799)، 935/2.

(6) نشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ 1999/5/1م، صفحة 26، مقالاً للدكتور مصطفى محمود بعنوان (وما هم بخارجين من النار) .

يتطرق في مقاله إلى الأحاديث الواردة في موضوع الشفاعة، بل شكك في مقاله هذا في السنة النبوية، وفي البخاري وصحيحه .

ولقد أثار هذا المقال ضجة كبيرة على مستوى المثقفين والعلماء، مما جعل الكثير من العلماء يقومون بالرد عليه وتفنيد أفكاره وأقواله، وبيان حقيقة الشفاعة، وخطورة الخوض في مثل هذه الموضوعات لغير المتخصصين في هذه المجالات .

1. إنكار مصطفى محمود خروج أحد من النار :

وقد استدل بجملة من الآيات القرآنية :

بدأ مصطفى محمود المقال بقوله : "القرآن ينفي إمكانية خروج من يدخل النار في الكثير والعديد من آياته :

1. ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾.(سورة المائدة : 37).

2. ويقول أهل النار ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ، قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾.(سورة المؤمنون : 107-108).

3. ويخاطب الله محمداً صلى الله عليه وسلم : ﴿**أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ**﴾.(سورة الزمر : 19)، والكلام لرسول الله مباشرة في استفهام استنكاري، والله ينكر على رسوله أن يقول مثل هذا الكلام .

4. وهذه الثوابت القرآنية تتناقض تماماً مع مرويات الأحاديث النبوية في كتب السيرة عن إخراجه لمن يشاء من أمته من النار، مما يؤكد أن هذه الأحاديث موضوعة ولا أساس لها من الصحة، ولا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم"[1] .

2. تفسيره للمقام المحمود :

وحين الحديث عن المقام المحمود نراه يقول : "ويبقى السؤال عن المقام المحمود ما هو؟ ومن يكون الموعود به في القرآن الكريم، ومن كان المخاطب بقوله تعالى : ﴿**وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً**﴾.(سورة الإسراء : 79) .

والمخاطب هو محمد صلى الله عليه وسلم وحده لا سواه بلا شك .

[1] انظر : الشفاعة : مصطفى محمود، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، 1999، ص39-41 .

والمقام هو مقام البشارة العظمى، والله أعلم وليس مقام الشفاعة العظمى كما يذكر المفسرون، وذلك لان جمعية الشفاعة كلها لله وحده، والأقرب أن يكون هذا المقام المحمود هو مقام البشير الأعظم، ويؤكد ذلك القرآن مكرراً في آياته أنه هو الذي أرسل رسوله للعالمين نذيراً وبشيراً"[1] .

3. طعنه في كتب السنة والبخاري :

بعدها ينتقل الكاتب للحديث عن البخاري وكتابه الصحيح فيقول : "لم يقل لنا رب العالمين أنه حفظ كتاب البخاري أو غيره من كتب السيرة، وما يقوله البخاري مناقض للقرآن لا يلزمنا في شيء، ويُسأل عنه البخاري يوم الحساب ولا نُسأل نحن فيه .

ولم يكن البخاري رضي الله عنه وأرضاه هو الوحيد الذي خاض في موضوع السيرة النبوية، لكن كتاب السيرة كثيرون وقد تناقضوا واختلفوا بين بعضهم البعض، وامتلأت كتب السيرة بالموضوع والمدسوس من الأحاديث والعجيب والمنكر من الإسرائيليات"[2] .

جمع الكاتب للمقالات وبعض الردود وضمها في كتاب :

هذا ما قاله مصطفى محمود في مقاله المنشور في جريدة الأهرام، وقد قام فيما بعد بإضافة بعض الفقرات لهذا المقال، وجمع بعض الردود وخصوصاً المؤيدة لفكرته مع مقدمة ونشرها في كتاب سماه (**الشفاعة**) .

وقد ضم في كتابه عدة مقالات منها مقالاً بعنوان (صناعة الإنسان)، تكلم فيه عن جامعي كتب الصحاح والسنن، وعن جمع السنة النبوية، وفي هذا المقال بدل أن يُصلح إذا به يزيد الطين بلة، ينثر الشك في هذه الكتب وزمن جمعها وطريقة جمعها .

4. حديث الكاتب عن السنة وكتب السنة :

يقول : "كانت وفاة أغلبهم (جامعي أحاديث النبي) بين (250–300) هجرية .

ومعنى ذلك أن جمع الأحاديث وتدوينها كان بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بأكثر من مائتي سنة، ماذا كان حال الإسلام في المائتي سنة قبل البخاري، حينما لم يكن هناك سوى القرآن للمسلمين مرجعاً محفوظاً ومدوناً .

---

(1) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص47 .

(2) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص49 .

والمسلم الذي بلغ درجة التقوى في إسلامه ينبغي أن يأخذ أحاديث الشفاعة بمنتهى الحذر ويرفض أكثرها بلا تردد"[1] .

ثم ينتقد بعض الأحاديث الواردة في البخاري ويتهمها بالزيف وخصوصاً حديث موت موسى عليه السلام وضربه لملَك الموت على عينه يقول : "إن الحديث واضح الزيف، ومثله كثير في البخاري"[2] .

5. إصراره وتأكيده على ما سبق، وانتقاده لردود العلماء :

وفي كتاب آخر **(على خط النار)**، يعود الدكتور مصطفى محمود لتناول موضوع الشفاعة والسنة النبوية من جديد، فيقول : "ورغم التكرار القرآني الذي يؤكد المعنى بلا لبس ولا إيهام، وبلا استثناء يفاجئنا رواة الأحاديث بهذا الحديث العجيب عن هؤلاء الأقوام الذين يخرجهم ربنا من النار وقد تفحموا ويدخلهم الجنة بلا عمل عملوه وبلا خير قدموه".[3]

ثم نجده يستطرد قائلاً : "إن القيامة التي أقاموها علينا باسم إنكار السنة وإنكار الشفاعة، قيامة ظالمة، نحن أبرياء منها فما أنكرنا إلا المنكر من الأحاديث، وكل ما قلته في كتابي **(الشفاعة)**، كان محاولة لفهم الشفاعة لا أكثر، ولم يكن هناك ما يدعو لكل هذه المشانق التي نصبوها والمحارق التي أشعلوها، فما أردنا إلا تنقية السنة من تحريفهم .

إنما كنا نحاول أن نفهم وأن نعقل كلام الله وكتابه المعجز .

ونحن نعظم كتاب الله ونعظم رسوله أكثر مما يعظمونه"[4] .

ويتحدث عن خطورة الشفاعة يوم القيامة فيقول : "ماذا يعني أن تدخل الجنة أقواماً بغير عمل عملوه أو خير قدموه، إلا فوضى المحسوبية التي صنعوها في الدنيا وصورت لهم أهواؤهم أن تتكرر في الآخرة لصالحهم .

ألا تعني هذه الكلمات غواية وإغواء لكل نفس ضعيفة بألا تعمل، بألا تجتهد، ألا تعني دعوة صريحة إلى اللامبالاة والإغراق في اللهو والعبث والفساد والإفساد، ففي الآخرة مصيرهم أن يكونوا عتقاء يمرحون في الجنة بلا عمل عملوه وبلا خير قدموه، وهل يكون هذا كلام عدو أو صديق لديننا، وكيف يصدر مثل هذا الكلام عن سيدنا رسول الله، حاشا الله أن يقوله .

---

(1) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص113 .
(2) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص115 .
(3) على خط النار : مصطفى محمود، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، 2000، ص108 .
(4) انظر : على خط النار : مصطفى محمود، ص109 .

إنـي عاتـب علـى الـذين أثـاروا علينـا هـذه الحملـة الشـعواء، وأنـا خصـيمهم يـوم القيامـة، يقضي بيننا الله بما يراه، هو وحده العليم بالسر وأخفى، وليس بعد عدالته عدالة وليس بعد حقه حق"[1] .

وفـي موضـع آخـر نـراه يقـول : "إشكالية الشفاعة موضـوع قديم تناولتـه الفرق الإسـلامية وخاض فيه المفكرون من كل اتجاه، وسبب الإشكال أن القرآن ينفي الشفاعة في الكثير من آياته المحكمـة نفيـاً مطلقـاً، وفـي آيـات أخـرى يـذكرها مقيـدة ومشـروطة بـالإذن الإلهـي، بينمـا تـروي لنـا الأحاديث النبوية بأن محمداً عليه الصلاة والسلام يقف شفيعاً يوم القيامة للمذنبين، ولأهل الكبائر من أمته، وأن الله يقبل شفاعته وتتواتر هذه الأحاديث بهذا المعنى بصياغات مختلفة في البخاري وغيره .

ويقف المسلمون أمام الاختيار الصعب بين النفي القرآني وبين ما جاء في السنة"[2] .

وعن استقبال الناس لمقاله وكيف تعاملوا معه نراه يتحدث : "كان استقبال كتابي الشفاعة اسـتقبالاً حـاداً عصـبياً أشـبه بالتشـنج، علـى شاشـات التلفزيـون والفضـائيات، وعبـر (12) كتابـاً صـدرت بأسـماء الـرد علـى مصـطفى محمـود، ارتفعـت الأصـوات إلـى جلبـة وضوضـاء وشـعارات ولافتـات تـردد منكـر الشـفاعة ومنكـر السـنة، والـتقط خطبـاء الجمعـة هـذه الشـعارات ليـرددوها فـي ببغائية دون نظر موضوعي ودون أي قراءة موضوعية للكتاب، وشعرت بالدهشة فأنا أعلم تماماً مـاذا كتبـت، ومـاذا قلـت وأعلـم يقينـاً أنـي لـم أنكـر الشـفاعة، ولـم أنكـر السـنة فـي أي صـفحة مـن كتابي، وكل مـا قلتـه أن الشـفاعة شـأن إلهـي، وأن الله قـال لرسـوله فـي القـرآن الـذي أنزلـه عليـه : **﴿قُلْ لِلَّـهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾**.(سورة الزمر : 44)، ودفعـوا بعـدم الاختصـاص، وقـالوا لسـت متخصصـاً فـي الـدين فأنـت صـحفي وطبيـب أمـراض صـدرية ولا يجـوز لـك أن تـتكلم فـي الـدين، وأسـألكم بـالله هـل نـزل القـرآن للمتخصصـين، هـل نـزل للأزهـر ورجالـه، ومـا كـان هنـاك أزهـر، هـل كـان أبـو بكـر وعمـر وعلـي وعثمـان رضـي الله عـنهم متخصصـين، لقـد كـان عثمـان تـاجر أقمشـة، وكـان علـيٌ صبياً، والله يقول : **﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾**.(سورة القمر : 17)، أنـا سـهلت لكـم قرآني فهل من ذاكر، ليس في ديننا كهنوت ولا طلاسم .

للأسـف الشـديد كـان أكثـر مـا قيـل وأكثـر مـا كُتـب شـهادة تخلـف لأصـحابه، وكانـت ردود الفعـل غوغائيـة، عفـا الله عـن كـل مـن خـاض فينـا بالباطـل، وأدعـوكم إلـى نظـرة هادئـة وقـراءة

---

[1] المصدر السابق : مصطفى محمود، ص110 .

[2] الشفاعة : مصطفى محمود، ص11 .

موضوعية وفكر متفتح، فالموضوع غاية في الأهمية وسوف يتوقف عليه نهاية كل منا ومصيره، غفر الله لنا ولكم أجمعين"[1] .

6. أثر هذه القضية وتأثيرها :

تناول كثير من الكتاب ما جرى بين الدكتور مصطفى محمود وناقديه من العلماء والدارسين، وكتب عنها الكثير من الكُتاب "كانت معركة الشفاعة التي أثارها مصطفى محمود من أكبر معاركه الفكرية وأكثرها إثارة للجدل والهجوم عليه، حتى إن هناك عدة كتب صدرت من بعض رجال الدين للهجوم على أفكاره بهذا الخصوص .

كانت معركة الشفاعة من أكثر المعارك الفكرية التي هوجم فيها مصطفى محمود بقسوة وعنف وضراوة، حتى أن مجموع الكتب التي صدرت لتشارك في هذه القضية بلغت أكثر من خمسة عشر كتاباً، لكن د.مصطفى محمود حسم الأمر وشرح موقفه ومقصده واجتهاده الذي يحتمل الصواب والخطأ، فسد أبواباً كثيرة للفتنة والجدل والنقاش الساخن، لكنه خرج من هذه المعركة مثخناً بالجراح التي دخل بعدها في مرحلة من الكآبة الطويلة التي صاحبته حتى الرحيل"[2] .

وعن أفكار الدكتور مصطفى فيما يتعلق بالسنة النبوية وموقف العلماء منها "معركة فكرية أخرى دعا فيها مصطفى محمود علماء المسلمين ألا يظلوا جامدين أمام اجتهادات السلف وطالبهم بفتح باب الاجتهاد والتجديد أمام ما رآه من بعض الفتاوى التي لا تراعي روح العصر، وما أن نشر ذلك حتى فتحت عليه أبواب الجحيم، فانطلقت سهام الهجوم والتجريح فاتهمه البعض بالإساءة للسنة واتهمه البعض بالخروج عن الإيمان"[3] .

الباحث يستغرب لغة الحوار والردود على المنتقدين ومن كلا الطرفين، عصبية وألفاظ قاسية واتهامات بالجهل والغوغائية، والكل يدعي حمله لواء الدفاع عن الدين الحق .

7. ثبوت الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلّم :

ثبتت الشفاعة للنبي بجملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة وإجماع علماء الأمة.

أولاً. من القرآن الكريم : استدل العلماء على ثبوت الشفاعة بجملة من الآيات القرآنية منها:

---

[1] انظر : المصدر السابق : مصطفى محمود، ص15-19 .
[2] انظر : مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص74-89 .
[3] المصدر السابق : محمد رضوان، ص64 .

1. قول الله تعالى : ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ العزيز الحكيم﴾.(سورة المائدة:118).

2. قول الله تعالى : ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. (سورة إبراهيم:36).

3. قول الله تعالى : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ المتقين إِلَى الرحمن وَفْداً وَنَسُوقُ المجرمين إلى جَهَنَّمَ وِرْداً لاَّ يَمْلِكُونَ الشفاعة إِلاَّ مَنِ اتخذ عِندَ الرحمن عَهْداً﴾. (سورة مريم:85-87).

وغيرها كثير مما استدل به العلماء.

ثانياً . من السنة النبوية : استدل العلماء على ثبوت الشفاعة بجملة من الأحاديث الصحيحة، ومنها :

1. حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "**شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي**"[(1)]

2. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "**إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون ثم أقول أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء**"، **فقال أنس كأني أنظر إلى أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم**"[(2)]

3. حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا**"[(3)]

8. موقف العلماء من أفكار الدكتور مصطفى محمود :

تعددت وتنوعت الردود على الدكتور مصطفى محمود، حتى بلغت أربعة عشر كتاباً، وكان من أكثرها علمية وموضوعية ردود كل من الشيخ عبد الكريم بن صالح الحميد في كتابه **(الشناعة على من رد أحاديث الشفاعة)**، ورد الدكتور حسن محرم الحويني في كتابه **(الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة)**، والدكتور عبد المهدي عبد الهادي في كتابه **(الرد على**

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، 213/3، ح (13155)، 120/11، إسناده صحيح.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ح (7509)،2341/4.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان، باب: شفاعته تنال من أمته..، ح (199)، 436/1.

مصطفى محمود في إنكار الشفاعة)، وكتابه الآخر (**دفع شبهات عن السنة والرسول**)، كذلك الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه (**فتاوى معاصرة**) المجلد الثالث .

9. مناقشة أدلة الدكتور مصطفى محمود :

استدل مصطفى محمود بجملة من الآيات القرآنية على عدم خروج أحد من أهل النار من النار، ومنها الآيات التالية :

1. قوله تعالى : ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾.(سورة المائدة : 37).

الواضح من الآية أن الذين لا يخرجون من النار إنما هم الكفار، أما الشفاعة فإنها للمسلمين، ومما يؤكد ذلك الآية التي تسبقها ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.(سورة المائدة : 36)، فكيف غاب هذا الأمر عن الدكتور، فالآية واضحة في أنها في الكفار، ولا تُفيد أبداً أن المسلم إذا دخل النار لا يخرج منها بل ولا علاقة لها بالمسلم .

وقد وقع الدكتور في خطأ كبير حينما اقتطع الكلام من وسط السياق ليؤدي عكس المعنى الأصلي، المراد من الآية.

"كيف يصح حمل ما للكفار من العذاب على أنه للمسلمين، والآيات واضحة كل الوضوح في أن الخلود للكافرين"[(1)] .

2. قوله تعالى : ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ، قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾.(سورة المؤمنون : 107-108) .

وهذه الآية هي الأخرى خاصة بالكافرين يوضح ذلك الآيات التي قبلها ﴿**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، تَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ، أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ، قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ**﴾.(سورة المؤمنون : 102-106) .

إن المسلمين الذين يرجون رحمة الله وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أهل الآية الأولى، أما الذين سيقول الله لهم ﴿**اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾. فهم الكفار الذين قال الله

(1) الرد على مصطفى محمود : عبد المهدي عبد الهادي، ص9 .

لهم ﴿**أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾، هؤلاء هم الكفار المكذبون بآيات الله الذين سيطلبون الخروج من النار، فيقول لهم الله ﴿**اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾.

لهذا لا يصح حمل ما للكفار من العذاب على أنه للمسلمين، والآيات واضحة كل الوضوح في أن الخلود للكافرين.

3. قوله تعالى : ﴿**أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ**﴾.(سورة الزمر : 19).

والآية واضحة الدلالة على الكافرين الذين استحقوا العذاب، فهم المخلدون في النار الذين لا شفاعة في حقهم.

4. قوله تعالى : ﴿**كَذَلِكَ يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْ النَّارِ**﴾.(سورة البقرة : 167).

والآية واضحة في أنها تتحدث عن الذين عبدوا غير الله، فهي خاصة بالكفار والمشركين، يدل على ذلك الآيات التي تسبقها : ﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ، إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْ النَّارِ**﴾.(سورة البقرة : 165-167).

فهي في حق الذين اتخذوا آلهة من دون الله، هؤلاء هم الذين لا يخرجون من النار.

هذه هي الآيات التي استدل بها مصطفى محمود في إنكاره للشفاعة، وقد بان مدى الخطأ الذي وقع فيه، فلو أنه رجع لأي كتاب تفسير لأراح واستراح.

10. الاستدلال على عدم خلود العصاة في النار:

وردت في القرآن مجموعة من الآيات استدل بها العلماء على عدم خلود عصاة المسلمين في النار، منها :

1. قوله تعالى : ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه**﴾.(سورة الزلزلة : 7-8) .

2. قوله تعالى : ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾.(سورة الأنعام : 160) .

3. قوله تعالى : ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾.(سورة الزمر : 53) .

فهذه الآيات وغيرها كثير؛ تبين أن من أصاب ذنباً من المسلمين الموحدين فأمره إلى الله يغفر له أو يشفع فيه أحداً من خلقه أو يتركه يأخذ جزاءه ثم في النهاية مصيره إلى الجنة .

11. أما عن إنكار الشفاعة في ذاتها :

فقد استدل مصطفى محمود على إنكار الشفاعة بعدة آيات من القرآن الكريم منها :

1. قوله تعالى : ﴿**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**﴾.(سورة الزمر : 44).

يقول مصطفى محمود "الشفاعة بأسرها في يده فهو أرحم الراحمين ولا يستطيع مخلوق أن يدعي أنه أكثر رحمة بعباد الله من الله"[1]

2. قوله تعالى : ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ**﴾.(سورة السجدة : 4).

يقول " في هذه الآية نفي قطعي لأي نوع من ولي أو شفيع"[2]

3. قوله تعالى : ﴿ **وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾.(سورة الأنعام : 51) .

يقول "وهذا نفي صريح للشفاعة يوم الحساب" [3]

ويستدل على نفي الشفاعة بحديث كتبه هكذا "يا خديجة إني لن أغني عنك من الله شيئاً، يا عائشة إني لن أغني عنك من الله"

أقول صحيح أن الشفاعة لله جميعاً لأنه لا يشفع أحد إلا بإذنه، ولا يشفع أحد إلا برضاه كما هو ظاهر الآيات فهذا نص في شفاعة الخلق بشرط أن يأذن الله له .

ولكن "لا يصح أن تفسر الآية على أن الله وحده الذي يشفع، لا يصح هذا مطلقاً، فعند من سيشفع ؟، إن الشفاعة لله أي هي منه يمن بها على من يشاء من خلقه"[4] .

كذلك نراه مرة يفسر الشفاعة بأنها الوساطة، ومرة يفسر الشفاعة بأنها مشاركة الله، ومرة بأنها إضافة معلومات لله، ولو علم أنها سؤال بعض الخلق ربهم الرحمة للآخرين.

---

[1] الشفاعة : مصطفى محمود ، ص45.
[2] المصدر السابق : مصطفى محمود ، ص29.
[3] المصدر السابق : مصطفى محمود ، ص29.
[4] المصدر السابق : عبد الهادي، ص21 .

أما بخصوص الاستدلال بالحديث السابق هذا حديث موضوع فعائشة لم توجد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمن خديجة، كيف هذا وخديجة توفيت قبل زواجه بعائشة بعدة سنوات، ولم تلتقيا في حياته الزوجية لحظة .

12. مناقشة تفسير مصطفى محمود للمقام المحمود :

وفي موضوع المقام المحمود يقول أستاذي الدكتور حسن محرم : "ومن الوقفات التي يجب أن تطول مع الدكتور وقفة حول المقام المحمود، ما هو؟، ومَنْ المخاطب في القرآن به، وهل هو حقاً من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم، الدكتور يرى أن ذلك المقام المحمود سر من أسرا الله لا نقف على كنهه، ولا يجب أن نخوض في حقيقته، فالأمر إلى علم الله، وها هو ذا يكتب هذه السطور حول المقام المحمود فيقول : "ويبقى السؤال عن المقام المحمود ما هو : ومن يكون الموعود به في القرآن، ومَنْ كان المخاطب بهذه الآيات.

والدكتور يذكر أن المفسرين رأوا أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى، إلا أن هذا لا يروق له وبالتالي يرفض أن يخوض معهم في تحديد هذا المعنى.

لقد جانب الدكتور الصواب في هذه المسألة، خصوصاً أن من فسروا المقام المحمود بالشفاعة العظمى هم جمع من الصحابة والتابعين من أمثال ابن عباس وأبي هريرة، وحذيفة بن اليمان، وغيرهم من كبار المفسرين، والواجب عليه أن يكون في مثل هذه الأمور أن يكون متبعاً لا مبتدعاً.

خلاصة القضية أن الدكتور لم يوفق في حديثه عن الشفاعة، والباحث من خلال معرفته بالرجل يصعب عليه أن يصفه بأنه صاحب نزعة اعتزالية أو هوى، فمن خلال الاطلاع الواسع والدقيق في شأن الدكتور مصطفى محمود، ومعرفته عن قرب؛ ينفي كلياً أن يكون الرجل صاحب هوى، أو صاحب دنيا. لقد كان من أكثر العاملين إخلاصاً، ولا نزكي على الله أحداً، فلم يكن يطمع في منصب أو مركز أو ثروة أو شهرة، هل هي غيرة العلماء؟

هل يصح لنا أن نقول إن الرجل اجتهد فأخطأ؟.

كذلك يرى الباحث أن الدكتور مصطفى محمود حينما كتب مقاله عن الشفاعة كانت دوافعه حسنة وخيّرة، ومنها إبطال النظرة الاتكالية، والرجاء الخادع عند البعض، ودفع الناس إلى العمل والاجتهاد في العبادة وحسن الخلق والتدين، أخطأ صحيح، لكن ليس معنى هذا أن نُهيل عليه التراب، وأن ننسى أياديه البيضاء في جوانب أخرى أفاد فيها؛ أفاد الدين والمسلمين والمجتمع الإنساني، ولكن هذه سنة الحياة من يعمل يخطئ ومن لا يعمل لا يخطئ

المبحث الخامس

آراء الدكتور مصطفى محمود في الغيبيات

ويشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول : الملائكة والعرش، وحملة العرش .

المطلب الثاني : إبليس والجن .

المطلب الثالث : الروح والموت .

المطلب الرابع : القيامة وعلامات الساعة .

المطلب الخامس : نعيم الجنة وعذاب النار.

المطلب الأول

الملائكة والعرش وحملة العرش

أولاً . الملائكة :

1. حقيقة الملائكة لغة واصطلاحاً :

الملائكة لغة : جمع ملك، وأصله مألك، وقيل : ملأك على وزن مفعل قُلبت الهمزة إلى اللام ثم أسقطت، فهو على وزن فعل، وقيل مأخوذ من لأك إذا أرسل، فملأك مفعل، ثم نُقلت الحركة وسقطت الهمزة، فوزن ملك فعل، وهي مشتقة من الألوك، وقيل من المألك[1] .

والقول بأن اشتقاق الاسم من الألوكة وهي الرسالة أقرب وأصوب من جهة اللغة والمعنى، أما المعنيان الآخران فهما من صفاتهم عليهم السلام[2] .

الملائكة في الاصطلاح : عرّفهم السيد سابق : "عالم لطيف غيبي غير محسوس، ليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس، وهم من عوالم ما وراء الطبيعة، أو غير المنظورة التي لا يعلم حقيقتها إلا الله، وهم مطهرون من الشهوات الحيوانية، ومبرءون من الميول النفسية، ومنزهون عن الآثام والخطايا"[3] .

الملائكة في القرآن الكريم : "الملائكة خلق من خلق الله سبحانه وتعالى، خلقهم لعبادته، كما خلق الجن والإنس، وهم أحياء عقلاء ناطقون، وعالم الملائكة عالم غير الجن والإنسان، وإذا كان الجميع خلق الله لكنه عالم كريم طاهر اصطفاه الله في الدنيا لقربه ولتنفيذ أوامره الكونية والشرعية، وجعل الله الملائكة رسله وسفراءه إلى خلقه لإبلاغ وحيه فأكرمهم الله بهذا ووصفهم بذلك"[4] .

1. الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان الستة، وهو الركن الثاني من أركان الإيمان، لا يصح ولا يُقبل إيمان الشخص إلا بتحقيقه، لقوله تعالى : **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾**.(سورة البقرة : 285) .

(1) انظر : المصباح المنير : أحمد الفيومي، دار المعارف، الأولى، 1977 ، ص19 .
(2) انظر : الملائكة المقربين : محمد عبد الوهاب العقيل، أضواء السلف، الرياض، الأولى، 2002 ، ص15 .
(3) العقائد الإسلامية : السيد سابق، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، الخامسة عشرة، 2011، ص84 .
(4) الإيمان بالملائكة : علي الصلابي، دار ابن الجوزي، القاهرة، الأولى، 2012، ص12 .

وما رواه أبو هريرة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً للناس، فأتاه رجل فقال : ما الإيمان، قال : "**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث..**"[1] .

فالإيمان بالملائكة واجب، وإنكارهم كفر، "فمن كفر بالملائكة بعد هذا وأنكر وجودهم أو تأوله بأخيلة القوى العقلية والنفسية وأنهم لا وجود لأعيانهم في الخارج، فهو مكذب لله ولرسوله ومَنْ هذا حاله والعياذ بالله فهو كافر بالله"[2] .

ثانياً . العرش وحملة العرش :

حقيقة العرش :

1. في اللغة : من اعترش يعترش على العرش، إذا علا فوقه، والعرش السقف والجمع عروش، والعين والراء والشين أصل صحيح يدل على ارتفاع في الشيء ثم استعير في غير ذلك، ومنه العرش : سرير الملك. وكل بناء يستظل به يقال له عرش، وعريش[3] .

2. في الاصطلاح : العرش هو الجسم المحيط بجميع الأجسام، سمي به لارتفاع أو للتشبيه بسرير الملك في تملكه على الحكم. [4] .

وقد ورد العرش في القرآن في ستة مواضع : ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾.(سورة طه : 5)، أي علا على العرش .

والعرش هو أعلى المخلوقات، يحيط بها من جميع الجهات، وهو سقفها وفوقها، فالأرض مستديرة وفوقها سماء الدنيا محيطة بها وفوقها السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وبالأرض . ثم السماء الثالثة إلى السماء السابعة، والكرسي فوق الأفلاك جميعها، والعرش فوق الكرسي محيط بالجميع لكن الأرض مستديرة وأعلاها من كل جانب هو جهتها من هذا الجانب، والعرش محيط بالجميع وهو أعلى الجميع من كل جهة [5] .

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي، ح (50)، 40/1 .
(2) الملائكة المقربين : محمد العقيل، ص17 .
(3) انظر : مقاييس اللغة : ابن فارس، 264/4 .
(4) التعريفات : الجرجاني، 243 .
(5) الموسوعة الإسلامية العامة ـ ص965 .

موقف مصطفى محمود من الملائكة، وحملة العرش :

أولاً. الملائكة :

1. حديث عن الإيمان بالغيب :

يحدثنا الدكتور مصطفى محمود عن الغيب وما فيه، فيقول : "الدين إحساس قبل أن يكون نظرية تُؤخذ بالبرهان، وهو حالة قلبية أولاً قبل أن يكون حالة عقلية .

وكامتحان لهذه الحالة القلبية، وهذا الموقف القلبي يطرح علينا الله في القرآن الطلاسم الغيبية ما لا يمكن أن نقيم عليه برهاناً بالسلب أو الإيجاب .

وأمثال هذه الملائكة والجن والساعة والعرش والكرسي والصراط والجنة والجن والساعة والعرش والكرسي والجنة والميزان واللوح والقلم والبرزخ"[1] .

ذكر الدكتور لما سبق أنه طلاسم غيبية لا يقبل منه لا جملة ولا تفصيلاً، لأن هذه الأشياء هي جزء من صميم العقيدة، وأمر معرفتها مفصل وواضح في ديننا، وأقل مسلم وعرفة في عقيدته يستطيع أن يتحدث فيها بكل سهولة ويسر.

2. الإيمان بوجود الملائكة :

يؤكد مصطفى محمود على وجوب الإيمان بالملائكة : "والحقيقة أن الإيمان بالجن والملائكة قلباً، هو دليل كاشف على نوع من التذكر الغامض لعالم القدس والملكوت، وأنه إيمان دال على شيء، وليس مجرد تسليم خاوٍ .

ثم يروي لنا الله في القرآن أن الإنسان لا يترك لقرين الشر من الجن، وإنما له قرين آخر من الملائكة يلازمه ويلهمه بالخير .

ويظهر هذا القرين الملائكي ليشهد يوم القيامة ويخبر عن صاحبه : **﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾**.(سورة ق : 23) .

ثم هناك ملائكة كاتبون وملائكة حافظون تعمل في خدمة الإنسان دون أن يراها"[2] .

3. الحديث عن جبريل والملائكة :

"ثم هناك جبريل رسول الملائكة وروح القدس .

---

[1] القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود، ص162.
[2] المصدر السابق : ص 163.

ويُروى عن النبي أنه رآه مرتين على صورته الحقيقية، ويذكر الحديث أن إحدى هاتين المرتين كانت في البقيع، وفي ليلة مقمرة، وأن مرأى ذلك الملاك قد سد الأفق، وملأ جنبات السماء، وأن النبي وقع مغشياً عليه من فرط الرهبة .

وهو حديث يمكن أن يُشك في صحته، ولكن ما لا يُشك فيه هو ما أورده الله عن جبريل في سورة النجم متحدثاً عن القرآن ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾.(سورة النجم : 4-5)، فوصف جبريل بأنه "شديد القوى"، وفي سورة التكوير : ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ**﴾.(سورة التكوير : 19-20)، والرسول الكريم هنا هو جبريل ذو القوة والمكانة عند ذي العرش .

وحينما يصف الله أحد مخلوقاته بأنه "شديد القوى"، وبأنه ذو القوة والمكانة فلا بد أنه هائل عظيم في قوته، وفي إمكانياته .

ونفهم من القرآن أن جبريل يمكن أن ينزل إلى الأرض في أية صورة، ويحمل الوحي إلى أي نبي في أي عصر بأية لغة"[1] .

ويُحدثنا مصطفى محمود عن بقية الملائكة : "بقية الملائكة من ذوي الرتبة العادية، يقول القرآن بلسانهم : ﴿**وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ**﴾.(سورة الصافات : 164)، أي أن كل واحد يقتصر عمله على دور محدد ووظيفة واحدة، لا تتعدد لياقات الملك وكفايته ووظائفه كما تتعدد وظائف الإنسان ومواهبه، فالإنسان مفضل على كثير من الملائكة، فالله سبحانه قال ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾.(سورة البقرة : 31)، وحينما سأل الملائكة عن تلك الأسماء قالوا ﴿**قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا**﴾.(سورة البقرة : 32)، والأسماء هي عديد المعارف والمواهب التي فُضل بها الإنسان على غيره من المخلوقات، ويعلمنا الله أن الملائكة ليس لهم جنس معين، فهم ليسوا بالذكور ولا بالإناث، وهم لا يتناسلون ولا يموتون مثلنا، ويُؤكد أنهم ليسوا بناته أو أبناءه، بل مجرد مخلوقات، وكيف يكون له أبناء وله الملك والملكوت كله، وهو الخالق لما يشاء، ويقول إنهم يعيشون في طاعة وليست لهم حرية الإنسان في أن يعصي : ﴿**لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾.(سورة التحريم : 6)[2] .

ونقرأ للدكتور مصطفى محمود في مكان آخر يتحدث عن الملائكة قائلاً : "الله سبحانه وكل إلى كل فرد من هذا الملأ الأعلى مهمة يقوم بها، فجبريل الروح الأمين هو رسول الوحي،

---

[1] القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود، ص167 .
[2] المصدر السابق : مصطفى محمود، ص167 .

وهو الواسطة بين الله وجميع أنبيائه، وميكائيل مكلف بالأرزاق، وإسرافيل نافخ الصور يوم تقوم الساعة وعزرائيل قابض الأرواح، ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾.(سورة السجدة : 11) .

والملائكة الصافون، والملائكة المسبحون، والملائكة الحافون بالعرش، والملائكة العالون وملائكة التصريف، مُلكٌ عظيمٌ من فوق سبع سماوات لا يتناهى"[1] .

الحق أنه ليس بوارد عندنا أن ملك الموت هو عزرائيل، فهذه من الإسرائيليات التي لا دليل عليها عندنا.

ثانياً. العرش وحملته : تفسيرات وتساؤلات مرفوضة :

يقول مصطفى محمود : "ثم هناك ملائكة العرش : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾.(سورة الحاقة : 17)، كيف تحمل ثمانية من الملائكة عرش الله ؟، أم هم ثمانية صفوف كل صف فيه ما لا نهاية من الملائكة، أم هي ثمانية قوانين فيزيقية أو ميتافيزيقية، لا أحد يعلم، فالقرآن لم يحدد وإنما قال ثمانية وسكت، ولم يقل لنا ثمانية ماذا .

ثم ما هو العرش، أهو رمز ؟ وما هو الكرسي ؟

إنه يوصف في آية الكرسي بأنه : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾.(سورة البقرة : 255)، ومعنى هذا أن كرسي الله وسع السماوات والأرض بما فيهما .

فإذا كان هذا هو الكرسي، فما بال العرش بأسره، وكيف تحمله مخلوقات .

وقد يكون العرش مجرد كلمة مجازية كما نقول عن الكعبة مجازاً إنها "بيت الله" كذلك نتكلم عن "عرش الله" "[2].

ثم نجده يقول في مكان آخر : "حتى عرشه العظيم سبحانه يقول لنا القرآن إنه محمول يحمله ثمانية ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾.(سورة الحاقة : 17)، وهم يحملونه ولا شك بقوة الله ذاته فما ضرورتهم، والجواب لا ضرورة سوى كرمه هو، حيث شاء بكرمه أن يُعطي صفاته الشافية للطبيب، ويتجلى بأحكام اسمه العليم على المعلم، ويتجلى باسمه الرزاق على التاجر وباسمه البديع على الفنان، ويتكرم بقوته على حاملي عرشه، فتلك كلها شواهد كرم منه لا شواهد حاجة إلينا"[3] .

---

[1] القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود، ص167 .
[2] المصدر السابق : ص 165.
[3] انظر : الإسلام ما هو : مصطفى محمود، مؤسسة أخبار اليوم، الأولى، 2008م، ص109 .

مناقشة مصطفى محمود في حديثه عن الملائكة :

هذا كل ما ذكره الدكتور مصطفى محمود عن الملائكة، وهو في مجمله لا يخرج عما نعرف، ويعرف غيرنا من معلومات عن هذا الخلق العظيم .

وما ذكره الدكتور لا يخلو من المخالفات التي تحتاج إلى توضيح :

1. حديثه عن وجود أمور في القرآن لا نستطيع "أن نقيم عليها برهاناً بالسلب أو الإيجاب"، وكأنه يريد أن يقول بوجود أشياء لم يعقلها محمد ولا أصحابه وبالتالي بقية الأمة، وهذا غير مقبول كلياً، فلا يوجد شئ في ديننا فوق قدرة البشر في المعرفة، لأنه دين الواقع والحياة، ربما يصدق هذا الكلام على الأديان الأخرى أما الإسلام فلا.

2. حديثه عن القوانين الفيزيقية وما وراء الميتافيزيقيا هو أيضاً من المخالفات، لأن نص الآية واضح الدلالة على أن حملة العرش ملائكة وأن الضمير في قوله تعالى (فوقهم)، يدل على جمع العقلاء، والقوانينُ مما لا تَعقل، فهو مخالف لقواعد اللغة .

3. ثم قوله أن الملائكة لا يتناسلون ولا يموتون، لا يتناسلون حق، لأنهم يتكاثرون بخلق الله لهم، أما لا يموتون فهذا مخالف لما عليه العلم، وما دلت عليه النصوص الشرعية **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾**، فهم يموتون كما تموت كل الخلائق .

4. ثم طعنه في حديث رؤية النبي لجبريل عليه السلام، هكذا دون أن يُبين لنا حيثيات شكه في الحديث، سنداً أو متناً، وهي عادة بعض المثقفين في رفضهم لأي شيء لا يتوافق مع هواهم وميولهم، والحديث في الصحيح، وقد اعتبره علماء الأمة على مدار مئات السنين، فلا يجوز لنا أن نطعن فيه أو في غيره دون مبررات مقبولة .

5. وعن رؤية البشر العاديين للملائكة على حقيقتهم، وللشياطين والجن يقول الجبري قائلاً : "هذا مخالف لما قال الله في الشياطين : **﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾**.(سورة الأعراف : 27)، يستثنى من هذا ما رُوي من أن النبي ربط شيطاناً في سارية المسجد، فهذه خصوصية مروية رواية ثقة، دون ما نسمعه من خرافات غير موثوق برواتها. أما الملائكة والجن فقد يُرون في أشكال شتى، وهذا مروي في السنة"[(1)]

6. وحديثه عن أن كل واحد من الملائكة يقتصر عمله على دور محدد ووظيفة واحدة، لا تتعدد لياقات الملك وكفايته ووظائفه كما تتعدد وظائف الإنسان ومواهبه، هذا أيضاً غير دقيق فإن

(1) المصدر السابق : الجبري، ص148 .

للملك أعمالاً متعددة على حسب ما يأمره به الله تعالى، وقد كان جبريل ينزل بالوحي ويقاتل مع المسلمين ويؤنس النبي ويواسيه .

هذه التفسيرات والتساؤلات يرى الباحث أنها ليست في مكانها وذلك لأن أمر الملائكة والعرش والآخرة وما فيها هي من أمور الغيب الذي لا نعرف من أمره إلا ما أخبرنا عنه الله تعالى أو نبيه صلى الله عليه وسلّم، وبالتالي الخوض في هذه الأمور لا يجدي .

أما حينما تكلم مصطفى محمود عن العرش قال أنه قد يكون كلمة مجازية كقولنا "بيت الله". السؤال هنا لمَ نلجأ إلى التأويل وإخراج الألفاظ عن ظاهرها، وما المانع أن يكون العرش عرشاً حقيقياً، ونحن أهل السنة نؤمن بمدلول ومعنى الألفاظ بكل ما تدل عليه من معنى معروف عندنا، لكن الكيفية نترك أمرها لله تعالى، لا نخوض فيها .

والعرش كما يقول شارح الطحاوية " سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات"[1]

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية : أحمد الطحاوي، ص 250.

المطلب الثاني

إبليس والجن

أولاً : إبليس :

1. حقيقته في اللغة والاصطلاح :

في اللغة : الباء واللام والسين أصل واحد بمعنى اليأس، يقال أبلس إذا يئس، ومنه اشتق اسم إبليس، كأنه يئس من رحمة الله[1]، وأبلس الرجل إبلاساً فهو مبلس إذا قطع به وسكت وتحير، وأبلس من رحمة الله أي يئس وندم وحزن، يقال : أبلس من رحمة الله أي أيس، ومنه قوله تعالى:﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ**﴾(سورة الروم : 12)، أي ييأسون من كل خير .

في الاصطلاح : هو ذلك المخلوق من النار والذي كان يجالس الملائكة ويتعبد معهم وليس من جنسهم، وخالف أمر الله بالسجود لآدم فطرد من رحمة الله، فسمي إبليس لأنه أبلس من الرحمة، فنزل إلى الأرض مذموماً، فسأل الله النظرة ليوم القيامة فأنظره الله[2] .

2. أوصاف إبليس : ذم القرآن الكريم إبليس ووصفه بعدة صفات، منها :

- **أنه رجيم : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾** (سورة النحل : 98).
- **المارد : ﴿وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾** (سورة الصافات : 7).
- **الوسواس الخناس :﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾** (سورة الناس : 4-5).

ثانياً : الجن :

1. حقيقة الجن في اللغة والاصطلاح :

في اللغة : الجيم والنون أصل واحد وهو بمعنى الستر والتستتر، وسُموا بهذا الاسم لأنهم متسترون عن أعين الخلق[3] اسم جنس واحده جني، وهي من الاجتنان وهو الاستخفاء والستر، ولهذا سموا بذلك لاجتنانهم على الناس، وجُن الرجل فهو مجنون، إذا خفي عقله واستتر، وجن الرجل إذا أعجب بنفسه حتى يصير كالمجنون، وسُمي الجنين جنيناً لاستتاره في بطن أمه ﴿**وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**﴾ (سورة النجم : 32) .

---

(1) انظر : مقاييس اللغة : ابن فارس، 300/1.

(2) انظر : عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة : عبد الكريم العبيدات، دار إشبيليا للنشر، الرياض، الثانية، 1419هـ، ص465 .

(3) انظر : مقاييس اللغة : ابن فارس، 421/1.

الجن في الاصطلاح :

اكتفى بتعريف الشيخ سيد سابق للجن لما رأيت فيه الكفاية : "الجن نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الإنسان، ولكنهم مجردون عن المادة البشرية، مستترون عن الحواس، لا يُرون على طبيعتهم، ولا بصورتهم الحقيقية، ولهم قدرة على التشكل وهم مخلوقون من نار لا دخان فيها، خُلقوا قبل الآدميين"[(1)] .

2. خَلق الجن :

بينت الآيات القرآنية أن الجن أسبق في الوجود من الإنس، وأنهم سكنوا الأرض قبل أن يسكنها الإنسان ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ، وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ**﴾ (سورة الحجر : 26–27).

3. وجود الجن والإيمان بهم :

ثبت وجود الجن بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ومن الأدلة الكثيرة على وجودهم قوله تعالى :﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً**﴾.(سورة الجن : 1).

وقوله تعالى :﴿**قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾.(سورة الإسراء: 88)

أما السنة النبوية فيما سبق ذكره من حديث عائشة رضي الله عنها، وما رُوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء، إلا شهد له يوم القيامة**"[(2)] .

أما عن إجماع الأمة فقد : "أجمع العلماء منذ الصدر الأول للإسلام على الإيمان بوجود عالم الجن مستقلاً عن عالم الإنس، وقد نقل هذا الإجماع ابن تيمية، حيث بيّن أنه لم يخالف فيه إلا شرذمة من الفلاسفة الذين لا يعتد بقولهم، وممن نقل الإجماع أيضاً إمام الحرمين الجويني[(3)]،

---

(1) العقائد الإسلامية : سيد سابق، ص101 .

(2) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب التوحيد، باب قول النبي الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، ح (7548)، 2358/4 .

(3) الجويني : عبد الملك بن عبد الله (إمام الحرمين)، (1028 _1085 م)، فقيه ومتكلم، شافعي المذهب، ولد في نيسابور ومات فيها، والده من كبار علماء نيسابور، رحل إلى بغداد والمدينة المنورة ومكة المكرمة، ودرّس فيها العلم لهذا لُقب بإمام الحرمين، له كثير من المصنفات منها : البرهان، والارشاد، والشامل، والورقات . (انظر : الموسوعة العربية ـ 217/1) .

وأبو بكر الباقلاني[1]، وابن حزم[2]"[3] .

موقف مصطفى محمود من إبليس والجن :

أصدر مصطفى محمود كتاباً له بعنوان (المسيح الدجال) ضمنه ثلاثة مقالات تحدث فيها عن إبليس وغوايته للإنسان من اللحظة الأولى التي التقى فيها بآدم عليه السلام، وجاءت هذه المقالات على شكل قصص وبأسلوب أدبي فني، وكانت عناوين هذه المقالات القصصية هي / "المسيح الدجال"، "لقاء مع الشيطان"، "زهرة الرند"(4) .

وهو في هذه المقالات يتحدث على لسان إبليس.

يُؤخذ عليه أنه ذكر خلالها بعض الأسماء من مشاهير الفن أنه رآهم في الجنة، (منيرة المهدية وأم كلثوم وعبد الحليم حافظ)، وذكر أسماء أشخاص آخرين في النار، وهذا مما لا يجوز لأن أمر الجنة والنار من المغيبات التي لم يطلع عليها أحد من الناس، إلا من رضي الله له من ملك أو رسول .

وهذه المسألة في غاية الأهمية، فقد ذكر شارح الطحاوية "أنا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة إنه من أهل الجنة أو من أهل النار، إلا من أخبر الصادق صلى الله عليه وسلّم أنه من أهل الجنة كالعشرة رضي الله عنهم"(5).

وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

1. الحديث عن إبليس وخطره على الإنسان :

نراه يقول عن إبليس : "لم يجعل الله إبليس إبليساً، وإنما إبليس اختار لنفسه الكبرياء والجبروت والتعاظم حينما رفض أن يكون في خدمة آدم مثل بقية الملائكة وقال : ﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ (سورة ص : 76) .

---

[1] الباقلاني : محمد بن الطيب (950 - 1013م)، فقيه ومتكلم، ولد بالبصرة ومات ببغداد، أشعري المذهب، من أشهر من ناظر المعتزلة وتغلب عليهم، جادل علماء النصارى في القسطنطينية وتغلب عليهم، له مؤلفات كثيرة تزيد عن الخمسين مؤلفاً منها : التمهيد، والأصول الكبرى، وإعجاز القرآن وهداية المسترشدين . (انظر : الموسوعة العربية - 313/1 م) .

[2] ابن حزم : علي بن أحمد : (994 - 1064 م)، عالم عربي أندلسي، مؤرخ وفقيه ومحدث وأديب ومؤلف في علم الكلام والعقائد والفلسفة، أشتهر بمذهبه الظاهري في الفقه، له مؤلفات كثيرة منها : طوق الحمامة، والفصل في الملل والأهواء والنحل، والأحكام لأصول الأحكام، وغيرها كثير . (انظر : الموسوعة العربية - 13/1) .

[3] انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية، 32/19، والفصل في الملل والأهواء والنحل : ابن حزم،9/5.

[4] انظر : المسيح الدجال : مصطفى محمود، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، 2004م، ص9 .

[5] شرح العقيدة الطحاوية : أحمد الطحاوي، ص 366.

اختار إبليس لنفسه الغرور بغير علم ولا حق، فاختاره الله ليغرر بالناس وقضى عليه قضاء من جنس ضميره، وبالمثل أبصر النقاء والطهر في قلب محمد فاختاره نبياً للهداية"(1) .

ذكر الباحث فيما سبق أن إبليس رفض أمر الله سبحانه بالسجود لآدم، ولم يكن الرفض لخدمة آدم، لذا لزم التنبيه .

ثم في موضع آخر يتناول الحديث عن إبليس قائلاً : "ويقول إبليس في كبرياء وغرور مبرراً عصيانه للأمر الإلهي بالسجود لآدم **﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾** .

إنه لم يدرك حكمة الله في تشريف ابن الطين، ولكن الله وحده كان يعلم أن آدم سوف يتعذب نتيجة خلقته المتصارعة من التراب ومن الروح وأنه سوف يعاني عناءً هائلاً ويتمزق بين رغبات الجسد الهابطة وسبحات روحه وضميره المتعالية .

ولكن إبليس في كبريائه وغروره وتجبره فاتته هذه الحقيقة، ولم يذكر إلا أنه خُلق من نار وأن آدم خُلق من طين، وأنه خُلق قبل آدم **﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾** (سورة الحجر : 27)، ونار السموم هي النار الصافية بلا دخان"(2) .

ويختم قائلاً : "إبليس نموذجٌ عجيبٌ من الإصرار على المخالفة، فهذا مخلوق أمهله ربه ليعيش دون موت من مبدأ آدم إلى قيام الساعة وهي مدة بالتقدير الزمني أكثر من عشرة ملايين سنة (عمر البشرية منذ آدم)، وهو ما يزال قائماً على الغواية والإفساد لم يتطور ولم يتطهر ولم يتكامل ولم يرجع عن إفساده قيد أنملة".(3)

2. حديثه عن الجن :

يذكر الدكتور أن "الجن موجود وهو حقيقة لا شك فيها، ويمكن للجن أن يضر وممكن أن يسبب المرض، والمس الجني في القرآن مذكور".(4)

ثم نراه يقول : "ويروي الله عن الجن تفصيلاً فيقول أنهم أمم منهم الصالحون الأخيار الصالحون الأخيار ومنهم الكفرة الأشرار، وأنهم ذكور وإناث، وأنهم يتناسلون، وأنهم يستمعون إلى ما يدور في عالم الإنس ويدسون لهم، ومنهم المردة الذين يتطاولون فيتسمعون إلى ما يجري في الملأ الأعلى أملاً في معرفة الغيب، فيُقذفون بالشهب ويُحرقون، ومنهم من يمس الإنسان

---

(1) القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود، ص46 .
(2) انظر : المصدر السابق : مصطفى محمود، ص70 .
(3) السؤال الحائر : مصطفى محمود، ص81.
(4) الغد المشتعل : مصطفى محمود، ص56.

فيصيبه بالضر، ولكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك إلا بمشيئة الله، كما أن الشفاء لا يمكن أن يتم إلا بمشيئة الله، أما محاولة استرضاء الجن بتقديم الذبائح والقرابين لاستجذاب الشفاء، فهو جهل وشرك، كذلك تحضير الجن لتسخيرهم أمر يعود في النهاية بالضرر وليس بالنفع على أصحابه **﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنْ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾** (سورة الجن : 6)، ويؤكد القرآن أن الجن لا يعرف الغيب وأنه يتسمع دون جدوى لأنه معزول عن السمع : **﴿إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾** (سورة الشعراء : 212) .

وأنهم يموتون ويبعثون ويحاسبون كأبناء آدم .

وهكذا نرى أن الدكتور مصطفى محمود في حديثه عن الجن وإبليس يقرر ما قرره الإسلام تماماً دون الدخول في متاهات المتكلمين أو الفلاسفة"[(1)] .

أما حديثه عن الشياطين فيقول عنهم : "إنه من فصيلة الجن هو وقبيله، ولكنهم أمهلوا فلا يموتون إلا إذا قامت الساعة، فيكون موتهم ثم بعثهم ليخلدوا بعد ذلك في الجحيم .

والشياطين هم الذين علموا الناس السحر، وما يُفرق به الساحر بين الرجل وزوجته"[(2)].

3. علاقة مصطفى محمود بالجن :

ثارت في أواخر حياة الدكتور مصطفى محمود إشاعات عن علاقته بتحضير الجن واستخدامه في حل مشكلات أصحابه وأصدقائه، وقد نشرت الكاتبة الصحفية د.لوتس عبد الكريم مقالة في مجلة "شموع" القاهرية، عن صداقة الدكتور بالجن وأنه كشف لها عن أسرار علاقته بالجن ، وأنه لم يكن يرى شيئاً يعيبه في ذلك لأن القرآن الكريم تحدث عنهم، وهم كائنات مثلنا، وأن هذه العلاقات تحققت بسبب فضوله وحبه لاستطلاع الغيبيات .

وأضافت : حسب كلامه أقام اتصالات معهم، وأن صداقته للجن في فترة من حياته كانت سبباً فيما بعد في الأمراض التي يعاني منها حيث أجرى عمليات مختلفة في جميع أجهزة جسمه العليل دائماً، وأن الجن عندما كانوا يقتربون منه أو يحتضنونه يسببون له آلاماً انعكست على صحته، وذكرت أنه كان يستعين بهم في قضاء حاجات أصدقائه من أصحاب المشكلات، ووصف لي كيف كان الجان حين يستدعيه يأتي إليه مسرعاً فيبدو الممر المفضي إلي غرفته مشتعلاً بالنيران، وحين يدخل إليه يحتضنه بشدة، فيغمى عليه فترة غير قصيرة في البداية كان

---

(1) انظر : المصدر السابق : مصطفى محمود، ص168 .
(2) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص172 .

الألم هائلاً، ثم اعتاده فلم يعد يعاني من شيء لأن الجان أصبح صديقه، يفضي إليه بكل ما يريد ويحقق له ولأصحابه المعجزات[1] .

4. نفي الدكتور مصطفى محمود وجود علاقة بينه وبين الجن :

وقد نفى الدكتور مصطفى مثل هذه الأمور قائلاً : "هذه الشائعة أكثر الشائعات افتراءً، ولقد كنت شغوفاً بالتعرف على عالم الأرواح والجان، وحاولت كثيراً في شبابي ومراحل متقدمة من عمري التعرف على هذا العالم الخفي والغريب، لكني لا أستطيع أن أفعل كل هذه الأشياء التي ترددت عن علاقتي بالجان خاصة بعد أن أصبحت في أواخر عمري، وبعد أن هدأت نفسي ووصلت إلى اليقين"[2] .

وفي لقاء مع جريدة الشرق الأوسط أبدت ابنة الدكتور مصطفى محمود استياءها مما نُشر في مجلة محلية من أن والدها على علاقة صداقة بالجن، موضحة أن ذلك لا أساس له من الصحة وأن والدها معروف عنه منهجه العقلي الذي يرفض الخرافات[3] .

وتقول زوجته الثانية في لقاء مع جريدة اليوم السابع : "كان بعض البسطاء من الناس يقبلون عليه من أجل أن يساعدهم في فك الأعمال والسحر، فكان يقنعهم ويبسط لهم الأمور، وكان يرى أن قضية الجن والعفاريت ينصب بها الدجالون على البسطاء ويبتزونهم"[4] .

من خلال دراسة كتابات مصطفى محمود ما وجدته يتكلم عن الملائكة والجن هو حديث المسلم العادي ليس له فيه شطط المتكلمين ولا إنكار المتفلسفين، إلا أنه يصوغه صياغة أدبية فنية.

---

(1) مجلة شموع : لوتس عبد الكريم، العدد 19 ، 2007م، القاهرة .
(2) انظر : الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأخيرة بعنوان ، الشائعات تطاردني دائماً .
(3) جريدة الشرق الأوسط : العدد (10804)، الجمعة 27 يونيو 2008م، لقاء مع ابنة الدكتور مصطفى محمود.
(4) جريدة اليوم السابع : لقاء صحفي :عدد الجمعة، 13 نوفمبر، 2009م .

المطلب الثالث

رأي مصطفى محمود في الروح والموت

أولاً : الروح :

1. حقيقة الروح في اللغة والاصطلاح :

في اللغة : الراء والواو والحاء أصل يدل على سعة وفسحة واطراد، وأصل ذلك كله الريح، وأصل الياء الواو والروح مشتق من الريح، والروح نسيم الريح[1] .

والروح بالفم النفخ، وسُمي روحاً لأنه ريح يخرج من الروح، والروح هو توأم الإنسان الحي، وحقيقته لا يعلمها إلا الله، وهو مذكر، والجمع أرواح[2] .

في الاصطلاح : احتار الإنسان في أمر الروح على مدار حياته منذ بداية البشرية إلى يومنا هذا، وبالتالي تعددت تعريفات الروح عندنا نحن المسلمين، وعند غيرنا من أصحاب الملل والفلاسفة من غيرنا .

ومن تعريفات الروح ما ذكره أبو البقاء : "**هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الراكبة على الروح الحيواني، تعجز العقول عن إدراك كنهه**"[3] .

وعرّفها السيد سابق : "**ذات مجردة عن المادة، وأنها جسم نوراني علوي حي، يغاير هذا الجسد المادي، ويسري فيه سريان الماء في العود الأخضر، لا يقبل التحلل ولا الانقسام، يفيض على الجسم الحياة وتوابعها ما دام الجسم صالحاً لقبول الفيض**"[4] .

ثانياً . موقف مصطفى محمود من الروح :

كتب مصطفى محمود كتاباً سماه (**الروح والجسد**)، تناول فيه جملة موضوعات ذات علاقة بالروح والنفس، ثم كتب عدة مقالات في كتب متفرقة حول هذا الموضوع؛ منها كتاب (**عالم الأسرار**)، وكتاب (**الأحلام**)، وكتاب (**الوجود والعدم**)، وكتاب (**السؤال الحائر**) .

1. النفس والروح في القرآن الكريم :

يبدأ مصطفى محمود حديثه عن النفس والروح فيقول : النفس في القرآن تموت شأنها شأن البدن ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ (سورة آل عمران : 185) .

---

[1] انظر : مقاييس اللغة : ابن فارس، 454/2 .
[2] انظر : لسان العرب : ابن منظور، 1247/2 .
[3] انظر : الكليات : أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، 1992م، ص469 .
[4] العقائد الإسلامية : سيد سابق، 175 .

والنفس في القرآن هي مجمل الرغبات والغرائز والأهواء ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾ (سورة يوسف : 53)، ﴿**وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي**﴾ (سورة طه : 96) .

ولكن الروح في القرآن غير النفس، وهي السر الإلهي الباقي الذي لا يجري عليه قدر الموت والروح في الفلسفة لغز، وهي أمر لا يمكن إثباته بالشواهد والأدلة الحسية على وجه القطع، ولا يمكن إنكاره إلا تعسفاً، ولا يكمن تجاوزه إلا جهلاً .

وهي تبقى بعد ذلك قضية القضايا التي يقف أمامها علمنا المحدود مكتوف الأيدي، وهي أعصى بكثير من قضية وجود الخالق ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ (سورة الإسراء : 85)[1] .

2. العلاقة بين الجسد والروح :

ويقول عن علاقة الجسد بالروح : "نحن لم نوهب الشهوة لنشبعها أكلاً وشرباً ومضاجعة وتكديساً للمطامع والثروات، وإنما وهبنا الشهوة لنقمعها ونكبحها ونصعد عليها كما نصعد على درج السلم، فالجسد هو الضد الذي تؤكد الروح وجودها بقمعه وكبحه وردعه والتسلق عليه .

وبقمع الجسد وردعه وكبحه تسترد الروح هويتها كأميرة حاكمة وتعبر عن وجودها وتثبت نفسها وتستخلص ذاتها من قبضة الطين، وتصبح جديرة بجنتها وميراثها، وميراثها السماء كلها، ومقعد الصدق إلى جوار الله، وهذه هي السعادة الحقة .

وطريق الإنسان هو هذا الكدح خارجاً من قبضة مادته إلى نورانية روحه"[2] .

للباحث وقفة عند هذا الكلام، فليس صحيح أننا وهبنا الشهوة لنقمعها ونكبحها ونصعد عليها كما نصعد على درج السلم، بل لنقيم توازن بينها وبين الروح، بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى، وليس مطلوب منا أن نكون ملائكة، ولا أن نتردى مستوى الشياطين، ودين الإسلام يتناغم مع الفطرة الإنسانية : {**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**}. (سورة الأعراف : 32).

روى البخاري: "**إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**". [3]

---

(1) انظر : المصدر السابق : مصطفى محمود، ص260 .

(2) الروح والجسد : مصطفى محمود، دار المعارف، مصر، السابعة، 1998، ص23 .

(3) أخرجه البخاري : كتاب الصوم، باب : من أقسم على أخيه، ح (1967)، 584/2.

3. الفرق بين النفس والروح :

يَفصل مصطفى محمود ما بين النفس والروح فيقول : في اللغة الدارجة نخلط دائماً بين النفس والروح، فنقول فلان طلعت روحه، وفلان تشتهي روحه، وفلان تتعذب روحه، وكلها تعبيرات خاطئة، وكلها أحوال تخص النفس وليس الروح .

فالتي تخرج من بدن الميت عند الحشرجة والموت هي نفسه وليس روحه، والتي تذوق الموت هي النفس وليست الروح ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ (سورة آل عمران : 185)، فالنفس تذوق الموت ولكن لا تموت، والنفس موجودة قبل الميلاد ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا**﴾ (سورة الأعراف : 172) .

والروح لا تُوسوس ولا تشتهي ولا تهوى ولا تضجر ولا تمل ولا تتعذب ولا تعاني هبوطاً ولا انتكاساً، إنما تلك كلها من أحوال النفس وليس الروح ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ**﴾ (سورة المائدة : 30)، ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ**﴾ (سورة ق : 16)، ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ (سورة الشمس : 7-8) .

فالنفس هي المتهمة في القرآن بالشح والوسواس والفجور والطبيعة الأمارة، وللنفس في القرآن ترق وعروج، فهي يمكن أن تتزكى وتتطهر فتوصف بأنها لوامة وملهمة ومطمئنة وراضية ومرضية ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ (سورة الفجر : 27-30).

أما الروح في القرآن فتذكر دائماً بدرجة عالية من التقديس والتنزيه والتشريف ولا يذكر لها أحوال من عذاب أو هوى أو شهوة أو شوق أو تطهر أو تدنس أو رفعة أو هبوط أو ضجر أو ملل، ولا يذكر أنها تخرج من الجسد أو أنها تذوق الموت ولا تنسب إلى الإنسان، وإنما تأتي دائماً منسوبة إلى الله:﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾(سورة الحجر: 29).

أما النفس فتنسب دائماً إلى صاحبها،﴿**وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ**﴾ (سورة التوبة : 118)، ﴿**مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ**﴾ (سورة الإسراء : 15)، ثم يكون السؤال ما نصيب كل منا من الروح ؟ نصيبنا من الروح هو النفخة التي ذكرها القرآن، وهو ما يتكرر مع كل إنسان داخل الرحم في الشهر الثالث، ومن ثمار هذه النفخة السمع والبصر والفؤاد، وبفضل هذه النفخة يصبح للواحد منا خيال وضمير وقيم من المثل، والجسد والروح فينا أشبه بأرض الواقع، وسماء المثل، وعلاقة النفس بالروح والجسد هي أشبه بعلاقة ذرة الحديد بالمجال المغناطيسي ذي القطبين .

والجسد والروح هما مجال الامتحان والابتلاء، فتبلى النفس وتمتحن بهاتين القوتين الجاذبتين إلى أسفل وإلى أعلى لتخرج سرها وتفصح عن حقيقتها ورتبتها وليظهر خيرها من شرها[1] .

4. مناقشة منكري الروح :

كان لمصطفى محمود دور بارز في دحض شبه المنكرين والمشككين، وهنا نجده يتحدث راداً على منكري الروح قائلاً : إن الروح حقيقة، وهي متجاوزة للجسد عالية عليه لا يجري عليها حدث الفناء، فهي باقية خالدة لها يوم وميقات وآخرة تلقى فيها خالقها .

إن الروح حقائق مقررة، ولكن قارئ اليوم يحب أن يقتنع في هذه المسائل بالبرهان الفلسفي .

ولعشاق الفلسفة نقدم دليلاً على وجود الروح من الخاصية التي تتميز بها الحركة، فالحركة لا يمكن رصدها إلا من خارجها .

لا يمكن أن تدرك الحركة وأنت تتحرك معها في نفس الفلك، وإنما لا بد لك من عينة خارجية تقف عليها لترصدها، ولهذا تأتي عليك لحظة وأنت في أسانسير متحرك لا تستطيع أن تعرف هل هو واقف أم متحرك لأنك أصبحت قطعة واحدة معه في حركته، لا تستطيع إدراك هذه الحركة إلا إذا نظرت من باب الأسانسير إلى الرصيف الثابت في الخارج .

لا تستطيع أن تحيط بحالة إلا إذا خرجت خارجها .

وكل منا يستطيع أن يلمس هذا الوجود الروحي بداخله، ويدرك أنه وجود مغاير في نوعيته للوجود الخارجي النابض المتغير الذي يتدفق حولنا في شلالات من التغيرات .

الوجود الروحي يدل عليه أيضاً الضمير، ويدل عليه الإحساس بالجمال، ويدل عليه الحاسة الخفية التي تميز الحق عن الباطل والزائف من الصحيح .

ولعل الروح هي طابع الحسن الذي تركه الخالق على كل منا كأثر من آثار يديه، ولعلها قبس من روحه إذ نفخ فينا من روحه، ولعلها شرارة مقدسة من نوره وشعاع من شمسه الأبدية[2].

قد يفهم البعض أن محمود يقصد أن الروح هي جزء من الله، والحق أن الروح مخلوق لله تعالى كأي خلق، ونسبتها لله هي نسبة تشريف ليس إلا، وهذا هو موقف السلف والخلف .

هذا بعض ما قاله علماؤنا عن عالم الروح، ولكن مصطفى محمود يصوغه بصياغة فنية أدبية فلسفية، يجذب من خلالها القارئ لما يريد من أفكار وآراء .

---

(1) انظر : مصطفى محمود : القرآن كائن حي، دار المعارف، مصر، 1993م، ص19 .
(2) انظر : القرآن محاولة فهم عصري : مصطفى محمود، 212 .

ثالثاً . الموت :

1. حقيقة الموت في اللغة والاصطلاح :

الموت في اللغة : الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل على ذهاب القوة من الشيء، والموت خلاف الحياة[1] .

الموت في المعنى الاصطلاحي :

عرّفه التهانوي : "كيفية وجودية يخلقها الله تعالى في الحي وهو ضد الحياة"[2] .

عرّفه الأشقر : "انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار "[3] .

رابعاً . موقف مصطفى محمود من الموت وما بعد الموت :

حول هذا الموضوع كتب مصطفى محمود كثيراً، ما بين كتاب مستقل : **(لغز الموت)** وموضوعات متفرقة بثها في كتب متنوعة الموضوعات، أو مقالات صحفية هنا وهناك .

1. الموت لغز عجيب :

بدأ كتابه لغز الموت بكلمات فلسفية معبرة بشكل كبير "ليس هناك أغرب من الموت، إنه حادث غريب، أن يصبح الشيء لا شيء .

إن الموت في حقيقته حياة، وأنه لا يحتوي على مفاجأة، لأن الموت يموت عندنا وفي داخلنا في كل لحظة حق ونحن أحياء، كل نقطة لعاب، وكل دمعة، وكل قطرة عرق، فيها خلايا ميتة .

الموت إذن حدث دائب مستمر، يعتري الإنسان وهو على قدميه، ويعتري المجتمعات وهي في عنفوانها"[4] .

الدكتور يتحدث عن الموت بأنه حادث غريب، وهذا ليس دقيقاً، لأن الموت حقيقة وحق، خلقه الله كما خلق الحياة، **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾**. (سورة الملك : 2).

ونهاية الموجودات إلى الموت هي النهاية الطبيعية، فليس هناك شئ باق إلا الله تعالى.

---

(1) انظر : مقاييس اللغة : ابن فارس، 283/5 .
(2) موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم : محمد التهانوي، مكتبة لبنان، بيروت، الأولى، 1996، 1668/2 .
(3) القيامة الصغرى : عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، بيروت، الثالثة، 1991، ص14 .
(4) انظر : لغز الموت : مصطفى محمود، ص5 .

2. نظرة الناس إلى الموت :

ثم ينتقل للحديث عن النظرة إلى الموت وأهميته، فيقول : "الموت بالنسبة لكل منا أزمة وسؤال يبعث على الدهشة والقلق والذعر. لكنه بالنسبة للكون شيء آخر، إنه بالنسبة للكون ضرورة وفضيلة وخير .

الموت والحياة حينما ننظر لهما من بعيد، وهما يعملان في الكون يظهران وهما يخلقان الواقع . الموت يبدو مكملاً للحياة، يبدو كالبستاني الذي يقتلع النباتات الفاسدة ويسوي الأرض ويحرثها ليفسح المجال للبذور الصغيرة الرقيقة لتطرح ثمارها"[(1)] .

وعن عذاب القبر ونعيمه يقول : "وعذاب القبر ورد مرة واحدة عن فرعون وعصابته، يقول ربنا:﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ (سورة غافر:46)، عذاب القبر هو عذاب نفسي برزخي فهو عرض مستمر على النفوس الشاخصة في قبورها ارتقاباً لمصير مشئوم وكابوس متواصل عن أهوال قادمة حينما تقوم الساعة.

أما الساعة والقيامة والبعث وعودة النفوس إلى التجسد (هذه المرة في أجساد ملكية لا تفنى ولا تهلك)، فهي مرحلة أخرى العذاب فيها أشد والنعيم فيها أعظم وهو أمر لا يحدث إلا عند نفخة الصور.

إنها الصحوة الثانية وكانت الصحوة الأولى هي خروج النفس من البدن لحظة الموت وما جرى فيها من مفاجآت، أما هذه المرة فهي قيام وانتفاضة من رقدة القبر في أعقاب صيحة هائلة فإذا النفوس قد عادت أجساداً ووقفت ترتجف في ارتقاب يوم مهول."[(2)] .

وللباحث وقفة هنا وهي أن عذاب القبر ثابت عندنا ورد ذكره في الكثير من الآيات القرآنية وليس فقط في آية سورة غافر المتحدثة عن فرعون، فقد ورد في سورة الطور ﴿**وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة الطور : 47)، هذا غير الأحاديث النبوية الشريفة، ومنها ما رواه أنس أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : "**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر**"[(3)] .

---

(1) انظر : المصدر السابق : مصطفى محمود، 14 .
(2) انظر : ماذا وراء بوابة الموت : مصطفى محمود، ص17 .
(3) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات عذاب القبر والتعوذ فيه، ح (2868)،325/6.

وعقيدة أهل السنة والجماعة "أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قُبر أو لم يُقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صُلب أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور" .[1]

ثم قوله إن البعث يكون في أجساد ملكية لا تفنى ولا تهلك، فهذا أيضاً غير صحيح، فأهل النار يحدث لهم فيها هلاك أجسادهم، ثم يعيدها الله مرة أخرى ليذوقوا العذاب. ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾.(سورة النساء : 56).

أيضاً، موضوع أن العذاب للروح، فهذا مما خالف فيه ما اتفق عليه جموع العلماء من أن العذاب للروح والجسد معاً، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، فيحصل له معها النعيم أو العذاب"[2].

ونختم بهذه الكلمات ذات الإيحاء الجميل وهو يتحدث عن الموت : "إنه صاحب الجلالة الموت، أقرب إلى كل منا من ظله، بل أقرب إلى الواحد من نطقه، وأقرب إليه من نفسه التي بين جنبيه . يجري في الدم واللعاب والنبض ويسكن النخاع .

ولكنه لا بد أن يسقط لأن كل الذين سبقوه قد سقطوا .

يا سادتي، الأرض مغطاة برفاة الموتى . وتحت القاهرة ثلاث مدن وثلاثة عصور نمشي ونرقص على رفاتها وجماجمها .

وغداً يمشي الأحفاد على ترابنا، في لا مبالاة تامة وكل منهم مشغول بحاله ملفوف في همومه"[3] .

3. عالم البرزخ وأسراره :

أما عن البرزخ فيقول الدكتور : "إن البرزخ والحجر المحجور، والمنع الممنوع، كلها إشارات إلى قوانين الفيزيقية التي تمنع وتضبط وتحفظ لكل شيء حدوده ومكانه .

وهذا يفسر لنا ما قاله القرآن عن الموتى : ﴿**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ (سورة المؤمنون : 100) .

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية : أحمد الطحاوي، ص 391.
[2] انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية، 282/4 .
[3] المسيخ الدجال : مصطفى محمود، ص104 .

فليس معنى البرزخ هنا فاصل مكاني يفصل أرواح الموتى عن دنيا الأحياء، وإنما معناه القوانين المانعة، فالأرواح بعد الموت تبدأ حياة ذات قوانين مختلفة، ولهذا يستحيل عليها أن تخاطبنا ويستحيل علينا أن نخاطبها، لأن بيننا برزخاً، هو اختلاف القوانين بين عالمنا وعالم الأرواح، مع أنها قد تكون حولنا في ذات اللحظة والمكان، ولكن الاتصال يظل مستحيلاً ومعدوماً لاختلاف قوانين وجودها عن قوانين وجودنا وهذا هو البرزخ"[(1)] .

حديث الدكتور عن أن البرزخ ما هو إلا "قوانين الفيزيقية التي تمنع وتضبط وتحفظ"، كلام يعوزه الدقة، فالبرزخ عندنا هو الحياة الثانية، يطلق على الفترة الزمنية ما بين الموت إلى البعث والحشر (الآخرة)، ﴿**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾، وهي حياة لها أحكامها وظروفها الأرواح والأبدان المختلفة عن ظروف الحياة الدنيا. و"المفسرون ذكروا أن البرزخ هو الحائل الذي يحول بين الموتى والحياة الأولى، فما قاله الكاتب من أن الحيلولة هي طبقاً لقوانين لا يمنع منها مانع، كما أن البرزخ الذي بين البحرين كونه ذا قوانين لا يمنع من صحة قول المفسرين قديماً، إنه الفواصل الأرضية بين الأنهار العذبة والبحار الملحة، فما قالوه برزخ فعلاً، تنضام إليه قوانين إلهية أخرى أودعها الله الكون رحمة بنا وبما خلق سبحانه وتعالى"[(2)] .

---

(1) القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود، ص186 .
(2) شطحات مصطفى محمود : الجبري، ص153 .

المطلب الرابع

القيامة وعلامات الساعة

1. الإيمان بيوم القيامة ركن من أركان الإيمان، والذي لا يتم إلا به، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية بحيث يصبح منكرها منكراً لشيء معلوم من الدين بالضرورة **﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾** (سورة البقرة : 177) .

والحديث عن قرب يوم القيامة واضح في القرآن الكريم، تعددت الآيات عن ذكره **﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾** (سورة القمر : 1)، وقوله **﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** (سورة النحل : 1) .

2. أما عن أشراط الساعة فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم : **﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾** (سورة محمد : 18) .

في اللغة الشرط : العلامة، وأشراطها، علاماتها[1] .

والمراد بأشراط الساعة علاماتها التي تسبق قيام الساعة، وهي صغرى وكبرى :

3. العلامات الصغرى فمنه ما وقع ومنه ما زال لم يقع، والحديث في هذا الجانب حديث طويل، أكثر العلماء البحث فيه، وألفوا فيه الكتب والدراسات الكثيرة .

4. العلامات الكبرى : روى حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال : طلع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال : "**ما تذاكرون**"، قالوا : نذكر الساعة، قال : "**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات" فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف : خسف في المشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**"[2] .

وهذه العلامات هي :

1. خروج الدجال: وقد روى أنس رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم:"**ما من نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن بين عينيه مكتوب كافر**"[3] .

---

[1] انظر : مختار الصحاح : محمد الرازي، دار المعارف، مصر، 1973، ص334 .
[2] أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن، باب الآيات التي تكون قبل الساعة، ح (2901)، 350/6 .
[3] أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن، باب الدجال، ح (2933)، 372/6 .

وسُمي الدجال دجالاً لأنه يغطي الحق بباطله، ولأنه مموه وقيل لأنه يغطي الأرض(1) .

وسُمي مسيحاً لأن عينه الواحدة ممسوحة، والمسيح هو الذي أحد شقي وجهه ممسوحٌ لا عين له ولا حاجب وهو بخلاف عيسى بن مريم، لأن الدجال المسح عنده فعيل بمعنى مفعول أما عيسى عليه السلام فالمسح هو فعيل بمعنى فاعل لأنه يمسح المريض فيبرأ بإذن الله تعالى[2] .

نهايته : تكون على يد عيسى ابن مريم عليه السلام، يقتله عند باب اللد[3]، وهي مدينة في فلسطين.

2. نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، دلت عليه آيات القرآن الكريم والسنة النبوية ، قال تعالى : **﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾** (سورة النساء : 159) ، وما روي عن النبي (ص) أنه قال : "**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية لا يقبلها من كافر**"[4].

3. ظهور المهدي : محمد بن عبد الله، وهو من نسل النبي صلى الله عليه وسلّم، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول " **المهدي من عترتي من ولد فاطمة**".[5]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : "**لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي**".[6]

مدة ملكه سبع سنين كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري عند أبي داود، كلها عدل وقسط :

"**يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين**". [7]

4. خروج يأجوج ومأجوج : قال تعالى : **﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾** (سورة الأنبياء : 96)، وقوله تعالى **﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾** (سورة الكهف : 94)، وخروجهم يقع بعد نزول عيسى بن مريم وقتله الدجال.

---

[1] انظر : فتح الباري : أحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الأولى، 1995م، 601/14 .

[2] انظر : جامع الأصول : المبارك بن محمد بن الأثير، مكتبة دار البيان، بيروت، 1999م، 204/4 .

[3] اللُد : بضم اللام وتشديد الدال، مدينة قرب مدينة القدس؛ من نواحي فلسطين، يقتل عيسى بن مريم الدجال ببابها. (مراصد الاطلاع : عبد المؤمن عبد الحق البغدادي ـ دار الجيل ـ بيروت ـ الأولى ـ 1992م ـ 3/ 1202).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان، باب نزول عيسى، ح (155)، 343/1 .

[5] أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الهدى، ح (4284)، 104/4. صححه الألباني .

[6] أخرجه الترمذي في سننه : كتاب القدر، باب : ما جاء في المهدي، ح (2331)، 343/3. وقال هذا حسن صحيح.

[7] أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الهدى، ح (4285)، 105/4. حسنه الألباني .

5. الدخان ، قال تعالى ﴿**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (سورة الدخان : 10-11) .

6. الخسوف الثلاثة : وهي خسف في المشرق، وخسف في المغرب، وخسف في جزيرة العرب.

روى حذيفة من أسيد قال، اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: "**ما تذاكرون**" قالوا نذكر الساعة، فال : "**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات..وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب..**"[1]

وهذه الخسوف هي نوع من العذاب يوقعه الله على الناس لفسادهم وفجورهم، لعلهم يعودوا إلى رشدهم، وأماكن وقوعها جزيرة العرب .

قيل إنها وقعت، إلا أن ابن حجر يقرر أنها لم تقع.[2]

7. هبوب الريح الطيبة : وهي ريح ناعمة كالمسك تقبض أرواح المؤمنين بالله لأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس: "عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله، الله**". [3]

مبعث هذه الريح من أرض اليمن، ولا يمكن الفرار منها.

8. طلوع الشمس من مغربها: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعين، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها، إن لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً**"[4] .

9. خروج الدابة من الأرض: ويكون خروجها عند فساد الخلق ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنْ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**﴾ (سورة النمل : 82)، ونترك هيئة هذه الدابة وطريقة كلامها ولغتها لأنه لم يقم عليها دليل، فهي أمر من أمور الغيب .

10. نار تخرج من أرض اليمن: وفيها ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم : "**أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب**".[5]

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن، باب الآيات التي تكون قبل الساعة، ح (2901)، 350/6.
(2) فتح الباري : ابن حجر ، 87/13.
(3) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان، باب : ذهاب الإيمان آخر الزمان، ح (148)، 334/1 .
(4) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان، باب : الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ح (157)، 346/1 .
(5) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ح (3329)، 1023/2 .

موقف الدكتور مصطفى محمود من علامات الساعة :

1. الساعة وعلاماتها من أمر الغيب :

"الساعة ذروة الغيب، وعلمها محجوب عن الكل، اختص الله به نفسه دون العالمين .

ولكنه يحدثنا في القرآن عن أشراط وعلامات لهذا اليوم، ويصف لنا بعض تلك العلامات **﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (سورة الدخان : 10-11)، إنها ظاهرة من ظواهر الطبيعة، سوف يلف الأرض ويحجب السماء ويتعذب به الناس عذاباً شديداً لأجل محدداً، ثم يكشف الله عنهم .

ثم يتوالى حديث القرآن عن علامات الساعة، فيحدثنا عن الدابة **﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنْ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾** (سورة النمل : 82) .

ثم الحديث عن انشقاق القمر **﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾** (سورة القمر : 1) .

ولا شك أن الكل سوف يؤمن حينما تظهر تلك العلامات، حينما ينشق القمر وتخرج الدابة من الأرض تتكلم، لا تبقى ريبة في قلب مرتاب، ولكنه سيكون إيماناً فات أوانه لأنه إيمان المقهور الذي لا فضل له ولا اختيار، وحينها لن يقبل الله هذا الإيمان **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلْ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾** (سورة الأنعام : 158) .

إن الله يتقبل من الذين يؤمنون بالغيب، دون حاجة إلى برهان، ودون الحاجة إلى عيان"[(1)] .

هنا نجد مصطفى محمود يتحدث عن علامات الساعة دون أن يُفرق بين الصغرى والكبرى، هي عنده كلها علامات دالة على اقترابها وحدوثها من ثم، وحديثه عن انشقاق القمر فيه مخالفة للنص القرآني : **﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.**

2. يتحدث عن المسيح الدجال فيقول: " والمسيح الدجال شخصية موجودة في كتبنا وهي واردة في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو ساحر يستعين بالجن والشياطين وعلوم الكابالا (العلوم السرية السفلية لليهود)، ويأتي بالخوارق والعجائب.. وهو يجئ في آخر الزمان ويتبعه خلق كثير ثم ينزل المسيح الحقيقي ويقتله"[(2)]

[(1)] انظر : القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود، ص181 .

[(2)] الإسلام في خندق : مصطفى محمود، مؤسسة أخبار اليوم ، القاهرة، 1994، ص154.

3. وعن نزول المسيح بن مريم عليه السلام يقول : "والمجئ الثاني للمسيح وردت به إشارات في القرآن، والكثير من المسلمين يؤمنون به..

ولا شك أن نزول المسيح بشخصه وشهاداته على الملأ بمن هو ومن يكون.. هل هو ابن الله أو عبد الله، وبحقيقة ما حدث في شبهة الصلب وبمن كان له ختم النبوة وما شريعته التي يأمر بها..

أقول إن شهادة المسيح لمحمد عليه الصلاة والسلام ربما تكون هي المشار إليها في إظهار الدين بالكلية والشمولية والعمومية التي تقطع الحجة وتنهي الشك وتحسم القضية"[1]

4. بعد هذا الحديث ينتقل للحديث عن يأجوج ومأجوج فنراه يقول : إنها قصة غامضة كلها رموز، يتحدث فيها القرآن عن عالمٍ رحالة يجوب أقطار الأرض اسمه (ذو القرنين)، وأثناء رحلته في مكان ما بين السدين **﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً، قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾** (سورة الكهف : 93-94).

5. رأي وتفسير غريبان :

يأخذنا مصطفى محمود إلى تفسيراته العصرية لبعض آيات القرآن الكريم، فيقول :

البعض يقول إن يأجوج ومأجوج هم نسل يافث بن نوح، وأنهم هم الجنس الأصفر، الصين وما في دربها، عاشوا في آجال وأحقاب من الجهالة والتخلف، والشعوب المتقدمة من حولهم تبني أسواراً من العلم والتصنيع. وذو القرنين وصهر الحديد والنحاس كلها رموز للعلم والصناعة التي كانت دائماً تحجزهم وراء حاجز الجهل والتخلف وتقيم حولهم سداً .

حتى إذا جاء اليوم الموعود ونفضوا عن أنفسهم هذا التخلف وأخذوا بأسباب الصناعة، وصنعوا الحديد والصلب والقنبلة الهيدروجينية وتكاثروا إلى آلاف الملايين، وهدموا السور – ولم يكن ذلك السد إلا رمز الجهل الذي يعزلهم عن العالم – ساحوا في الأرض ونزلوا من كل حدب ينسلون، وكانت الحرب التي تضع ختام الحياة .

ولا يعني هذا أن التفسير صادق، فالأمر كله رجم بالغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، وكل ما ذكر في تفسير قصة يأجوج ومأجوج هو تخمين في تخمين، وعلى رأي المتصوفين : هذه

---

[1] المصدر السابق : مصطفى محمود، ص 155.

أمور تفسيرها حدوثها، والاجتهاد مباح في أمور الدنيا لكن القطع في أمر غيبي أكبر خطأ، يتورط فيه قارئ القرآن فضلاً عن أنه ليس في مقدورنا[1] .

6. مناقشة أقوال مصطفى محمود :

هذا الذي ذهب إليه مصطفى محمود خروج عن النص فيما ذهب إليه العلماء وما ذكرته كتب السنة النبوية إلا أنه رؤية شخصية اجتهد من خلالها صاحبها، خصوصاً أننا وجدنا من قبل ابن كثير يقول : هذه إشارة إلى فتح أبواب الشر، والفتن التي كان أول بواكيرها مقتل عمر بن الخطاب، ثم فتح بابها الأكبر بغزو التتار فهذه استعارة ، وليس المراد فتح الروم الذي بناه الإسكندر.[2] .

في كلام الدكتور السابق خلط كثير، وهذا ما لا يمكن أن نقبله منه:

1. الحديث عن أن قصة يأجوج ومأجوج من باب الرمز لا الحقيقة، هذا أمر خطير، فيه تكذيب صريح لقصة ذُكرت في أكثر من موضع في القرآن، بالإضافة إلى أنه كرر كلمة رمز مراراً .

2. ذكر أنها قصة غريبة، ونحن لا نرى فيها غرابة، فقد بينت السنة أمرهم، وكتب التفسير تعج بالمعلومات الكافية عنهم.

3. أحاديث النبي صلى الله عليه وسلّم واضحة، فمن أين جاء التخمين حتى يقول "ما ذكر في تفسير قصة يأجوج ومأجوج هو تخمين في تخمين".

4. كلامه عن تفسيره أنه "كله رجم بالغيب"، فلم الحديث في أمر لا علم لنا فيه.

5. أما حديثه عن السد "فإن سد الصين العظيم أثر سياحي يزار، وكذا سد باب الأبواب، وهو يدل على أن السد حقيقة مادية كبناء ضخم كما قال المفسرون، وإسكندر ذو القرنين حقيقة لا يختلف في وجودها وإن اختلف في يقين شخصه من بين أشخاص يحملون اسم أو وصف ذي القرنين[3] .

---

[1] انظر : القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود ، ص11/4 .
[2] انظر : النهاية في الفتن والملاحم : ابن كثير، دار الصابوني، القاهرة، الأولى، 1986م، 194/1 .
[3] انظر : شطحات مصطفى محمود : الجبري، ص163 .

المطلب الخامس

نعيم الجنة وعذاب النار

تثير كلمتي الجنة والنار في نفس الإنسان كثيراً من المشاعر، المريحة والمؤلمة كل حسب ما يرى في نفسه، وبالتالي تبعث هذه الكلمات على استثارة المكنونات الداخلية عند الإنسان أملاً أو خوفاً، فينشغل التفكير، ثم يبحث المرء على الخلاص أو الازدياد .

قضايا مشتركة :

والجنة والنار مخلوقان موجودان : لقوله تعالى عن الجنة : ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (سورة آل عمران : 133)، وعن النار قال تعالى : ﴿**فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (سورة البقرة : 24).

إن الجنة والنار خالدتان : دل على ذلك قوله تعالى:﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾(سورة هود : 108).

أما أهل النار فدليل خلودهم ﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**﴾ (سورة الزخرف : 74–75).

و"الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً، ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لها أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدران على العباد"[1] .

الجنة :

حقيقتها في اللغة والاصطلاح :

في اللغة : الجيم والنون أصل واحد وهو الستر والتستر، فالجنة البستان ذات الشجر، والنخل، والجنة ما يصير إليها المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستور عنهم اليوم[2].

وفي الاصطلاح : "الدار التي أعدها الله للمتقين جزاء لهم على إيمانهم الصادق وعملهم الصالح"[3] .

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية : أحمد بن محمد الطحاوي، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ص416.
[2] انظر : مقاييس اللغة : ابن فارس، 411/1، ولسان العرب : ابن منظور، 518/1 .
[3] الموسوعة الإسلامية العامة ، 483 .

موقف مصطفى محمود من الجنة والنار :

ألف مصطفى محمود عدة كتب تناول فيها موضوع الجنة والنار؛ منها : كتاب **(زيارة للجنة والنار)**، و**(ما وراء بوابة الموت)**، و**(جهنم الصغرى)**، و**(الطريق إلى جهنم)**، والعديد من المقالات التي تناول من خلالها هذا الموضوع بالطرح والنقاش.

1. الحاجة للجنة والنار :

الدكتور مصطفى محمود حين حديثه عن الجنة والنار، وعن الحاجة الملحة للجنة والنار نراه يقول : "لو لم تكن هناك آخرة لوجب أن توجد، فدنيانا هذه استولى عليها الغشاشون والمرتشون والكذابون والمنافقون والقتلة، وعلا فيها الأدنياء وارتفع الأخساء وحكم السفاحون وفاز الدجالون وتقلد المداهنون النياشين والأوسمة، أما الطيبون فلزموا الخنادق والكهوف ولاذوا بالجدران يدافعون عن لقمتهم الصعبة، واعتزلوا شوارع النجاح القذرة وتجنبوا أوحال الشهرة ومزالق الجاه .

ويظل الكل سادراً في الغفلة حتى تأتي لحظة الموت، ولا تعود هناك رجعة، وما أقرب ذلك الموت منا جميعاً"[(1)] .

وبالتالي "فهي نار مختلفة عن نارنا، وعلاقة الأجسام بها علاقة مختلفة، وهي غيب، وحقيقتها غيب، ولا نستطيع أن نُؤسس حكماً عليها"[(2)] .

جيد أن يبدأ الدكتور حديثه بهذا الكلام، ولكن ليس معنى أن الجنة والنار غيب أننا كمسلمين لا نعرف عنهما شئ، هذا غير صحيح، فمصادر الدين عندنا (القرآن والسنة)، بينت حتى تفاصيل التفاصيل من أمر الجنة والنار، فهما غيب في الوجود لكنهما من الجانب المعرفي معروفتان تماماً.

2. مناقشة مصطفى محمود للمنكرين للبعث والعقاب :

أجاد مصطفى محمود وهو يجيب على المعترضين على موضوع البعث والعقاب، بأن الله محبة، فكيف يعذبنا ؟ فنراه يجيب عليهم قائلاً : "الواحد منا يحب ابنه ومع هذا يعاقبه بالضرب والحرمان من المصروف والتأديب والتعنيف .

وكون الله محبة، فهل يحب الله الظلم مثلاً، مستحيل أن يحب الله الظلم والظالمين، وأن يسوي بين الظالم والمظلوم .

---

(1) انظر : الإسلام في خندق : مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، 1994، ص23 .
(2) انظر : السؤال الحائر : مصطفى محمود، ص82 .

إذا خفيت عنا الحكمة في العذاب أحياناً فلأننا لا ندرك كل شيء ولا نعرف كل شيء، ولا نرى من القصة إلا تلك المرحلة المحدودة بين قوسين التي اسمها الدنيا، أما ما قبل ذلك وما بعد ذلك فهو بالنسبة لنا غيب محجوب، ولذا يجب أن نصمت في احترام ولا نطلق الأحكام .

أما كيفيات العذاب بعد البعث فلا يمكن القطع فيها تفصيلاً، لأن الآخرة كلها غيب، ويمكن أن يكون ما ورد في الكتب المقدسة بهذا الشأن رموزاً وإشارات، ويمكن أن يقال دون خطأ إن جهنم هي المقام الأسفل بكل ما يستتبع ذلك المقام من عذاب حسي ومعنوي وأن الجنة هي المقام الأعلى بكل ما يستتبع ذلك المقام من نعيم حسي ومعنوي"[(1)] .

وفي كتابه **(حوار مع صديقي الملحد)** نجده يتحدث عن الجنة والنار، مجيباً على من يقول كيف يُعذبنا الله على ذنب محدود عذاباً غير محدود، ثم كيف يُعذبنا الله وفينا شيء من روحه، فنجده يرد قائلاً : "إن الذين يعذبهم الله إنما يعذبهم لأن فيهم خصلة ونفساً ميالة للشر، وليس خطأ عارض، ولو ردوا لعادوا لما كانوا يفعلوا من قبل، إن فيهم إصراراً على فعل الآثام، نفس تحمل معها الشر الأبدي، وليس ذنباً محدداً في الزمان".[(2)]

للباحث أمام هذا الكلام موقف :

1. عجيب أمر الدكتور مصطفى في حديثه المتكرر عن الرمز والإشارة، لا نستطيع أن نخرج مدلول الألفاظ الواضحة الدلالة عن مدلولها إلى الرمز والإشارة.

2. ثم ما الذي يحوج القرآن للحديث بلغة الرمز والإشارة .

3. ليس صحيحاً أن تفاصيل الجنة والنار غير معلومة للمسلمين، فقد فصل القرآن الكريم والسنة الصحيحة في أمرهما تفصيلاً كبيراً.

4. بخصوص الكتب المقدسة وحديثها عن الجنة والنار، فالتوراة والإنجيل الموجدان بين أيدي الناس الآن خاليان تماماً من هذا الحديث عن الجنة والنار، والسبب أن اليهود لا يؤمنون بالآخرة والقيامة، والنصارى يتابعون اليهود في هذا الأمر، إذن لم يبق إلا القرآن والسنة وهما كما ذكرت سابقاً فصلا تفصيلاً كبيراً في ذلك.

5. بخصوص نفخ الروح نقول بأن هذه الروح هي خلق لله وليس جزء من الله تعالى أنفصل عنه ولحق بنا.

---

(1) انظر : رحلتي من الشك إلى الإيمان : مصطفى محمود، ص65 .

(2) حوار مع صديقي الملحد : مصطفى محمود، ص27 .

3. النعيم رحمة والعذاب عدل :

يواصل الدكتور مصطفى حديثه :

"ومن هنا كان تأبيد العذاب لهم من باب العدل الإلهي .

وينبغي أن نفهم الجنة والنار في الآخرة فهماً واسع الأفق، هذه النار إذن هي من قبيل الغيب، وما ورد عنها إرشادات، ونفس الشيء في الجنة هي مجرد إشارات وضرب أمثلة وتقريب للأذهان .

ولا يجب أن يُفهم من هذا الكلام أننا ننكر العذاب الحسي ونقول بالعذاب المعنوي، فإن العذاب الحسي صريح لا يجوز الشك فيه ونحن نؤمن بوجوده، وإنما نقول أن تفاصيل هذا العذاب وكيفيته، كما أن كيفية تلك النار وأوصافها التفصيلية هي غيب مجهول .

والجنة هي الأخرى غيب، وليس في هذا الكلام إنكار للنعيم الحسي فنحن نؤمن بأن الجنة نعيم حسي ومعنوي معاً، كما أن النار عذاب حسي ومعنوي، ولكن ما نريد تأكيده أن تفاصيل هذا النعيم وهذا العذاب وكيفياته غيب وأن الجنة ليست سوقاً للفاكهة والخضار ولا النار فرناً لشوي اللحوم، وأن التعذيب في الآخرة ليس تجبراً من الله على عباده وإنما هو تطهير وتعريف وتقويم ورحمة".[1]

4. حديث من الغيب :

"الجنة والنار من حقيقتهما، وحقيقة ما يجري فيهما، وكيفيات النعيم وكيفيات العذاب هما غيب لا نعلم به ولا يعلم به إلا الله، وقصارى ما نعلمه بيقين أن الجنة هي دار النعيم وأن النار هي دار العذاب، وأن النعيم حق والعذاب حق، ولكن الكيفيات والتفاصيل غيب .

وما جاء عن الجنة في القرآن أنها أنهار من لبن وأنهار من عسل هي ضرب مثال مما نعلم في حياتنا، يقول ربنا : **﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾** (سورة محمد : 15)، فالله يضرب مثالاً وتلك السلسلة السبعون ذراعاً التي يوثق بها المجرمون وسرابيل القطران هي تصوير إلهي في حدود ما نفهم، وباللغة التي نفهمها والمفردات التي نألفها، ونار الآخرة نفس الشيء ففيها تنبت شجرة الزقوم، يقول عنها ربنا : **﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾** (سورة الصافات :64)، والكفار يتلاعنون ويختصمون في النار، يقول ربنا **﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾** (سورة ص

[1] انظر : حوار مع صديقي الملحد : مصطفى محمود، ص27 .

: 64)، ولا نعلم في مفهومنا شجرة تنبت في النار، ولا نتصور بشراً يتكلمون وهم جلوس في النار، فنار الله غيب وجنته غيب"[1] .

2. نعيم الجنة وعذاب النار :

ثم يواصل الحديث عن الجنة والنار بقوله : "الذي سوف يحدث لنا بعد البعث هو أن كل واحد ستلازمه رتبته ودرجته التي حصّلها في الدنيا لا أكثر .

فمن عاش لا يسمع ولا يعقل ولا يبصر الحق سوف يحشره الله أعمى، إنها مجرد صفتك تلازمك، إن الله لا يعذبك، ولكنك تعذب نفسك بجهلك .

من عاش في الدنيا حيواناً لا هم له إلا أن يأكل ويضاجع، فهو في الحياة الثانية، له رتبة الحيوان أو الرتبة السفلى بالنسبة لغيره ممن عاشوا يتأملون ويعقلون .

وفي الآخرة تتزايد الفروق وتتضاعف، فما بين اثنين سوف يكون أكثر بمراحل من فارق الدرجة بين حيوان وإنسان ﴿**سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ**﴾ (سورة الأنعام : 124) .

إن هذا الصغار هو الذي سيُعذب ويَحرق، لأنه سيكون حسرة على صاحبه حينما يرى مكانته ومكانة الآخرين ومقدار ما خسر ومقدار ما كسب ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلْ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾ (سورة آل عمران : 192)، فالخزي أشد من النار إيلاماً .

والجنة هي دار السلام، لأنه لا حرب فيها ولا كذب ولا لغو ولا سُباب"[2] .

وفي موضع آخر نقرأ له : العذاب إذن عذابان والعقاب عقابان، عذاب برزخي غيبي يبدأ من لحظة الموت وخروج النفس من الجسد، وعذاب جسدي بعد نفخة الصور، والقيامة والبعث وتجسد الأنفس من جديد في ثوبها الأبدي الذي لا يبلى ولا يموت، ويكون بعد الحساب ويستمر أبدياً، فالداخلون النار لا يخرجون منها﴿**وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْ النَّارِ**﴾(سورة البقرة : 167).

ومن الواضح أنه عذاب أشد من العذاب البرزخي للنفوس ساعة الموت، لأنه أكثر تشخصاً ولأنه محسوس جسدياً[3] .

---

(1) زيارة للجنة والنار : مصطفى محمود، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، 1996، ص7 .
(2) انظر : المصدر السابق : مصطفى محمود، ص90 .
(3) انظر : ماذا وراء بوابة الموت : مصطفى محمود، ص20 .

هذا حال أهل النار الذين هم أهلها ﴿**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**﴾ (سورة فاطر : 37)، ولو رُدوا لعادوا لما نُهوا عنه، وإنهم لكاذبون، فإنهم نار بحكم حقائقهم وسيعاودون الإجرام بحكم حقائقهم، ولو أعاد الله خلقهم ألف مرة[1] .

ويتحدث عن أهل الجنة فيقول : ليس صحيحاً ما يقول السلف إن حياة أهل الجنة هي في الأبكار وأكل الثمار على شواطئ الأنهار، تلك أحلامهم الحسية والجنة أرفع من ذلك بكثير .

الجنة معارج من الترقي والصعود إلى الله والكدح إلى الله .

وهي أمور أعلى وأشرف مما جرى لأهل النار الذين انتهوا إلى أسفل سافلين، وأصبح عليهم أن يقطعوا طريق المشقات والأهوال أضعافاً مضاعفة لا يعلم غوامضها إلا الله، وليست الجنة هذا المفهوم السلبي لإنسان كسلان يقطف ثمار ويفض الأبكار وهو مستلق على ضفاف الأنهار .

الجنة فيها اللذائذ الحسية ولا شك، ولكن فيها أيضاً ترقي لآفاق معرفية لا نهائية، وفيها تكامل وتطور واستنارة وقربى .

والقربى إلى الله لا مكان فيها ولا زمان ولا حيث، ولا أين وإنما هي اقتراب لا نهائي من مطلق لا نهائي ومن كمال لا نهائي في آباد بلا حدود .

وهنا العظمة الحقيقية للجنة ولسعادتها ولذاتها الرفيعة ونعيمها[2] .

وعن الحديث عن الجنة والنار نراه يقول : الخوض في تفاصيل هذا النعيم وهذا العذاب وفهمه مفهوم دنيوي هو تخليط وقصور في الفهم .

والذين يتصورون الجنة من خلال غددهم التناسلية نقول لهم : إنه لن يكون في الجنة تناسل ولا حمل ولا ولادة، وأنه لا وجود بالتالي لتلك الغدد التناسلية وأنه لا وجود للشرج، لأننا لا نتغوط ولا نخرج فضلات، ولهذا يسمي ربنا هذه النشأة بأنها النشأة الآخرة ليميزها عن النشأة الأولى، التي نحن فيها الآن، ولكل نشأة نظامها التشريحي والوظيفي المناسب لنمط الحياة الخاص بها . ومعنى ذلك أن التكوين النفسي مختلف .

نحن إذن بصدد ميلاد جديد ونفوس جديدة، وأبدان جديدة ونشأة مختلفة ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ (سورة القيامة : 22-23) .

---

(1) انظر : أناشيد الإثم والبراءة : مصطفى محمود، ص67 .
(2) سواح في دنيا الله : مصطفى محمود، ص114 .

وتلك لذة جديدة رفيعة وعالية لا نعرفها في الدنيا وهي لذة النظر إلى وجه الله .

وذلك حرمان عظيم وعذاب عظيم سوف يعرف المجرمون مقداره في ذلك اليوم .

إن الجنة غيب والنار غيب وما جاء فيهما إشارات وأمثلة[1] .

هذا بعض ما قاله مصطفى محمود عن الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، ولنا معه وقفة :

1. حديثه عن أن الجنة والنار غيب ولا مجال للخوض فيه، بينت ضعفه وفساده فيم سبق.
2. الدعوى بأن عذاب القبر عذاب نفسي روحاني، وهذا مخالف لعقيدة أهل السنة، وقد فصلت الكلام عنه في المطلب الثالث.
3. نعيه على من يقول من السلف بأن نعيم الجنة من الطيبات من المنكح والمأكل والمشرب.
4. قوله إن "الخوض في أمور الآخرة تخليط وقصور في الفهم" ونسي أن معرفة أخبار الآخرة من علوم الدين الواجب معرفتها.
5. قوله "لا وجود لتلك الغدد التناسلية وأنه لا وجود للشرج لأننا لا نتغوط" .

أولاً : هذا كلام يحتاج إلى دليل، لأن أمر الجنة والنار غيب لا يجوز أن نقول عنها شيئاً دون دليل .

ثانياً : ليس بالضرورة أننا لا نتغوط عدم وجود تلك الفتحات الموجودة في جسم الإنسان، وكما هو معروف أن الفضلات في الجنة تخرج على شكل عرق لكنه عرق بدون رائحة كريهة، والله أعلم .

6. **أما** عن قوله إن ذكر الجنة والنار في القرآن هو من باب ضرب المثل "إن ما جاء فيها من أنهار العسل والخمر في الجنة كان سبباً في انصرافه عن الدين في أول أمره، وبعد أن هداه الله السبيل انقدح في نفسه أنها ضرب مثل على سبيل التقريب، وليست إيراد أوصاف حرفية، فهذا مستحيل، فالحق أن معنى قوله تعالى ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**﴾ صفتها أو حالها أنها فيها أنهار من ماء غير آسن فكما يستعمل المثل بمعنى الشبه، يستعمل أيضاً بمعنى الصفة والحال .

وانظر إلى تفسيره للعذاب الأخروي، إذ قال : والذي سوف يحدث لنا بعد البعث هو أن كل واحد ستلازمه رتبته ودرجته التي حصلها في الدنيا، لا أكثر ولا أقل، ثم يقول : من عاش في

[1] انظر : الإسلام السياسي والمعركة القادمة : مصطفى محمود، أخبار اليوم، القاهرة، 1997، ص132.

الدنيا حيواناً لا هم له إلا أن يأكل ويضاجع فهو في الحياة الثانية له رتبة الحيوان، ونسي أن القرآن ذكر صرائح التعذيب في عشرات الآيات كقوله تعالى : **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾**(سورة يونس : 4)، و**﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الأَثِيمِ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾** (سورة الدخان : 43-46).

بعد هذا يقول إن آيات الوعيد تمثيل وليست حقيقة، ويقول إن العذاب صغار وذلة، وإنه مسألة نفسية، وإن هذا هو الذي سيحرق صاحبه حينما يرى مكانته ومكانة سواه .

هل عذاب جهنم رحمة ؟ هكذا يقول مصطفى محمود لأول مرة أسمع مثل ذلك، يقول : إن الله رحيم دائماً حتى في جحيمه، ولهذا سمي الرحمن، ثم قال : يرحم من يستحق الجنة، ويرحم من لا يستحق بالجحيم، فالجحيم كما رأينا تعريف لمن لا يعرف، ولمن فشلت معه وسائل التعريف، فهو نوع من الرحمة".[1]

7. أما استغرابه من أن أهل النار يتكلمون مع بعضهم البعض، وطلباتهم المتكررة للخروج منها، وأن أهل النار يتفاوتون في درجة العذاب مع أنهم في نفس المكان، فإنه غفل عن أن " الناس يوم القيامة لن يكونوا على ما هم عليه في الدنيا، من ناحية الفخامة والقوة والقدرة، نفس الأمر الجنة والنار لن تكونا بنفس ما نتخيل ونتوقع .

وأمر تحاور أهل النار هو بالنسبة لنا الآن مستغرب وغير ممكن، لكنه يوم القيامة يصبح ممكناً لأن كل شيء يتغير، والأمر الآخر أن البعض يعذب ضعف غيره، ممن هو معه في نفس المكان، فالكل مشغول بنفسه، وبعذابه، وقد يكون سجينان في نفس الغرفة إلا أن أحدهما يشعر بالعذاب أكثر مما يشعر به زميله الآخر ".[2] .

بهذا ينتهي بنا المطاف إلى نهاية الفصل الثاني والذي تناول فيه الباحث آراء الدكتور مصطفى محمود في القضايا الاعتقادية المهمة، وكان منهج الباحث أن يُبين في بداية كل مطلب الموقف الصحيح والقول السديد في القضية معتمداً على منهج السلف الصالح في تقرير ذلك، ثم يتناول ما قاله الدكتور مصطفى محمود من كتاباته نقلاً حرفياً، مبيناً ما أصاب وما أخطأ، موضحاً الصواب فيما أخطأ ومنصفاً بما يستحقه من تقدير واحترام.

---

[1] انظر : اتجاه التفسير في العصر الحديث : مصطفى الطير، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، 1975م، ص188.
[2] انظر : شطحات مصطفى محمود : الجبري، ص201 .

الفصل الثالث

مصطفى محمود وموقفه من التيارات الفكرية المعاصرة

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : موقفه من اليهودية الصهيونية .

المبحث الثاني : موقفه من الماركسية .

المبحث الثالث : موقفه من الوجودية .

المبحث الرابع : موقفه من البهائية .

المبحث الخامس : موقفه من الداروينية .

المبحث السادس : رأيه في الحضارة الغربية المعاصرة .

المبحث الأول

موقف مصطفى محمود من اليهودية الصهيونية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف اليهودية الصهيونية .

المطلب الثاني : أهم أفكار اليهودية الصهيونية .

المطلب الثالث : موقف مصطفى محمود من اليهودية الصهيونية .

المطلب الأول
تعريف اليهودية الصهيونية

اليهودية الصهيونية مصطلح يتكون من لفظتين : اليهودية والصهيونية، ولكل لفظة تعريفها الخاص، وللمصطلح دلالاته عند الباحثين .

1. حقيقة اليهودية :

تعددت تعريفات الباحثين لليهودية، كل حسب المنطلق الذي ينطلق منه، إن كان سياسياً أو دينياً أو عرقياً، ومن هذه التعريفات :

عرّفها عبد الوهاب الكيالي بأنها : "أقدم الأديان القائلة بالتوحيد، وهي مجموعة من الشرائع والآثار والعقائد الواردة في العهد القديم، أو في التوراة الذي أعاد جمع ما جاء في العهد القديم"[(1)].

وعرّفها دربالة بأنها : "ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل، الذي أرسل الله إليهم موسى مؤيداً بالتوراة، وقد تكون نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب، وعمت على الشعب على سبيل التغليب"[(2)] .

واليهود يعيشون حالة من التناقض في تعريف اليهودي واليهودية، ما بين التعريف الديني والتعريف العلماني، حتى ما بين السفاراديم[(3] والأشكنازيم[(4][(5)] .

2. حقيقة الصهيونية :

هي : "حركة دينية سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله"[(6)] .

وعرّفها الكيالي بأنها : "دعوة وحركة عنصرية دينية استيطانية إجلائية مرتبطة نشأة وواقعاً ومصيراً بالإمبريالية العالمية، تطالب بإعادة توطين اليهود وتجميعهم وإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين"[(7)] .

---

(1) موسوعة السياسة : عبد الوهاب الكيالي، 446/7 .

(2) موسوعة الفرق والأديان : إسلام دربالة، 436 .

(3) السفاراديم : كلمة تدل على اليهود الذين عاشوا في اسبانيا والبرتغال، ثم توسع المدلول لهذا المصطلح حتى شمل يهود المشرق، بعد طرد اليهود من اسبانيا انتقلوا إلى الدولة العثمانية وسكنوا في سالونيكا واتخذوها عاصمة لهم، كان لهم دور كبير في سقوط الدولة العثمانية وتسهيل الهجرة إلى فلسطين، لم تولهم الحركة الصهيونية اهتماماً كبيراً، وجودهم في الدولة الصهيونية غير مؤثر في سياسة الدولة. (الموسوعة المفصلة: 74/2).

(4) الأشكنازيم : هم يهود فرنسا وألمانيا وبولندا، ويعتبروا المرجعية اليهودية وصاحبة التأثير والنفوذ، وبيدهم القرار السياسي، ينضم إليهم حسب التعريف الديني يهود روسيا والخزر وأمريكا وأكرانيا وأغلبهم يتكلم لغة الإيدش، الكثير من مشاهير اليهود من الاشكيناز. (الموسوعة المفصلة: 78/2).

(5) انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : عبد الوهاب المسيري، 140/2 .

(6) الموسوعة المفصلة : حسن عبد الحفيظ أبو الخير، 207/2

(7) الموسوعة السياسية : الكيالي، 659/3 .

ولفظة الصهيونية مشتقة من لفظة "صهيون"، وهي رابية في أورشليم كان قد أقام عليها اليبوسيون[1] أبناء عمومة الكنعانيين[2] حصناً قبل ظهور بني إسرائيل بحوالي ألفي عام، ولذا تكون اللفظة كنعانية وليست عبرية يهودية .

والحركة الصهيونية في نشأتها قديمة، إلا أن ظهورها كحركة منظمة ذات فكر ورؤية سياسية فلسفية تزامن مع المؤتمر الصهيوني في مدينة بازل السويسرية سنة 1897م، والذي قادها "ثيودور هرتزل"، والذي دعا إلى إقامة وطن لليهود[3] .

مما تقدم نصل إلى أن اليهودية عقيدة دينية، والصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة استغلت اليهودية لما وجدت فيها من المقومات المشتركة معها، لهذا نجد كثيراً من المفكرين اليهود وغير اليهود يُحذرون من قيام هذا الترابط والتعاون ما بين اليهودية والصهيونية[4] .

لهذا نجد الجمعية العامة للأمم المتحدة تصدر قرارها (3379) في نوفمبر سنة 1975م، بأن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، وطالب القرار جميع الدول الأعضاء بمحاربة الصهيونية لأنها تشكل خطراً على الأمن والسلم العالميين[5] .

وقد تشابهت أساليب اليهودية والصهيونية في الوصول إلى أغراضهم قديماً وحديثاً .

وللصهيونية نشاط سري وآخر علني، تعمل على اغتصاب الأراضي من أصحابها، والتغلغل داخل القوى السياسية الكبرى لتحقيق أطماعها[6] .

وعن التداخل بين اليهودية والصهيونية يقول الشيخ طنطاوي : "اليهودية والصهيونية في الحقيقة اسمان لمسمى واحد، إلا أنه جرت عادة بعض الباحثين أن يعبر عن الصهيونية بأنها الجانب السياسي أو الوجه القومي لليهودية، أو هي الجهاز التنفيذي لليهودية العالمية، التي تسعى إلى تدمير العالم، والتحكم في مصيره"[7] .

---

[1] اليبوسيون : قبيلة كنعانية سكنت القدس قبل دخول بني إسرائيل إليها، هزمهم يوشع بن نون واحتل رجال يهوذا مدينتهم، وسكنوا المدينة مع اليهود، وعلى أرضهم أقام داود مدينته وبنى مسجده (الهيكل)، اشتهروا بالشدة والقوة والثبات، استعملهم سليمان عليه السلام بالسخرة في خدمته – (قاموس الكتاب المقدس، ص1052) .

(2) الكنعانيون : سكان أرض فلسطين منذ القدم، يتصلون بسام بن نوح، ولغتهم لغة سامية، كانوا على صراع متواصل مع بني إسرائيل، حروب وغزوات، تذكرهم التوراة بالشر والقبح، يشكلون أشد أعداء اليهود، لهم آلهة كثيرة، منها بعل وعشتاروت وإيل – (قاموس الكتاب المقدس ، ص790) .

[3] انظر : الصهيونية بإيجاز : محمد با خريبة، مكتبة الخبر، الأولى، 2001م، ص16 .

[4] انظر : أبحاث في اليهودية والصهيونية : أحمد سوسة، دار الأمل، الأردن، 2003م، ص181 .

[5] انظر : الصهيونية بإيجاز : محمد با خريبة، ص46.

[6] اليهود الموسوعة المصورة : طارق السويدان، مكتبة الإبداع الفكري، الكويت، الأولى، 2006م، ص236 .

[7] بنو إسرائيل : محمد سيد طنطاوي : دار الشروق، القاهرة، الأولى، 1997م، ص717 .

المطلب الثاني

أهم أفكار اليهودية الصهيونية، وأهدافها

تعتمد اليهودية الصهيونية في بنائها الفكري والعقائدي، وخططها على جملة من المراجع الثابتة عندهم، منها ما كان عقائدياً كالتوراة والتلمود، ومنها ما كان سياسياً تنظيمياً وهو بروتوكولات حكماء صهيون، وقبل الحديث عن أفكار اليهودية الصهيونية، أرغب ببيان أهم أهدافها، **والتي منها :**

1. الدعوة لكسب المؤيدين لها خصوصاً رجالات الفكر والسياسة والحكم .
2. حمل اليهود على اعتناق الفكر الصهيوني والعمل على تحقيقه .
3. إغراء الدول الكبرى بتوثيق علاقاتها باليهود، وربط مصالحهم بها .
4. جعل العالم المسيحي تابعاً لليهود من خلال الصهيونية غير اليهودية .
5. إقامة دولة لليهود في فلسطين يتجمع فيها يهود العالم[1] .

وبناءً على هذه الأهداف نستطيع أن نستكشف **أهم أفكار اليهودية الصهيونية الحديثة**[2] :

1. رفض فكرة اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيها .
2. إنكار أحقية الشعب الفلسطيني في وطنه فلسطين .
3. اعتبارها الصهيونية لجميع يهود العالم على أنهم أعضاء في جنسية واحدة وهي الجنسية الإسرائيلية.
4. العمل بكل الوسائل لسيطرة اليهودية الصهيونية على العالم بأجمعه .
5. إغراق غير اليهود بالرذائل والفتن السياسية، ونشر الحروب والمخدرات .
6. استحلال كل الوسائل بغض النظر عن مشروعيتها أو عدم مشروعيتها للوصول إلى أهدافهم .

ويستطيع الباحث أن يتعرف على أفكار الصهيونية اليهودية وذلك من خلال مقررات مؤتمر بازل، والتي هي في نفس اللحظة أهداف الصهيونية، **ومنها**[3] :

1. العمل على استعمار فلسطين .
2. تنظيم اليهودية العالمية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية .
3. تقوية الشعور والوعي القومي اليهودي .
4. اعتبار اللغة العبرية لغة رسمية للتخاطب فيما بين اليهود في جميع دول العالم .

---

[1] انظر : الصهيونية بإيجاز : محمد با خريبة، ص41 .
[2] انظر : الموسوعة الفلسطينية : 65/3 .
[3] انظر : أبحاث في اليهودية والصهيونية ، ص146 .

ومن أهم أفكار اليهودية الصهيونية[1] :

1. اليهود هم العنصر الذي يجب أن يسود كل شعوب العالم .
2. تسخير الحرية السياسية للسيطرة على الجماهير، وبالتالي على العالم .
3. العمل على إنهاء سيطرة الدين ورجاله، وجعل السيطرة للمال والاقتصاد .
4. استمداد فكرهم من كتبهم المقدسة، وخصوصاً بروتوكولات حكماء صهيون .
5. خداع الجماهير بشعارات الحرية والمساواة والإخاء .
6. السيطرة على زعامات العالم السياسية، والتحكم فيمن يصل إلى سدة الحكم .
7. السيطرة على مراكز الإعلام: الصحافة والكتاب وغيرها، وحديثاً التلفاز والإذاعة والإنترنت .
8. افتعال أزمات اقتصادية، وحروب محلية، وجعل العالم كله بحاجة لليهود .
9. بعث النعرات العرقية والطائفية والدينية، ودعم الجميع ضد بعضه بعضاً .
10. العمل على تفكيك روح الأسرة، وإعلاء قيمة الفردية والذاتية .

وقد نجحت اليهودية الصهيونية للوصول إلى تحقيق أهدافها وذلك من خلال العمل المتواصل، وبشتى الوسائل التي تراها مناسبة، ومنها[2] :

1. إقامة الأحزاب اليهودية الصهيونية في كل مكان .
2. رسم الخطط المستقبلية، والعمل على تنفيذها .
3. تأسيس الصندوق القومي اليهودي لدعم الحركات اليهودية .
4. إنشاء اتحادات للصهيونية في دول أوروبا .
5. إنشاء مجموعة من الهيئات والمنظمات العالمية والدولية لنشر الفكر اليهودي الصهيوني والعمل على خدمة دولة إسرائيل .
6. إنشاء دولة لليهود في فلسطين .

ومن أجل نجاح المخطط اليهودي الصهيوني اعتمد اليهود على مجموعة من المنظمات والجمعيات، العلنية منها والسرية، لتنفيذ مخططاتها، والوصول لغاياتها، **ومن هذه المنظمات والجمعيات[3] :**

1. المحافل الماسونية : ومن خلال شعاراتها البراقة الخادعة "الحرية والإخاء والمساواة" تمكنت الماسونية من الوصول إلى أهم الشخصيات الحاكمة والمتنفذة، ومما ساعدها على ذلك انتشارها في أغلب بلاد العالم وتركيزها على فئات معينة في المجتمع .

---

(1) انظر : موسوعة الفرق والأديان : إسلام دربالة، ص288 .

(2) انظر : الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية، خالد القشطيني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الأولى، 1981م ، ص131 .

(3) انظر : الصهيونية بإيجاز، محمد با خريبة، ص83 .

2. نوادي الروتاري : وهي محافل علنية اجتماعية وإنسانية، تعمل في ظاهرها على نشر روح الأخوة الإنسانية، وغيرها من الشعارات البراقة .

وكان لهذه المحافل دوراً كبيراً في تجنيد الأعضاء للعمل لخدمة الصهيونية اليهودية .

3. نوادي الليونز : وهي ذات صبغة اجتماعية تعاونية، تهتم بالأعمال الخيرية، وتركز في اختيار الشخصيات المنضمة إليها على أن يكونوا من أصحاب النفوذ الحكومي والسياسي والمالي والاجتماعي والعلمي والإعلامي، وهذه النوادي وسابقتها تنتشر كثيراً في العالم العربي والإسلامي .

4. جماعة شهود يهوه : وهي جماعة تعاليمها خليط بين العهد الجديد والقديم، يهودية تخدم الصهيونية اليهودية علناً، وذلك من خلال نشر الأفكار التوراتية بين المسيحيين، وأكثر انتشارها في أمريكا وبعض البلدان الغربية .

أهم زعماء الحركة الصهيونية :

1. **ثيودور هرتزل** : ولد في بودابست بالمجر في أسرة يهودية ثرية، اشتغل بالصحافة، واستغلها لصالح قضيته استغلالاً كبيراً، لصالح حركته الصهيونية.

ركز في كتاباته على فكرة العداء للسامية، واضطهاد اليهود في العالم، دعا لإقامة وطن قومي لليهود ودعا العالم لمساعدتهم في ذلك .

أصدر كتابه **(الدولة اليهودية)** عام 1894م، وفيه الدعوة لإقامة كيان لليهود تحت وصاية الدولة البريطانية، لقي الكتاب رواجاً كبيراً خصوصاً بين اليهود، مما جعله يشكل جماعة من الأنصار دفعه فيما بعد لعقد أول مؤتمر صهيوني عالمي في أغسطس 1897م في بازل[1] بسويسرا .[2]

تم انتخاب هرتزل رئيساً للحركة الصهيونية، ووضعوا مخططاً للمستقبل، وشكلوا في هذا المؤتمر ما سُمي بالوكالة اليهودية، بعدها بدأ هرتزل بالتحرك في دول العالم يدعو لأفكاره، زار تركيا والتقى بالخليفة العثماني عبد الحميد وعرض عليه المساعدات المالية مقابل الحصول على موطئ قدم لليهود في فلسطين، إلا أن كل ذلك فشل أمام رفض السلطان عبد الحميد، مما جعل هرتزل يتوجه إلى بريطانيا، وأثمرت جهوده فيما بعد بما سُمي بوعد بلفور .

من البلاد التي زارها مصر وفلسطين، وكان من المخططين لإنشاء مدينة تل الربيع .

مات سنة 1904م، ودُفن بالمجر، ونقل رفاته إلى فلسطين سنة 1949م .

---

[1] بازل : مركز صناعي ومالي تقع في الجزء الشمالي الغربي من سويسرا، تقع على نهر الراين، وهي من مدن أوروبا القديمة، ومن أكثر مدن سويسرا كثافة سكانية، مقر لكثير من المؤتمرات الدولية.(موسوعة المورد : البعلبكي، 35/2) .

[2] انظر : الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية، خالد القشطيني، ص 135.

لم يحقق هرتزل كثيراً من النجاح للفكرة الصهيونية أثناء حياته، إلا أن من واصلوا الطريق من بعده فعلوا كل شيء[1] .

2. **حاييم وايزمان** : (1874–1952م)، ولد في ولاية بنسك التابعة لروسيا البيضاء، في أسرة يهودية متدينة وثرية، تلقى تعليمه في بلدته ثم انتقل إلى مدينة بنسك لدراسة الكيمياء، بعدها انتقل إلى ألمانيا ونال درجة الدكتوراه في الكيمياء سنة 1899م، عمل في التدريس الجامعي في سويسرا ثم انتقل إلى بريطانيا .

في بريطانيا جمع حوله مجموعة من الصهاينة وكونوا نواة الحركة الصهيونية، وفي المؤتمر الثاني للصهيونية كان له دورٌ بارزٌ، سافر بعدها لزيارة فلسطين، كانت له علاقات جيدة برجال السياسة في بريطانيا، مما كان له الأثر الكبير في صدور وعد بلفور في نوفمبر عام 1917م .

بعدها انتخب رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية عام 1920م، واستمر حتى 1946م، لعب دوراً كبيراً في صدور قرار التقسيم 1947م .

في سنة 1948م انتخب وايزمان رئيساً للمجلس الصهيوني الأعلى، وفي سنة 1949م انتخب رئيساً لدولة إسرائيل، كتب سيرة حياته في كتابه (التجربة والخطأ)، كان لمخترعاته واكتشافاته العلمية دورٌ كبيرٌ في المساومة لتأييد بريطانيا لليهود، فقد اكتشف مادة النيتروجليسرين شديدة التفجير وقد استعملتها بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى، ويعتبر هذا الرجل من أخطر الرجال الذين لعبوا دوراً في قيام دولة إسرائيل، مات في فلسطين سنة 1952م[2] .

3. **زئيف جابونسكي** : (1880–1940م)، ولد في أوكرانيا : انتقل إلى فيينا للدراسة، تركها فيا بعدها إلى تركيا للعمل في الصحافة، حتى أصبح سنة 1919م مسؤولاً عن الصحافة الصهيونية .

أسس الصندوق القومي اليهودي في عام 1921م انضم إلى اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية، أسس في باريس اتحاد الصهيونيين الإصلاحيين، اشتهر بالتطرف، وهو صاحب نظرية الجدار الحديدي التي تعتمد على تكبيد العدو خسائر كبيرة تجعله يستسلم أو يكون معتدلاً، كان من الدعاة إلى رفض فكرة التقسيم، وعدم الاكتفاء بفلسطين دولة لليهود، بل يضم إليها الأردن والصحراء السورية، من أكثر اليهود دعوة للقتل وارتكاب المجازر، جاء إلى

---

[1] انظر : فلسطين : القضية و الشعب والحضارة : عجاج نويهض، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، الأولى، 1991م، ص338، والعقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية : سعد الدين صالح، دار الصفا للطباعة والنشر، القاهرة، الثانية، 1990م، ص79 .

[2] انظر : كيف يفكر زعماء الصهيونية : أمين هويدي، دار المعارف، القاهرة، الأولى، 1986م، ص214، وموسوعة المورد، منير البعلبكي، 139/10 .

فلسطين وشارك في الأعمال الإرهابية، حكم عليه بالسجن لمدة (15) عاماً سنة 1820م، أفرج عنه في نفس السنة، تقرب إلى وايزمن مما جعل الأخير يضمه إلى الإدارة الصهيونية العامة، أنشأ في سنة 1925م حزب الصهيونية التصحيحية مما جعل بريطانيا تمنعه من دخول فلسطين، هاجر إلى أمريكا، وهناك مات سنة 1940م، نقل رفاته هو وزوجته إلى فلسطين سنة 1964م، ودفن في مدافن مدينة القدس[1] .

[1] انظر : انهيار إسرائيل من الداخل : عبد الوهاب المسيري، دار المعارف، القاهرة، الأولى، 2002م، ص58 .

المطلب الثالث

موقف مصطفى محمود من اليهودية الصهيونية

من خلال متابعة الباحث لما يكتبه الباحثون والصحفيون عن فلسطين والقضية الفلسطينية، وجد أن هناك قلة من الباحثين والكتاب من يواصل الكتابة حول هذه القضية دون كلل أو ملل، ومع تغير الظروف والمواقف.

ومن خلال متابعة الباحث وجد أن كاتباً من بين هؤلاء الكتاب الكثيرين على الساحة يُكثر من الكتابة وكأنها قضيته الشخصية، ومن هنا بدأ الباحث يهتم بما يكتب، يقرأ ويجمع ما يقع تحت يديه، كل ذلك من حقبة سبعينيات القرن الماضي، إنه الدكتور مصطفى محمود .

لم يحدث أن كتب كاتب عن القضية الفلسطينية ومن الزاوية الدينية والعقائدية والسياسية بحجم ما كتب مصطفى محمود، ولا حتى بالصدق الذي توفر عند الدكتور، أو التحليل الدقيق الذي يُحلل به الأحداث .

كَتب مصطفى محمود جملة من الكتب عن اليهود والصهيونية، وقضية فلسطين، وهي جمعها كتب مطبوعة ومتوسطة الحجم (24/16)، **منها :**

1. إسرائيل البداية والنهاية، طبع عدة طبعات آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة 2003م، وتبلغ صفحاته (198) صفحة .
2. الغد المشتعل، طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة 1995م، وتبلغ صفحاته (205) صفحات.
3. على حافة الانتحار، طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة 1996م، وتبلغ صفحاته (174) صفحة.
4. قراءة للمستقبل، طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة 1997م، وتبلغ صفحاته (133) صفحة.
5. إسرائيل النازية، طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة 2001م، وتبلغ صفحاته (175) صفحة.
6. على خط النار طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة 2000م، وتبلغ صفحاته (151) صفحة.
7. وبدأ العد التنازلي طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها الطبعة الخامسة صدرت سنة 2002م، وتبلغ صفحاته (147) صفحة.
8. على حافة الزلزال، طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة 2002م، وتبلغ صفحاته (161) صفحة.

9. التوراة : طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها الطبعة الخامسة صدرت سنة 2006م، وتبلغ صفحاته (96) صفحة.

10. السيرك السياسي: طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة 1996م، وتبلغ صفحاته (135) صفحة.

11. المؤامرة الكبرى : طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة 2001م، وتبلغ صفحاته (181) صفحة.

هذا غير عشرات المقالات في الصحف اليومية، والدورية؛ المصرية والعربية .

وبالتالي يكون مصطفى محمود قد وضع نفسه في مواجهة الفكر اليهودي الديني والسياسي، وفي مواجهة اغتصاب اليهود لفلسطين ومجازرها ضد الشعب الفلسطيني، وقد جر هذا الموقف العظيم للدكتور كثيراً من المشاكل عليه، من وقفه عن الكتابة أو إذاعة برنامجه "العلم والإيمان" من القنوات المصرية الحكومية، وقد بينت ذلك في الفصل الأول بشكل مفصل .

يخلص مصطفى محمود إلى أن اليهود والصهيونية هم وراء كل مصيبة سياسية ومالية وأخلاقية، وفتن بين الطوائف والأديان، وبالتالي واجب الدول والشعوب أن تحذر منهم، وأن لا تترك لهم الحرية ليفعلوا ما يرغبون فعله، وإلا خربت الأوطان والديار، وزعزعت قيم الخير في نفوس الناس، واهتزت قيم الدين والعقيدة .

1. موقفه من التوراة :

يشكك مصطفى محمود في كون التوراة الموجودة بين أيدي اليهود اليوم هي التوراة المنزلة على موسى عليه السلام لما فيها من أفكار منحرفة، يقول : "القراءة المتأنية للتوراة المتداولة لا يخرج منها القارئ أنه أمام كتاب أوحى به الله، فالأنبياء الذين تعارفنا على إجلالهم واحترامهم نراهم في التوراة عصبة من الأشرار، سكيرين وزناة وكذابين ومخادعين وقتلة، وإله نراه يفعل الفعل ثم يندم عليه، ويختار رسوله ثم يكتشف أنه قد أخطأ الاختيار، وكأنه لا يدري من أمر نفسه شيئاً ولا يعرف ماذا يُخبئه الغيب .

ونرى الله في التوراة ينام ويستيقظ .

والرب في التوراة يخلق العالم في ستة أيام ثم يتعب ويحل عليه الإرهاق فيستريح، أما الأنبياء فقد قارفوا جميع الخطايا"[(1)] .

"إن الخطر حقيقي، والعداوة حقيقية، هي في توراة هؤلاء الناس وعقائدهم وفي دمائهم، وإسرائيل دولة يهودية وليست دولة علمانية، إنها موعود التوراة بالنسبة لهؤلاء"[(2)] .

[(1)] التوراة : مصطفى محمود، دار المعارف، القاهرة، الأولى، 1971م، ص8 .

[(2)] على حافة الانتحار : مصطفى محمود، ص20 .

2. تحريف التوراة :

يحدثنا مصطفى محمود عن تحريف التوراة فيقول : "لا يحتاج من يريد إثبات التحريف والتفسير والتبدل في التوراة إلى أدلة من الخارج، فالتوراة ذاتها تعطيه المفتاح وتعطيه الأدلة على تحريفها بصريح آياته، إننا أمام نصوص لا يثق فيها أصحابها، ونحن لم نأتي بجديد، ولا نروج لشك مختلق، بل إن الشك قائم وموجود"[(1)] .

هذا ما حدثنا عنه الدكتور مصطفى محمود وهو حديث لا يحتاج إلى تعليق، فإن الأساس الذي يقوم عليه دين اليهود أساس باطل، مكذوب، وبالتالي ما هم فيه باطل .

والقرآن يشهد على تحريفهم لكتابهم : **﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**. (سورة البقرة : 75)، وقوله تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**. (سورة البقرة :174).

3. الله كما تصوره التوراة :

يحدثنا مصطفى محمود عن انحراف تصور التوراة عن الله سبحانه وتعالى، فيقول : "الصورة التي صورتها التوراة لله صورة مليئة بالتشويش والتناقض وسوء الفهم في معظم صفحات الكتاب، إله ندمان يفعل الفعل ثم ما يلبث أن يدرك أنه أخطأ ويندم عليه ويرجع عنه، وهو الله مادي يفرح برائحة الشواء على المذابح ويدركه التعب، إذا اشتغل بعض الوقت فيحتاج إلى الراحة، وهو إله عنصري متحيز لا يعرف من مخلوقاته إلا بني إسرائيل، وهو يشرع الفضائل للتداول الداخلي بين أفراد هذه العشيرة الإسرائيلية[(2)] .

"**فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه**"[(3)]، و"**كان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً : ندمت على أني قد جعلت شاول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي**"[(4)] .

في حين يقول القرآن عن الله أعظم وصف:**﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمْ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾**.(سورة آل عمران 181).

4. نظرة التوراة للملائكة :

يُبين مصطفى محمود أن حديث التوراة عن الملائكة هو من باب التجديف الذي لا يُراعي قيمة أو احتراماً، وبالتالي هو حديث افتراء وكذب، يقول : "ونأتي إلى الملائكة فنجد أن التوراة جدفت عليهم كما جدفت على الله وأكثر .

---

(1) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص81 .
(2) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص35 .
(3) سفر الخروج : 14/32
(4) سفر صموئيل الأول : 10/15

فنرى الملائكة الذين جاؤوا يبشرون إبراهيم بميلاد إسحاق يأكلون العجل المشوي واللبن والزبد الذي قدم لضيافتهم .

وهذا كلام غير ما يرويه القرآن عن هذه الزيارة، وكيف أن إبراهيم قدم العجل لضيوفه من الملائكة : **﴿فلما رأى أيديهم لا تمتد إليه فكرهم﴾**"[1] .

ماذا تقول التوراة : "**وظهر له الرب عند بلوطات ممراً وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض، وقال : يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة، فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم، فقالوا : هكذا نفعل كما تكلّمت، ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا**" [2].

ولكن ما قول القرآن الحق في هذه المسألة : **﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ، فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ، فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ، فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ، قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ، قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ، قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ، لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ، مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ، فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾**. (سورة الذاريات : 24–37).

وصف التوراة لجبريل بأنه شيطان :

يحدثنا مصطفى محمود قائلاً : "الفرية الثانية نجدها في سفر الملوك الأول، إصحاح (22)، حيث تدعي التوراة على الروح القدس أنه يملك أن يقوم بوظيفة الشيطان، فيرسله الله للتدليس على الأنبياء .

الروح القدس الذي وصفه الله بالروح الأمين يجعل من نفسه روح كذب، ويجعل منه الله روح كذب يدلس على الأنبياء، لماذا ؟ وأين إبليس وأين دوره، وهو إمام الغواية، أهناك أزمة في الشياطين والأرواح الشريرة والجن والمردة وهواتف الضلال ورسل الغواية .

هذه مسألة يرفضها الذوق .

ومن وصفه الله بالروح الأمين يلزم لنا أن ننزهه عن أن يكون روحاً للكذب"[3] .

---

[1] على حافة الانتحار : مصطفى محمود، ص45 .

[2] سفر التكوين : 18/1–17

[3] على حافة الانتحار : مصطفى محمود، ص46 .

ورد في سفر الملوك الأول : "**ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال أنا أُغويه وقال له الرب بماذا فقال أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه فقال إنك تغويه وتقتدر فاخرج وأفعل هكذا**". [1]

لكن ماذا يقول القرآن الكريم : **﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ، يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**. (سورة النحل : 49–50).

نظرة التوراة للأنبياء :

بين مصطفى محمود أن اليهود كانوا أقبح الأمم في معاملتهم مع الأنبياء قولاً وفعلاً، وأنه لم يجد نبي من قومه مثل ما وجد أنبياء بني إسرائيل من أقوامهم : "أما الأنبياء فهم كبش الفداء في التوراة، كلما اشتدت وطأة الاضطهاد على اليهود لم يجدوا أمامهم غير أنبيائهم ينزلون فيهم قتلاً وتشريداً وتلطيخاً وتحريفاً وتزييفاً، لم ينجح واحد من الأنبياء الأول الأكابر من التلطيخ، فنوح يسكر حتى يفقد وعيه، ولوط يضاجع بناته وهو سكران، ويعقوب يسرق البركة والنبوة والأغنام والمواشي، ويهوذا يزني بامرأة ابنه، وداود يشتهي زوجة الضابط أوريا فيزني بها ويرسل زوجها للقتل ليتخلص منه، أما بيت داود النبي فهو أشبه ببيت عري، الأخ يغتصب الأخت والابن يضاجع زوجات أبيه في عين الشمس وأمام جميع إسرائيل، أما سليمان فيختم حياته المجيدة بعبادة الأصنام، وهارون يصنع العجل الذهب ويعبده، حتى موسى تقول التوراة أنه خان ربه ولم يقدسه لهذا يحرمه الرب من دخول الأرض الموعودة، ويموت في سيناء هو وهارون .

ولم يسلم واحد من الأنبياء الأول العظام الذين بنوا صرح الدولة اليهودية من التلطيخ، وكلها خطايا غليظة مما يُستنكر على الرجل العادي فما بال النبي"[2] .

6. اليهود وراء كل الفتن :

يرى مصطفى محمود أن اليهود على مدار تاريخهم كانوا وراء الفتن والحروب التي تحل بالشعوب وهم المروجون لها، والنافخون فيها : "التاريخ يعيد نفسه، والزمان قد استدار إلى حيث كان أيام البعثة المحمدية، حينما راح يهود الجزيرة يؤلبون الأحزاب ليجتمع عسكرهم في حملة واحدة تنقض على المسلمين لتقضي على الإسلام في مهده .

وها هم يهود اليوم يفعلون نفس الشيء، يؤلبون العالم كله في حملة دعائية منظمة لإدانة الإسلام واتهامه تحت مسمى الأصولية ثم يحركون دول حلف الأطلنطي نفسه ليصدر تصريحاً هو أقرب للتهديد لكل ما هو أصولي إسلامي، والتخطيط والتحضير مستمر، والنشاط وراء كواليس السياسة على أشدّه"[3] .

---

[1] سفر الملوك الأول : 20/22-22.

[2] على حافة الانتحار : مصطفى محمود، ص47 .

[3] الغد المشتعل : مصطفى محمود، ص152 .

7. استغلال اليهود للمال :

قصة اليهود مع المال قصة مشهورة ومعروفة للجميع : "اليهود نبغوا في جمع المال، ونبغوا في فنون الاستغلال، وهم الذين قننوا الاستغلال، وجعلوا له شرعية وأشكالاً قانونية ومؤسسات، وذلك عن إدراك عميق بأن المال هو السبيل إلى القوة والهيمنة، وأن المال يمكن أن يشتري الذمم ويشتري الولاء ويشتري السلطة، والسلطة كانت دائماً هدفهم بحكم كونهم أقلية مضطهدة"[(1)].

ثم يقول : "وهي تدفع بأموالها ومخابراتها لتأجيج هذا الغليان السياسي لتعجل بالانهيار الذي ترتجيه، والتفكك العربي والأضغان التي تحملها الدول العربية بعضها لبعض، تقدم جميعها مناخاً مواتياً لتلك الفتن، بل إنها تنفق عليها وتسلحها"[(2)] .

8. موقف مصطفى محمود من الصهيونية :

يُعرف مصطفى محمود الصهيونية بأنها : "هي التنظيم السياسي الدموي وراء هذا الهرم الخفي من الشخوص المتسللة التي تحرك خيوط الحوادث .

وقد ظلت تعمل ببطء ومثابرة وخفاء حتى صنعت إسرائيل، ثم أدخلت في وهم أمريكا أن حياة أمريكا هي في حياة إسرائيل، وقوتها في قوة إسرائيل، ومصالحها في مصالح إسرائيل، وأن إسرائيل هي الولاية الأمريكية الخمسون في الشرق الأوسط"[(3)] .

لهذا نجد الدكتور يكشف عن غايات الصهيونية ويتخذ منها موقفا في غاية الوضوح والصراحة: "أنا ضد الصهيونية لأنها مبدأ عدواني توسعي يقوم على مزاعم كاذبة وصك ملكية توراتي مزيف يهدف إلى إقامة إسرائيل كبرى على أشلاء دول عربية لها وجود وحرمة ومصداقية في هيئة الأمم المتحدة .

والعجيب أن الصهاينة الكبار الذين أسسوا المذهب والذين يلوحون بهذا الصك التوراتي لا يؤمنون بالتوراة، ولا بموسى ولا برب موسى، بل هم ملاحدة لا يؤمنون ببعث ولا بآخرة، وقد أعلنوا إلحادهم، مثل ثيودور هرتزل، وبن جوريون، وإنما سياسيون أصحاب فلسفات سياسية وأطماع توسعية ومفكرون أصحاب نظريات مثل ماركس وإنجلز ولينين .

وللصهيونية صحف وكتب ومنظمات ضغط بلا عدد في الكونجرس وفي دور النشر، وفي وزارات الإعلام وفي شركات التليفزيون والسينما والمسرح وفي كل منافذ صنع القرار .

والصهيونية إخطبوط سرطاني منتشر لا يسلم موقع من امتداد ذراع من أذرعته الملتفة لتحيط به وتسيطر عليه وتتحكم في أهله"[(4)] .

---

(1) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص189 .
(2) الإسلام السياسي : مصطفى محمود، ص27 .
(3) الغد المشتعل : مصطفى محمود، ص189 .
(4) على خط النار : مصطفى محمود، ص56 .

ومن وجهة نظر الدكتور فإن لليهود الصهاينة دوراً خطيراً على مدار تاريخها الطويل : "أما الأصولية الصهيونية فكانت أم الفتن، وكانت تآمراً تاريخياً مبيتاً وكانت الورقة التي وضعها ثيودور هرتزل أمام عيون حكام أوروبا أن تأسيس دولة إسرائيل سوف يكون فيه تحقيق لمصالح دول أوروبا كلها وأن إسرائيل ستكون الحصن المتقدم للحضارة الغربية في مواجهة البربرية الشرقية"[1] .

9. وسائل الصهيونية للوصول إلى أهدافها :

يستمر مصطفى محمود في كشف خفايا الصهيونية مبيناً أنها تستغل وتستخدم في طريق تنفيذ مخططاتها كل ما تستطيع من وسائل : "وصلت إلى ذلك بامتلاك "الميديا"[2] جميعها، الصحف والإذاعة والتلفزيون ودور النشر والأقمار الفضائية والسينما والمسرح والكتاب، وبالتالي الرأي العام في كل مكان تلونه كما تشاء، فضلاً عن امتلاكها المسبق للبورصات والبنوك ومؤسسات المال ثم امتلاكها للتنظيمات الأخرى الخفية تحت الأرض، المافيا وصالات القمار وبيوت الدعارة وعصابات المخدرات"[3] .

ثم يزيد مصطفى محمود الأمر توضيحاً : "والصهيونية هي قمة التسييس الديني الإجرامي للعالم، العالم كله، فقد أقامت لها سفارة في كل دولة وأقامت لها انتداباً في كل تشكيل عصابي وممثلاً في كل نظام مخابرات وعضواً في كل مؤسسة بنكية وفي كل بورصة، وتوكيلات في كبرى شركات الإنتاج السينمائي والمسرحي والتليفزيوني وفي دور النشر والصحافة وفي أكاديميات الفن والموضة وفي أروقة الكونجرس وفي كل شيء، إنها تنظيم أخطبوطي متسلل إلى كل بؤر التحكم وإلى كل سراديب صنع القرار، وكل تعديات إسرائيل تحظى بالضوء الأخضر من أمريكا الأب الروحي لإسرائيل"[4] .

ثم يكشف لنا مصطفى محمود حقيقة الصهيونية فيقول : "السيطرة والتحكم في مقدرات العالم هو هدف الصهيونية الحقيقي وليس صحيحاً أن هدف الصهيونية هو إنقاذ اليهود من الشتات أو جمعهم في وطن، وإنما الهدف هو التسلل إلى مقاعد الصدارة وقيادة العالم بالخداع والرشوة والغواية، وما حكايات موسى والتوراة والجنس المختار إلا وسائل للتغطية على هذا الطموح المجنون، فكل قادة الصهيونية ملاحدة لا دين لهم ولا إيمان وكل هدفهم الدنيا والفوز بها"[5] .

---

[1] الإسلام السياسي : مصطفى محمود، ص72 .
[2] الميديا : (media) وسائل الإعلام . (قاموس المورد : انجليزي – عربي – منير البعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت – الخامسة والعشرون – 1991م – ص 567).
[3] الغد المشتغل : مصطفى محمود، ص189 .
[4] الإسلام السياسي : مصطفى محمود، ص72 .
[5] على حافة الانتحار : مصطفى محمود، ص67 .

وبالتالي "سوف تلجأ الصهيونية إلى وسائلها القديمة، وإشاعة الانحلال، ونشر المخدرات والجريمة والعنف والفيلم الهابط والفن الداعر والإعلام المخرب، وتهديد كل من يكتب في حرية بتهمة المعاداة للسامية والتشجيع على الإرهاب .

وسوف نرى مزيداً من الكتب التي تُعلي من شأن القيم الدنيوية وتكرّس المادية، وتروج للعلمانية وتشكك في الدين وتهزأ بالغيب، وسنرى نماذج من الحفاوة بأمثال سلمان رشدي[1]، ونسرين تسليمة[2]، ونصر أبو زيد[3] .[4] .

10. موقف مصطفى محمود من العنصرية اليهودية :

المتابع للفكر اليهودي، وحتى الدين اليهودي يرى فيه بوضوح بروز الجانب العنصري، لهذا نجد كاتبنا يتناول هذا الأمر بمزيد من التوضيح : "عقدة العنصرية وأوهام السيادة ومنهجية التفرد والتفوق في كل شيء عند اليهود، وقد صاحبتهم هذه العقدة بسبب العصبية والعزلة والحرص على عدم الاختلاط وعلى نقاء السلالة وعلى عدم التزاوج بالآخرين إلا لمصلحة ضرورية، ولهذا تصوروا أن الله هو رب خاص بهم، فهو إله بني إسرائيل ساهر على بني إسرائيل وحدهم .

وعنصريتهم وعصبيتهم ظلت تلازمهم، ولا يمكن أن تخرج من هذه العنصرية ومن تلك العصبية القبلية أي عالمية، أو أي رسالة إنسانية تدعو إلى خير عام للكل"[5] .

ونجد الدكتور يقارن ويربط في نفس اللحظة بين النازية الصهيونية وغيرها من أشكال النازية فالنازية والعنصرية الإسرائيلية هي شبيهة بالعنصرية النازية "إن عقدة العنصرية اليهودية والسيادة والرياسة ما زالت تتحكم في كل تصرف تسلكه إسرائيل، إننا أمام نازية جديدة وجنس مختار من نوع آخر يريد أن يسود ويفرض شروطه"[6] .

---

[1] سلمان رشدي : (1947-م)، كاتب انجليزي من أصل هندي، تخرج في جامعة كامبردج بريطانيا، صاحب كتاب آيات شيطانية، أثارت كتبه ضجة كبيرة حوله، اتهم على أثرها بالكفر والردة. (ويكيبيديا : الموسوعة الحرة).

[2] نسرين تسليمه : (1947- م)، طبيبة وكاتبة بنغالية، انتقدت الإسلام في كتاباتها، تقيم حالياً في فرنسا، من كتبها: العار ولا شيء و طفولتي وتلك الأيام السوداء وريح عاصف، أثارت كتبها ضجة كبيرة حولها، اتهمت على أثرها بالإلحاد، وصدر ضدها عدة أحكام وفتاوى. (ويكيبيديا : الموسوعة الحرة).

[3] نصر حامد أبو زيد : (1943-2010م)، أكاديمي مصري، ولد في طنطا، تخرج في جامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة العربية، حاز على الدكتوراه من نفس الجامعة عام1979م، عمل في التدريس الجامعي، له العديد من المؤلفات أثارت ضجة كبيرة حوله، اتهم على أثرها بالإلحاد والردة، ترك مصر إلى هولندا عمل هناك في محاضرا في جامعات هولندا، مات بعد عودته إلى مصر بإسبوعين، من كتبه : فلسفة التأويل، والتفكير في زمن التكفير. (ويكيبيديا : الموسوعة الحرة).

[4] على حافة الانتحار : مصطفى محمود، ص142 .

[5] المصدر السابق : مصطفى محمود، ص122 .

[6] المصدر السابق : مصطفى محمود، ص127 .

11. تعريف الإرهابي عند مصطفى محمود:

تناول مصطفى محمود القضية الفلسطينية كثيراً في كتبه ومقالاته، وكان دائماً يقف مع الحق الفلسطيني وخصوصاً أنه واكب القضية منذ بداياتها، (أربعينيات القرن الماضي)، فهو أحد الشهود على الأحداث، وبالتالي يتصف تحليله بالمصداقية : "اختلطت الأوراق وأصبح السؤال الصعب والمحير، بل والمستحيل أحياناً، من هو الإرهابي؟، ومن هو الظالم ومن المظلوم، من المعتدي ومن المعتدى عليه، من يرهب من؟، الفلسطيني الذي سُرقت أرضه ونُسفت بيوته ودُمرت ممتلكاته، حتى شربة الماء مد اليهود الأنابيب من تحت الضفة (الغربية)، وسحبوها وعبأووها في زجاجات، وباعوها له وهو صاحبها، ثم طردوه واعتقلوه وألقوا به في السجون، حتى إذا ضاقت به الدنيا ولم يجد سوى جسده يُفجره في وجه السجان، قالوا هو إرهابي مجرم أثيم، وما الاستشهاد إلا الإرهاب الإسلامي بعينه، وهم وحدهم الإسلاميون، هم الإرهابيون بعينهم، والسؤال، من كان يرهب الآخرين طول الوقت، ومن كان يملك طائرات الـ إف 16، ومن كان يُمطر الفلسطينيين بالقذائف والمتفجرات من السماء، ومن كان يُسقي الآخر الذل والعذاب والعلقم والهوان، ومن كانوا يضعون الموت في عبوات من القنابل والصواريخ للآخرين"[1] .

والمجال يطول مع أستاذنا مصطفى محمود، إلا أنني اكتفيت بما ذكرت من مواقف الكاتب ضد اليهودية الصهيونية العنصرية .

كان للدكتور دور كبير في توضيح الخطر اليهودي، وكان هو وبعض إخوانه يؤدون دوراً كبيراً ضد حملات التطبيع التي تحاولها إسرائيل، لهذا لم يتركه اليهود، بل حرّضوا عليه الدولة والحكومة المصرية، لدرجة أن الجميع تجاهله في آخر سنوات عمره، ولم توله الدولة مع قيمته وقدره، لم توله أي اهتمام، ولما مات لم يحضر أي مسؤول تشييعه أو الصلاة عليه، رحمه الله .

---

[1] على حافة الزلزال : مصطفى محمود، ص68 .

المبحث الثاني

موقف مصطفى محمود من الشيوعية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الشيوعية .

المطلب الثاني : أهم أفكار الشيوعية .

المطلب الثالث : نقض مصطفى محمود للشيوعية .

المطلب الأول
تعريف الشيوعية

عرّفتها الموسوعة المفصلة بأنها : "مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات، وبالعامل الاقتصادي .

وهي تصور شامل للكون والحياة والإنسان والإلوهية، وعن هذا التصور الشامل ينبثق المذهب الاقتصادي ثم هي من جهة أخرى مذهب اقتصادي واجتماعي وسياسي وفكري مترابط متشابك لا يمكن فصل بعض عن بعض"[1] .

وعرّفها الكيالي : "مجموعة أفكار وعقائد ورؤى اشتراكية ثورية ماركسية تنادي بضرورة وحتمية إطاحة النظام الرأسمالي وإقامة مجتمع المساواة والعدل في إطار أممي مرتكز على الملكية العامة لوسائل الإنتاج وخال من التمييز الطبقي والاجتماعي، وبحيث تختفي الفروق والتفاوتات بين المدينة والريف وبين العمل الذهني والعمل اليدوي، وبين المرأة والرجل، ويتم إلغاء الدولة"[2].

وأصحاب الفكر الشيوعي يُسمون نظريتهم العامة المادية الجدلية، ويسمون تفسيرهم للتاريخ : التفسير المادي للتاريخ .

ومن أقوالهم : لا إله والكون مادة، وحدة العالم تنحصر في ماديته، المادة سابقة في الوجود على الفكر، لم يكن هناك وقت لم تكن المادة موجودة فيه، وليس هناك وقت لا تكون المادة موجودة فيه، الإنسان نتاج المادة، الفكر نتاج الدماغ والدماغ مادة"[3] .

وعرّف الميداني الشيوعية بأنها : "مذهب فلسفي مادي إلحادي غير أخلاقي، استبدادي، يرى أن المادة هي أصل وأساس كل شيء، ويفسر التاريخ تفسيراً مادياً يرجعه إلى العوامل الاقتصادية وصراع الطبقات"[4] .

وقد تأثرت الشيوعية بكثير من الأفكار السابقة عليها، وعلى رأسها اليهودية والصهيونية، "فقد صدر من الأسبوع الأول للثورة الشيوعية قرار ذو شقين بحق اليهود :

- يعتبر عداء اليهود عداء للجنس السامي يعاقب عليه القانون .
- الاعتراف بحق اليهود في إنشاء وطن قومي في فلسطين .

كذلك تأثرت بمدرسة "هيجل" العقلية المثالية، ومدرسة "كونت" الحسية الوضعية، ومدرسة "نيورباخ" الإنسانية الطبيعية، ومدرسة "باكونين" صاحب المذهب الفوضوي المتخبّط"[1] .

---

[1] الموسوعة المفصلة : 923/2 .
[2] الموسوعة السياسية : عبد الوهاب الكيالي، 534/3 .
[3] الموسوعة المفصلة : 923/2 .
[4] الكيد الأحمر : عبد الرحمن الميداني، دار القلم ، دمشق، الأولى، 1985م، ص9 .

أبرز شخصيات الفكر الشيوعي :

من أهم وأبرز الشخصيات التي كان لها دوراً كبيراً في ظهور الفكر الشيوعي رجلان، أحدهما منظّر للفكر والآخر منفذ لهذا الفكر على أرض الواقع، الأول كارل ماركس، والثاني لينين .

1. كارل ماركس : (1818-1883م)، عالم اقتصاد وفيلسوف ألماني.

ولد في مقاطعة الراين لأسرة يهودية، اعتنق والده المسيحية، ودرس ماركس القانون في جامعتي بون وبرلين، مال لدراسة الفلسفة، حصل على الدكتوراه في القانون، عمل في الصحافة، بعد زواجه انتقل إلى باريس وعمل في الصحافة، إلا أنه لم يستمر فيها طويلاً، عكف على دراسة الاقتصاد، واتصل بالمفكرين الاشتراكيين، التقى عام 1845م بإنجلز، انتقل بعدها إلى بروكسل وهناك تواصل مع صديقه إنجلز، كان له دور كبير في إنشاء اتحاد العمال الدولي .

كتب عدة مؤلفات منها : رأس المال، والصراع الطبقي في فرنسا، وبؤس الفلسفة، والمسألة اليهودية، وبيان الحزب الشيوعي .

اتصل ماركس بفيلسوف الصهيونية "موشيه هيس"، وتأثر به، من صفات ماركس أنه قصير النظر، متقلب المزاج، حاقد على المجتمع، مادي النزعة، كسول لا يحب العمل[2] .

2. لينين (فلاديمير بوليانوف) : (1870-1924م)، مؤسس الاتحاد السوفييتي.

ولد في مدينة "سيميرسك" من مدن روسيا البيضاء، في أسرة متوسطة الحال، عاش حياة عادية، ظهر عليه الاجتهاد وحب العلم منذ صغره، درس القانون، تأثر بأخيه الأكبر الذي أعدم من قبل الدولة لاتهامه بمحاولة اغتيال القيصر، انضم إلى نادي ماركسي ودرس كتاب رأس المال الماركسي، انتقل إلى مدينة سانت بطرسبرغ وفيها انضم للثوار وكتب أول كتبه "من هم أصدقاء الشعب" عام 1894م، اعتقل عدة مرات، أفرج عنه وسافر إلى سويسرا، وهناك انضم للثوار المنفيين .

بعد قيام ثورة 1917م عاد إلى روسيا، مات في يناير 1924م .

وقد اشتهر لينين بقسوة القلب، الاستبداد بالرأي، الحقد على البشرية، قيل إن أصله يهودي، علاقاته باليهود كانت قوية لدرجة أن المكتب السياسي للثورة كان يتكون من سبعة أشخاص ستة منهم يهود، وهذا يدلل على العلاقة القوية ما بين الشيوعية واليهودية .

يعود الفضل لهذا الرجل في أن جعل للشيوعية دولة وكياناً، وجعلها قيد التنفيذ، جُمعت كتبه وخطبه ضمن مجموعة سمّيت مجموعة المؤلفات الكبرى[3] .

---

(1) موسوعة الفرق والأديان : دربالة، ص282 .

(2) انظر : الموسوعة المفصلة : 925/2 .

(3) انظر : الموسوعة السياسية : الكيالي، 603/5، وموسوعة المورد : البعلبكي 106/6، والموسوعة المفصّلة ، 925/2 .

المطلب الثاني
أهم أفكار الشيوعية

تعتمد النظرية الشيوعية على جملة من الأفكار التاريخية والفلسفية والاقتصادية .

أولاً : ففي الجانب الاقتصادي تقول الشيوعية بجملة من الأفكار ، **منها :**

1. نظرية الفائض :

وخلاصتها أن الربح الذي يتبقى لصاحب المصنع أو المزرعة بعد إخراج نفقاته على الآلات والمواد وأجور العمال ليس من حق صاحب العمل، إنما هو من حق العمال، يقسم بينهم وبين صاحب العمل، لهذا يجب أن يكون العمال شركاء لصاحب العمل[1] .

وهذه النظرية أقرب ما تكون للجانب العاطفي منها للنظرية الاقتصادية، فمن حق العمال المطالبة بزيادة الأجور وتحسين ظروفهم المادية، وليس من حقهم المطالبة بمشاركة صاحب العمل مكسبه وربحه .

2. نظرية صراع الطبقات :

تركز الماركسية الشيوعية على فكرة الصراع ما بين العمال (البروليتاريا)، وأصحاب العمل (البرجوازية)، وفي نهاية المطاف لا بد أن تستسلم البرجوازية لتحل محلهم طبقة العمال وبالتالي تختفي طبقة الإقطاعيين، وهذا الصراع سيولد لنا طبقة جديدة وهي أصحاب المصانع والمزارع (الرأسماليين)[2] .

3. اختفاء الطبقة الوسطى :

وهذا يكون نتيجة الصراع الواقع ما بين العمال والمزارعين وأصحاب العمل، فالنتيجة لهذا الصراع اختفاء الطبقة الوسطى، لأن أفرادها إما أن يتحولوا إلى رأسماليين أو إلى طبقة الفقراء المعدمين، والنهاية يصبح المجتمع يتكون من طبقتين فقط العمال والرأسماليين .

وهذا الكلام هراء، يرده واقع الحياة في المجتمعات الزراعية والصناعية، الأمر الآخر أن الطبقة الوسطى ليست فقط هي فئة العمال والمزارعين، بل هي متكونة من شرائح مجتمعية أخرى[3] .

4. نظرية الشيوعية العامة (دكتاتورية العمال) :

وهي الخطوة الأخيرة في صراع الطبقات، فالصراع يستمر بين العمال وأصحاب العمل (الرأسماليين)، وحينها يسيطر العمال في ثورة عارمة على المصانع والمزارع وتختفي طبقة

---

(1) انظر : الشيوعية والشيوعيين في ميزان الإسلام : عبد الجليل شلبي، دار الشروق، القاهرة، الأولى، 1976م، ص80 .

(2) المصدر السابق : عبد الجليل شلبي، ص82 .

(3) حوار مع الشيوعيين : عبد الحليم خفاجي، دار الأنصار، القاهرة، الثانية، 1977م، ص134 .

الرأسماليين، وبالتالي تقوم حكومة البروليتاريا (العمال)، هي الشيوعية والتي لا حاجة فيها للحكومة والقضاء والشرطة .

فالناس يعيشون في ظلها في تعاون لا أغنياء ولا فقراء، بل مساواة كاملة[1] .

هذه هي أهم المرتكزات الاقتصادية للنظرية الشيوعية، وهي أقرب للخرافة منها للمنهج العلمي، وقد تنبأت الماركسية بقيامها في المجتمع الإنجليزي، إلا أن الأحداث التاريخية جاءت بعكس ما أراد ماركس، فكان انتصار الشيوعية في روسيا المتخلفة، وقد أثبتت الأيام فشل هذه النظرية التي قامت على القتل والظلم والإجبار، فأدت إلى انهيار روسيا وعودتها لما كانت عليه دولة فقيرة متخلفة .

ثانياً : وفي الجانب الآخر تقوم النظرية الشيوعية الماركسية على فكر فلسفي جدلي متخلّف[2] :

1. نظرية المادية الجدلية :

وهي تصور عام للدين والحياة والإنسان تعتمد على أساس أن المادة هي أساس الوجود وأن كل ما في الكون ومن فيه منبثق عن المادة ومحكوم بقوانين المادة، ولا وجود له خارج نطاق المادة، كما يقوم هذا التصور من جهة أخرى على أساس وجود التناقض في طبيعة المادة ومن ثم في كل ما ينبثق عنها من مخلوقات ومن كيانات بما فيها ذلك الكيان الإنساني فهو كيان مادي من جهة ومحكوم بصراع المتناقضات من جهة أخرى .

تعتمد هذه النظرية على إلغاء الجانب الآخر للحياة من الغيبيات والروحانيات، وهذا مخالف لفطرة الإنسان، ثم من الذي قال أن المادة هي أساس وجود الحياة، فهذا قول بالغيب، لم يطلع عليه أحد من الناس، خصوصاً أن العلماء يقولون أنه لا يوجد شيء اسمه مادة، فكل شيء حي متحرك .

ماذا يتبقى للإنسان حينما نصف حياته بالمادة، وأنها هي المتحكمة والمحركة لحركته وحياته، وما المستفاد حينما نلغي الدين من حياة الإنسانية[3] .

2. نظرية المادية التاريخية :

"وهي محاولة لتفسير التاريخ البشري على أسس المادية، أي على أساس أن المادة أزلية أبدية، وأنها هي الخالقة لكل ما في الكون من مخلوقات، وأن الإنسان نتاج المادة، والفكر نتاج المادة، وأن قوانين المادة هي بذاتها التي تحكم حياة البشر الاجتماعية، ولأن المادة في حالة تطور فكذلك الفكر والمشاعر في حالة تطور بحكم ارتباطها بالمادة"[4] .

وللشيوعية مجموعة من الأفكار غير ما سبق ذكره، **منها** :

---

[1] انظر : الشيوعية والشيوعيين : عبد الجليل شلبي، ص83 .
[2] انظر : الموسوعة المفصلة، ص926/2 .
[3] انظر : حوار مع الشيوعيين : عبد الحليم خفاجي، ص203 .
[4] الموسوعة المفصلة : 926/2 .

أ. **إنكار وجود الله تعالى وكل الغيبيات** : وذلك على أساس أن الحياة مادة، ومن هنا فإنهم يحاربون الدين ويعتبرونه وسيلة لتخدير الشعوب، وخادماً للرأسمالية والإمبريالية والاستغلال، مستثنين من ذلك الدين اليهودي، والسبب أن اليهود شعب مظلوم يحتاج للدين ليستعيد حقوقه المغتصبة .

ب. **محاربة الأسرة ككيان اجتماعي** : "فالأسرة كما تقرر الشيوعية هي مؤسسة برجوازية ومصلحة اقتصادية، نشأت من اعتماد المرأة في معيشتها وإعالتها على الرجل الذي يملك وسائل الإنتاج ويفرض على المرأة تبعاً لذلك أن تكون له وحده دون شريك"[1] .

وقد دعت الشيوعية إلى مشاعية المرأة، فهي لجميع الرجال، والأولاد ملك للدولة تقوم على تربيتهم، وهذا ما صرح به مفكر الشيوعية إنجلز "[2] .

والشيوعية تحارب الأسرة لأنها حسب زعمها ترسخ قيم الملكية الفردية، وهذا ما لا تؤمن به الشيوعية، وهي أيضاً تقوم على ولاء الزوجة للزوج والأولاد للأب، والولاء يجب أن يكون للشيوعية وليس لغيرها .

والأسرة تربي أبناءها على الفضيلة والقيم الأخلاقية، وهذا ما لا ترغب فيه الشيوعية[3] .

يبقى السؤال المهم لماذا تحارب الشيوعية الدين ؟[4] .

1. يرى منظرو الشيوعية أن الإيمان بالدين ينقض فكرة المادة كأصل للحياة .
2. وأن الدين يعتمد على الغيبيات، ومنها الإيمان بالله الخالق، وهم يقولون أن المادة هي الخالق .
3. الدين في أساسه هو خرافة قديمة آمن بها الإنسان القديم حينما عجز عن مواجهة الطبيعة .
4. الدين يرسخ قيم المذلة وقبول الظلم والاستسلام للأغنياء .
5. الدين هو المنظومة الوحيدة القادرة على نقض الشيوعية، أما النظريات الفلسفية أو الاقتصادية فهي أعجز في المواجهة .

وهذا الذي تدعيه الشيوعية قد يكون بعضه صحيحاً حينما تكون المواجهة مع المسيحية أو اليهودية أو الأديان البدائية، أما في مواجهة الإسلام فهو كلام هراء .

وحينما قالت الشيوعية ما قالت، إنما من خلال تجربة قاسية مع الدين المسيحي الذي تحكم فيه رجال الكهنوت النصراني والكنيسة، أما الإسلام الذي يُعلي قيمة الفرد، ويضمن حريته، والذي يقيم شريعته على العدل والرحمة وكفالة حقوق الإنسان، والذي يرفض الظلم والاستغلال

---

[1] واقعنا المعاصر والغزو الفكري : صالح الرقب، ص255 .
[2] انظر : أصل العائلة : إنجلز، ص93 .
[3] انظر : واقعنا المعاصر : الرقب، ص256 .
[4] انظر : حوار مع الشيوعيين : عبد الحليم خفاجي، ص37 .

والاستبداد، والذي ينظر إلى الدين على أنه شيء فطري لا يمكن الاستغناء عنه لتسيير حياة الإنسان[1] .

نهاية الشيوعية :

تابعنا وتابع العالم أجمع كيف انهارت المنظومة الشيوعية، وكيف تفككت مجموعة الدول التي كانت تشكل قصراً ما يُسمى بالاتحاد السوفييتي، وكان هذا الانهيار دون مواجهة عسكرية، أو مؤامرة خارجية .

فقد "انهارت الشيوعية في معاقلها بعد قرابة سبعين عاماً من قيام الحكم الشيوعي، وبعد أربعين عاماً من تطبيق أفكارها في أوروبا الشرقية، وأعلن كبار المسؤولين في الاتحاد السوفييتي قبل تفككه أن الكثير من المبادئ الماركسية لم تعد صالحة للبقاء، وليس بمقدورها أن تواجه مشاكل ومتطلبات العصر، مما تسبب في تخلف البلدان التي تطبق هذا النظام عن مثيلاتها الرأسمالية"[2] .

وسبب تراجع الشيوعية وعدم نجاحها يرجع إلى :

1. عدم واقعيتها .
2. عدم القدرة على متابعة التطور الصناعي والعلمي وتدهور الوضع الاقتصادي .
3. هدمها للقيم الاجتماعية مما سبب انتشار الحرمان والظلم .
4. مصادمتها مع الفطرة ومحاربتها للدين .
5. مصادرتها للحرية الخاصة والعامة، وبالتالي تأخر الإبداع والعمل والإنتاج .
6. الاستبداد والظلم الواقع من الحزب الشيوعي، والطبقة الجديدة الحاكمة .
7. حالة الفقر التي يعيشها المجتمع والفرد الشيوعي مقابل الثراء الذي يعيشه زميله في المجتمعات الرأسمالية الأخرى[3] .

السؤال الحائر : ما مصير الذين قتلوا وشردوا وصدرت أموالهم وكُممت أفواههم ؟

ما مصير المليارات من الدولارات التي أنفقت على مشاريع وهمية خاسرة ؟

ما مصير السنوات الطويلة من عمر هذه الشعوب ؟

هذا هو فكر الإنسان، المناقض لمنهج الله تعالى، ولفطرة البشر .

علاقة الشيوعية بالصهيونية :

يحدثنا التاريخ أنه قبل قيام الثورة الاشتراكية في روسيا كان هناك جماعات يهودية تدعو إلى الشيوعية، وأن الماركسيين استفادوا منها كثيراً .

---

(1) انظر : أفيون الشعوب : عباس العقاد، ص50 .

(2) الموسوعة المفصلة : ص928 .

(3) المصدر السابق : ص928 .

وأن الفكر الماركسي هو في أساسه فكر يهودي بحكم كون ماركس من سلالة يهودية، وأعوانه كانوا يهوداً، فالشيوعية في أصلها فكر يهودي بحت ولا يهدف اليهود من وراء الدعوة الماركسية إلى إصلاح ولا إلى مساواة، لأنهم هم كبار الرأسماليين في العالم، وإنما هدفهم التخريب والتحطيم للوصول إلى السيطرة على العالم .

والتاريخ يحدثنا أن الأحزاب الشيوعية في العالم العربي وخصوصاً مصر وسوريا والعراق وفلسطين من أنشأها هم اليهود والمال الذي يدعمها ويمولها مال يهودي .

لقد حكم روسيا بعد الثورة اليهود، والحزب الشيوعي الأمريكي أغلب زعماؤه من اليهود الصهاينة[1] .

أين حكم الفكر الشيوعي :

الناظر للخريطة السياسية للعالم يجد أن الشيوعية تمركزت بشكل بارز في عدة دول، **منها:** الاتحاد السوفييتي، والصين، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر، وبلغاريا، وبولندا، وألمانيا الشرقية، ورومانيا، ويوغسلافيا، وألبانيا، وكوبا .

ومعلوم أن كثيراً من هذه الدول دخل تحت سيطرة الشيوعية بالقوة والقهر والانقلابات، وبالتالي لم يطل حكم الشيوعية في كثير منها، وما حدث في رومانيا وبولندا وألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا دليل واضح على أن رغبة الشعوب في وادي وسيطرة الحكومات بالنار والحديد في وادي آخر[2] .

أما الدول التي سارت في ركب الشيوعية حيناً من الزمن كمصر واليمن الجنوبي وليبيا وسوريا والعراق وكثير من دول أفريقيا وأمريكا الجنوبية، فإن الناظر إلى أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية يرثي لحالها .

---

[1] انظر : الشيوعية والشيوعيين : عبد الجليل شلبي، ص252 .
[2] انظر : موسوعة الفرق والأديان : دربالة، ص283 .

المطلب الثالث

نقض مصطفى محمود للشيوعية والماركسية

واكب مصطفى محمود ظهور الشيوعية في العالم العربي منذ البدايات الأولى لظهور هذه الأحزاب في مصر والعالم العربي، وكان من ضمن ما قرأه في شبابه الماركسية والشيوعية، إلا أنه كما ذكرت سابقاً في الفصل الأول أن صاحبنا لم يقتنع بهذا الفكر، وبالتالي لم ينضو تحت أي حزب من الأحزاب الشيوعية .

"حينما بدأت أكتب في الخمسينات كانت الماركسية هي موضة الشباب الثائر في ذلك الوقت، وكنا نقرأ منشوراتها في نهم فتحرك مثالياتنا بما تعد به من فردوس أرضي وعدالة ورخاء وغذاء وكساء للعامل والفلاح، ومحاربة للإقطاع والاستغلال وتحرير للجماهير الكادحة .

وكانت موسكو تبدو لنا في ذلك الحين الكعبة الأم لهذا الدين الجديد الذي يشع بالخير والرفاهية لكل من يدور في فلكه .

وكانت أول صحوة لنا من ذلك الحلم حينما سافرنا إلى الخارج ورأينا الخراب والبؤس والوجوه الكئيبة المتجهمة في المجر ورومانيا وألمانيا وكافة البلاد الشرقية التي تجري في هذا الفلك .

وبحثنا عن الرخاء والرفاهية والحرية والفردوس الأرضي فلم نجد له أثراً .

وكانت الصدمة الثانية الأعظم حينما فتح خرتشوف ملف ستالين وأعلن على رؤوس الأشهاد المظالم التي ارتكبها ستالين والملايين من العمال والفلاحين والمثقفين الذين قتلهم في السجون والمعتقلات وأعدمهم بالرشاشات وألقاهم للموت في جليد سيبيريا وأسلمهم لآلات التعذيب.

ويومها قالوا لنا إنه التطبيق .

الذنب في التطبيق السيء ولكن النظرية بريئة مبرأة من هذا كله .

واحتاج الأمر مني إلى سنوات من القراءة والدراسة والعكوف على المجلدات الأصلية للمذهب لكي أكتشف أن الفساد ليس في التطبيق ولكن الفساد في المذهب نفسه وأن تلك الأفكار الثورية لم تكن أكثر من تحشيد وتحريض ودفع لكتل الجماهير نحو ثأر تاريخي يخرج العالم من ظلم ليلقي به في ظلم أفدح وأشمل وأعم"[1] .

---

[1] لماذا رفضت الماركسية : مصطفى محمود، ص7 .

ولما عمل في الصحافة وبدأ يكتب في قضايا مجتمعه كان من ضمن ما كتب مقالان تحت عنوان : سقوط اليسار، والخروج من مستنقع الاشتراكية، تسبب هذين المقالين في منعه من الكتابة لمدة عام كامل بأمر مباشر من الرئيس جمال عبد الناصر[1] .

فيما بعد كتب مصطفى محمود مجموعة من الكتب في مواجهته للماركسية والفكر الشيوعي، **منها :**

لماذا رفضت الماركسية، وأكذوبة اليسار الإسلامي، وسقوط اليسار، والماركسية والإسلام، هذه وغيرها كثير من المقالات .

حمل مصطفى محمود سيف القلم فكان حرباً لا هوادة فيها في مواجهة الفكر الماركسي الشيوعي، بل كان من وجهة نظر الماركسيين والشيوعيين أكثر عداءً من كثير من المؤسسات الدينية .

ويمكن رصد موقفه المعادي للشيوعية من خلال فهمه للعديد من القضايا، **والتي منها :**

1. موقف الماركسية من الدين :

يحدثنا كاتبنا عن عداء الشيوعية للدين فيقول : "تاريخ الشيوعية مع الدين تاريخ مثير يستحق التحليل والتأمل، فالمذهب الماركسي في أصل منهجه يرفض الدين والغيبيات، ولا يعترف بإرادة أو مشيئة خارجة عن الكون المادي" .

ثم يتابع قوله : "بدأ تاريخ الشيوعية بالحملة على الدين، فهدم ستالين الكنائس واعتقل الرهبان وطارد القساوسة وألغى التعليم الديني من المدارس واستبدله بتدريس الإلحاد وجعل من الإلحاد شرطاً أساسياً للعضوية في الحزب"[2] .

والباحث يسأل وكيف كان حال الإسلام والمسلمين؟، إن ما فعلته الشيوعية في المسلمين في الدول ذات الأصول الإسلامية من قتل وتشريد ونقل قصري إلى أماكن أخرى وإغلاق للمساجد أو هدمها ومنع تداول القرآن، إغلاق المدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية، أشر مما فعل بالنصارى وكنائسهم[3] .

"لقد جعل ماركس القضاء على الأديان على رأس مخططه وبدأت الثورة البلشفية بهدم المساجد والكنائس وإحراق الأناجيل والمصاحف واعتقال رجال الدين وإلغاء التربية الدينية من المدارس وتدريس الإلحاد والماركسية كمادة إجبارية للأطفال والكبار"[4] .

---

[1] مذكرات مصطفى محمود : سيد الحراني، الحلقة السادسة .
[2] أكذوبة اليسار : مصطفى محمود، ص7 .
[3] انظر : الشيوعية والشيوعيين : عبد الجليل شلبي، ص21 .
[4] لماذا رفضت الماركسية : مصطفى محمود، ص10 .

وكأن الماركسيين والشيوعيين استبدلوا ديناً أرضياً بالدين السماوي، فماذا إذن فعلوا وماذا غيروا، جعلوا ارتباط الإنسان بدل أن كان مع الله، مع السماء، جعلوه مربوطاً بالإنسان، وبالأرض، كأنهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير .

2. علمية النظرية الماركسية :

تدعى الماركسية أنها نظرية علمية، هكذا يسمونها، لكن هل هي كذلك "ومن أكثر الأكاذيب شيوعاً، قولهم الدائم الدائب بأن الماركسية علم، ودعواهم بأن كلامهم هو الكلام العلمي وفكرهم هو الفكر الموضوعي وإطلاقهم وصف الاشتراكية العلمية على مجموعة الأفكار الظنية والمنشورات التحريضية التي يروجونها .

ولم يكن كارل ماركس علمياً حينما انتقى من التاريخ بضع مراحل على هواه ولفق منها مذهباً طبقه اعتسافاً على التاريخ كله، وكان حاله حال اليهودي الآخر فرويد الذي أخذ من دفتر الهستيريا بضع حالات ولفق منها مذهباً في الغريزة الجنسية طبقه اعتسافاً على كل الأصحاء الأسوياء من البشر، فجعل من البشر مجموعة من القرود تلهو بأعضائها التناسلية في جبلاية، كما تصور شقيقه الآخر كارل ماركس عجلة التاريخ تحركها يد الصراع الطبقي .

وتعمد كارل ماركس إسقاط مراحل كاملة من التحول التاريخي لأنها ناقضت مذهبه، فهل كان علمياً في استقرائه"[(1)] .

ثم يستطرد مبيناً بطلان القول بالحتمية التاريخية والحتمية العلمية، "وهذه الدعوى الزائفة للماركسيين بحتمية قوانينهم، وكأنها قوانين منزلة من اللوح المحفوظ هي دعوى أخرى غير علمية، فلا حتمية في الإنسانيات، وإنما هناك على الأكثر عناصر ترجيح وظن وتخمين واحتمالات متفاوتة"[(2)] .

ويستكمل مصطفى محمود قائلاً : "من أين جاءوا بأن المادة سبقت الفكر في هذا الكون، ومن كان منهم حاضراً في مبدأ الكون ليزعم أن شهادته علمية، إنهم ما قالوا ذلك إلا رجماً بالغيب، مع أنهم يصرخون بأنهم ضد غيب وغيبية، ثم إذا قالوا إن المادة قديمة وبأنها جاءت بلا خالق، ألا يسقطون بذلك قانون السببية، ويسقطون بالتبعية العلم كله الذي يقوم على السببية"[(3)] .

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾. (سورة الكهف : 51).

---

(1) أكذوبة اليسار الإسلامي : مصطفى محمود، ص26 .

(2) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص29 .

(3) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص29 .

3. اليسار[1] والأمة العربية :

المتابع للأحداث يرى أن اليساريين ممن حكموا البلاد العربية تحت شعار الوحدة والتقدمية والحرية والعلمية، أساء هؤلاء أكثر من غيرهم "لقد اتفق الكل على إزهاق أنفسنا وتشتيت شملنا، واختلفت أسلحتهم وأدواتهم من استعمار سافر يحتل الأرض إلى استعمار مذهبي يحتل العقول، إلى استعمار اقتصادي ينهب الثروات، لم تشهد البلاد العربية في تاريخها فُرقة وانقساماً كما نرى حولنا اليوم، وقد أصبح العداء وتبادل الاتهامات هو تحية الصباح بين كل جارين، اليمن الجنوبية واليمن الشمالية، عدن والسعودية، الكويت والعراق، العراق وسوريا، سوريا ولبنان، مصر وليبيا، ليبيا والمغرب، المغرب والجزائر، وينطلق الرصاص على الحدود ويموت الإخوة بلا قضية، لأن أحدهما كان على اليسار والآخر على يمينه .

ولا نهاية لهذه الانقسامات فكل يسار على يساره يسار، وكل يمين على يمينه يمين، ولا يتكلم الرفاق ولا يتحاورون ولا يحاولون الوصول إلى تصفية فكرية، وإنما يتكلم الرصاص ليصل إلى تصفية شخصية"[2] .

وعن طليعة الأحزاب الشيوعية يحدثنا مصطفى محمود : "الطليعة التقدمية التي قامت على أكتافها الحركة الشيوعية المصرية من كانوا ؟ هنري كوربيل، روزيث كوربيل، مارسيل إسرائيل، هليل شفارنز، ديدار، روسانوا، إيميه مسيتون، ريمون اسطنبولي جوزيف هازان ، شحاتة هارون، جوماتالون، جويس بلو، جاكوب كومب، وديمون أغبون، كلهم يهود .

تلك حقيقة حفظتها ذمة التاريخ، وما كان خالد محيي الدين وفؤاد مرسي وإسماعيل صبري الذين حكموا مصر أيام عبد الناصر إلا تلاميذ هؤلاء اليهود وتربيتهم"[3] .

4. سقوط الماركسية الشيوعية وانهيارها :

كان انهيار الشيوعية من أكبر المفاجآت في أواخر القرن العشرين، فكان كالصاعقة على كثير ممن تغنى بالماركسية والشيوعية في بلادنا العربية "انهزم الفكر اليساري في جميع معاقله، وخلع الرفاق شاراتهم الحمراء، وسمعنا عن زعماء شيوعيين مثل جارودي خلعوا الملة الشيوعية كلها ونبذوها، وقبل جارودي مفكرون كبار أمثار ريتشارد درايت، وستيفن سبندرا، ولويس فيشر، واجناز يوسيلوني واندريه جيد وآرثر كسلر، كانوا ماركسيين، ثم نبذوا الماركسية وانقلبوا ضدها، بل سمعنا أصواتاً من الصين ذاتها تهاجم ماركس والماركسية .

---

[1] اليسار : من التعابير التي أصبحت مرتبطة بنظم الحكم والمذاهب والأحزاب السياسية المعاصرة، نفس الأمر بالنسبة لليمين، أول استعمالات هذا اللفظ كان مع مطالع العام (1789م)، الذي مهد للثورة الفرنسية، فكان الأشراف يجلسون عن يمين منصة الشرف، وممثلو الشعب يجلسون عن اليسار، لهذا أصبح عرفاً أن يجلس ممثلو الأحزاب الراديكالية التقدمية على اليسار والمحافظون على اليمين، ثم توسع استعمال اللفظ بقيام الأحزاب السياسية. (الموسوعة السياسة : الكيالي – 411/7) .

[2] أكذوبة اليسار : مصطفى محمود، ص50 .

[3] وبدأ العد التنازلي : مصطفى محمود، ص85 .

وهكذا رأينا غروب الفكر الماركسي، ورأينا أفول المذهب الذي يزعم أنه سوف يغير التاريخ فغيره التاريخ، ولم تعد له أرجل يمشي عليها ولا قدرة ذاتية ينتشر بها، ولم تبق له وسيلة انتشار سوى القوة العسكرية السافرة"[1] .

ثم نجده يقول : "ولقد جاءت حركة التاريخ على عكس ما تصور كارل ماركس على طول الخط لتثبت خطأ المنهج الذي استخدمه في جميع تنبؤاته، فحروب اليوم هي بين الشيوعيين أنفسهم والصراعات والعداوات تمزقهم فرقاً وطوائف، كل يسار يظهر على يساره يسار يحاربه، ولا نهاية للانقسامات التي أصبحت بعدد أهواء الناس ومطامعهم، والذي يبقى في كرسيه يبقى بالقمع والإرهاب وبسلطة أجهزة الزبانية التي يسمونها اليوم أجهزة الإعلام الشمولي التي تقوم بغسل مخ المواطن من كل شيء إلا ما يريده الحكام والحق ضائع في ضوضاء الإذاعات وجلبة الشعارات .

إن الماركسية لم تكن إلا مجموعة الذرائع التي تذرع بها الانقلابيون الجدد بدعوى التغيير ليصلوا إلى السلطة، ثم بعد السلطة لم يتغير شيء، خرجت طبقة وجاءت طبقة، وانتهى ظلم وبدأ ظلم أظلم، هذه المرة ظلم شمولي يجثم على الملايين بليله البهيم ولا أحد فيه يستطيع أن يصرخ"[2] .

ويستمر كاتبنا في الحديث عن السقوط والانهيار : "دار الزمان دورته ولم يعد الشيوعي يستطيع أن يقول إنه تقدمي، وأن غيره من المذاهب رجعي، ولا عادت الماركسية تستطيع أن تدعي أنها الوعد المأمول بالرجاء لكل الشعوب، فأكثر الدول التي اختارت الماركسية أصبحت أسوأ فاترينة للمذهب، والواقع في كل مكان أصبح يقول شيئاً آخراً غير ما تقوله المنشورات، ومعظم الشعارات التي عشنا على أوهامها في الخمسينات أصبحت أكاذيب .

ولقد ادعت الشيوعية منذ ميلادها أنها ستقوم بهذا الاندفاع العلمي والصناعي والتكنولوجي، ولكن خطواتها كانت قصيرة، ونفسها كان قصيراً، لأنها اندفعت من نقطة صراع ومن بداية قهرية قمعية، فما كادت تتقدم خطوات حتى توقفت، وما لبثت اليابان الرأسمالية وأمريكا الرأسمالية بل وحتى ألمانية الغربية المنهزمة في الحرب أن سبقتها وتقدمت عليها .

وتحولت روسيا إلى الطرف الرجعي والذي يستورد الخبرة والتكنولوجيا من بلاد الخصوم"[3] .

5. ماذا تبقى للشيوعية والماركسية ؟

الحق أنه لم يبق لهم شيء، الشعارات التي خدعت الملايين من البسطاء، والآمال العريضة التي حلمت بها الملايين ذابت كما يذوب الجليد، "ومنظر الشيوعيين وهم يتسولون شعارات الانفتاح والديمقراطية والحرية الدينية، ويرفعون لافتات الاعتدال بحثاً عن أرض جديدة يقفون عليها بعد الخسف الأرضي الذي أصاب أفكارهم، هو منظر مأساوي، والراية الحمراء التي

---

[1] المصدر السابق : مصطفى محمود، ص84 .
[2] نار تحت الرماد : مصطفى محمود، ص35 .
[3] السؤال الحائر : مصطفى محمود، ص47 .

أصبحت الآن راية بمبية والمطرقة والسندان وهما ينزلان على رأس ماركس وأنجلز وليس على مخ الرأسمالية الغربية، أشبه بلوحة كاريكاتورية .

والشيوعية كفكر الآن انتهت ولم يبق منها إلا القوة العسكرية تمارس عملها كدولة كبرى إمبريالية وليس كفكر أو فلسفة أو دعوة، والمثال أفغانستان .

ولم يبق للدول الصغرى التي تدور في فلك الإشتراكي ولا للأحزاب الأوروبية الشيوعية الصغيرة إلا دور العميل .

والفعل الذي تبقى لليسار في العالم هو إثارة الاضطرابات وتمويل الانقلابات ونشر الفتن ودفع عجلة الإرهاب في كل مكان دون فكر أو فلسفة، والمشهد تاريخياً هو مشهد غروب كامل للفكر الماركسي بعد ليل دامس حالك"[1] .

وهكذا كان الدكتور مصطفى محمود قلم أزال الغشاوة عن هذا الفكر الفاسد، وكشف للمخدوعين الباطل والضلال والجهل والاستبداد الذي ينطوي عليه الفكر الشيوعي .

وضح كم هو مخالف للفطرة، متعارض مع العلم، يدعو إلى العنصرية والتخلّف، يستبدل ظلماً بظلم، وقهراً بقهر .

---

[1] سقوط اليسار : مصطفى محمود، ص92 .

المبحث الثالث

موقف مصطفى محمود من الوجودية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الفلسفة الوجودية .

المطلب الثاني : أهم أعلامها وأفكارها .

المطلب الثالث : رفض مصطفى محمود للوجودية .

المطلب الأول

حقيقة الفلسفة الوجودية

تعددت تعريفات الباحثين للوجودية، والسبب أن كل باحث ينطلق في دراسته للوجودية من منطلق خاص به، مختلف عن غيره من الباحثين، "ليس ثمة شك في أن من أصعب الأمور التي يواجهها الباحث في الفلسفة الوجودية هي وضع تعريف لها، فلا أشق على المفكر من هذه المهمة الصعبة، ويرجع ذلك إلى ما اتسمت به الوجودية من اختلافات شاسعة بين مفكريها، اختلافات وصلت إلى حد التناقض الصارخ في كثير من الأحيان حتى أصبح من العسير أن نصنع تعريفاً جامعاً مانعاً لهذا النمط من التفكير يضم كل هذه الاختلافات تحت وحدة واحدة"[1]، **ومن التعاريف التي وجدتها للوجودية:**

عرّفها الدكتور محمد غيث بأنها : "حركة فلسفية حديثة، لها جذورها القديمة في تاريخ الفكر الإنساني، تنظر إلى حقيقة الكائن التي تتحدد عن طريق الوجود في مرحلة معينة وتتميز بالاستخفاف بالمجردات، وتقديس التجربة الإنسانية الفردية"[2] .

وعرّفتها الموسوعة المفصلة بأنها: "اتجاه فلسفي أدبي إلحادي يغلو في قيمة الإنسان، ويبالغ في التأكيد على تفرده، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار، ولا يحتاج إلى موجه، فهو يلغي رصيد الإنسانية من الأديان وقيمها الأخلاقية"[3] .

عرفتها الكاتبة الأمريكية مسز جرين بأنها: "جهد لإدراك الطبيعة الإنسانية في حدود إنسانية ودون اللجوء إلى ما هو فوق الإنسانية، أو إلى ما يمكن أن ندعوه ما تحت الإنسانية"[4]. وهناك غير هذه التعريفات الكثيرة مما عزفنا عنه لعدم وضوح فكرته .

والوجودية كأي فلسفة إنسانية تأخذ قيمتها من صاحبها، اتجاهه، رؤيته، تأثيره، لهذا تعددت الرؤى والاتجاهات في الفلسفة الوجودية حتى وجدنا من الباحثين[5]، من يقسم الوجودية إلى :

1. وجودية مؤمنة .
2. وجودية ملحدة .

ولهذا نجد البعض يعتبر "أن الوجودية في أساسها مذهب محترم مقبول أو مذاهب محترمة مقبولة لا يستدعيها قيام المذاهب الهدامة التي تلغي وجود الفرد واستقلاله في غمار

---

[1] مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية : سعد عبد العزيز صابر، ص33 .

[2] قاموس علم النفس : محمد عاطف غيث، الهيئة المصرية، العامة للكتاب، القاهرة، 1979م، ص167 .

[3] مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية : سعد عبد العزيز صابر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970م، ص36 .

[4] المصدر السابق : سعد صابر، ص37 .

[5] الدكتور محمد غلاب .

الجماعات التي ينتمي إليها، وإنما قامت الوجودية كأنها رد فعل لتلك المذاهب يحفظ للفرد كيانه واستقلاله ويعرفه بحقوقه وواجباته بين قومه وبين إخوته من بني الإنسان في جميع الأمم وجميع الحقب، ولكن هذه الوجودية قد تنحدر مع المنحدرين بطبائعهم حتى تصبح ضرباً من العدمية أو ضرباً من الإباحية التي لا تعترف بشيء غير شهوات الفرد ودوافع الأثرة والأنانية .

ومن الوجودية التي تستحق اسم العدمية تلك العقائد التي تنكر معنى الوجود وتقطع الوشائج العميقة بين وجود الإنسان ووجود هذه الأكوان في آزالها وآبارها التي لا حقيقة وراءها ولا معنى لكلمة العبث إن نسبت إليها"(1) .

وهكذا يريد أن يقول لنا العقاد أن الوجودية مذهب منه ما هو مقبول نافع، ومنها ما هو مرفوض مردود، والفلسفة الوجودية هي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع، وتعد جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة التي تتعلق بالحياة والموت والمعاناة والألم، وليست نظرية فلسفية واضحة المعالم"(2) .

نشأتها وظهورها :

ظهرت الفلسفة الوجودية بعد الحرب العالمية الثانية كرد فعل للآثار الخطيرة التي أحدثتها الحروب في أوروبا، والنتائج الضخمة التي أصابت الأسر والأمم بفقد زهرة شبابها وخيرة أبنائها، حتى لم يعد بيت في أوروبا بدون قتيل أو جريح، ومن ثم علت الصيحة إلى الفزع من الخطر الذي تفرضه أخطار السياسة وصراع الدول على المجتمعات الآمنة بما يهدد الحياة ويجعل أهلها يعيشون في خطر الحرب الدائم .

فلما أحس الناس بخطر الحرب تأكل الملايين ثارت في النفوس الرغبة إلى مزيد من الاندفاع نحو الترف والمتعة حيث لا توجد غاية واضحة للحياة إلا الرفاهية والحرية(3) .

هذا بالإضافة إلى أنها ردة فعل على تسلط الكنيسة وتعسفها باسم الدين، مضافاً إليها تأثير العلمانية على روح المجتمعات الغربية .

أول ظهور للوجودية كان في ألمانيا ثم انتشرت بشكل كبير في فرنسا وبين شباب دول أوروبا على العموم .

---

(1) أفيون الشعوب : عباس العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، الثانية، ص79 .

(2) الموسوعة المفصلة، 904/2 .

(3) الوجودية : أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة 1976م، ص3 .

المطلب الثاني

أهم أعلامها وأفكارها

كما ذكرت سابقاً إن للفلسفة الوجودية جناحين، أحدهما وجودية مؤمنة، والآخر وجودية ملحدة، والمقصود بالإيمان، الإيمان بالنصرانية وعقائدها، فلا ينسحب هذا على الإسلام إطلاقاً، حتى أننا نجد الباحثين العرب الذين يتحدثون عن الوجودية المؤمنة يتحدثون عنها من منطلق الإيمان الغربي المسيحي .

ويمثل الوجودية المؤمنة جملة من الفلاسفة منهم : سورين كيركجور، وجابرييل مارسيل، ولويس لافيل .

ويمثل الوجودية الملحدة جملة من الفلاسفة منهم : جان بول سارتر، وهيدجير، وسيمون دي بفوار .

أولاً : الوجودية المؤمنة :

سورين كيركجورد : (1813-1855)، فيلسوف دانمركي

تلقى تعليمه اللاهوتي على المذهب البروتستانتي، حصل على الدكتوراه في فلسفة سقراط، عاش في بيت شديد التدين والصرامة، له عدة كتابات طابعها القلق واليأس والتهكم .

عارض في فلسفته الفلسفات الموجودة، وتبنى فلسفة خاصة تقوم على فكرة أن الذاتية هي الحقيقة الثابتة، عارض الكنيسة واتهمها بأنها حولت الدين المسيحي إلى مذهب ومؤسسة الكهان فيها موظفون[1] .

فلسفته : يرى كيركجورد أن الحقيقة ذاتية، أي منسوبة إلى ذات معتقدها، فالوجدان يخلق ما هو حق، وأن الحقيقة هي عمل الحرية، وبالتالي تكون أفعال الإنسان مدفوعة بالهوى، وأن نتائج الهوى هي الوحيدة الجديرة بأن تعتقد وبأن يعثر فيها على مسوغ، وهنا كان تأثيره كبيراً على سارتر فيما بعد .

وعن علاقة العقل بالعقيدة : يرى كيركجورد أن العقل مهم جداً خصوصاً في قضايا اللاهوت، وأنه يجب أن نستعمل العقل في كل أمر له علاقة بالإنسانية، وفيما يتعلق بقضايا الاعتقاد يعترف أن العقل يعجز كثيراً عن التعرف على خفاياها، لكن فيما دون ذلك يجب استخدام العقل دون انقطاع، وعن الأخلاق يقول إن العالم بلا أخلاق يصبح غير قابل للتعقل أو الحياة .

---

(1) موسوعة أعلام الفلسفة : روني إيلي إلفا، 312/2 .

وعن العلاقة مع الله يقول إن الله فوق المقولات الأدبية البشرية والتعقيدات الفلسفية، وأن هناك من البشر من ظفر بالتعلق والوصول إلى الله، ليس عن طريق الاعتزال أو التمرد الفوضوي، ولكن عن طريق النقاء القلبي والشفافية الباطنية[1] .

يُعتبر كيركجورد أبا الفلسفة الوجودية فقد تأثر به أساتذة الفلسفة الوجودية : كارل يسبرز، وهيدجر، وكما ذكرت سابقاً تأثر به أيضاً سارتر .

وغني عن القول أن كيركجورد يتدين على سنة في الدين غير سنة العرف المتفق عليه بين سواد الناس، لأنه يؤمن بأن حق الفرد في اختيار عقيدته أعظم من حق الكنيسة وحق الجماعة، ويؤمن بأن وجود الفرد وحدة غير قابلة للتكرار، وكل ما يستطيعه المؤمن للمؤمن أن يريه بالمثل المحسوس أن باب الاختيار مفتوح وأنه إما أن يختار وجوده بإلهام ضميره أو يضيع .

والذي نراه أن مكان كيركجورد بين كبار المتعبدين وذوي الشاعرية أصح وأدفق من مكانه بين كبار الفلاسفة، لأنه كان حساساً ثاقب الذكاء عميق الوجدان، ولم يكن من أصحاب العارضة القوية والفكر الواسع المحيط بآفاق القضايا العظمى[2] .

ومن أكثر الأفكار تأثيراً لكيركجورد في الفلسفة الوجودية، وفيمن جاء من بعده :

- الدعوة إلى الإشادة بالفردية، وتقويم الشخصية الإنسانية، واحترام القيم الإنسانية الخالصة.
- العناية بتحليل المعاني الأساسية في الوجود الإنساني، من قلق وخوف وخطيئة ويأس وفناء ووحدة فردية، وحرية أساسية لا سبيل إلى استلابها .
- تمجيده للوجدان والانفعال إلى جانب العقل، بل وفوق العقل، بوصف الوجدان أقدر على أن يحيا الحياة، من العقل الذي يتأمل الحياة من خارج ولا يعيشها من باطنها .
- في اتخاذ التجارب الحية موضوعات للتفسير والتفلسف، بدلاً من الاقتصار على التصورات العقلية المجردة .
- في معاناة المشاكل من الداخل، بدلاً من معالجتها من الظاهر[3] .

هذا هو الجانب المؤمن من الفلسفة الوجودية، وهي فلسفة اقتصر تأثيرها على قلة من الباحثين لا يعرفها أحد من عامة الناس لا على المستوى الغربي أو العربي، فقد كان التأثير والانتشار للفرع الثاني للوجودية وهو الفرع الملحد الذي كان على رأس مفكريه جان بول سارتر فمن هو ؟

---

[1] انظر : الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة : محمد غلاب، الدار القومية، القاهرة، الأولى، 1966م، ص4 .
[2] انظر : أفيون الشعوب : العقاد، ص85 .
[3] انظر : دراسات في الفلسفة الوجودية : عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، الثالثة، 1973م، ص31 .

ثانياً : الوجودية الملحدة :

جان بول سارتر : (1905–1980) مفكر وأديب فرنسي، ولد في باريس وتلقى تعليمه فيها، وعمل مدرساً، شارك في الحرب ضد الألمان، وتم أسره، بعد أن أُطلق سراحه اشترك في مقاومة الاحتلال الألماني في عام 1950م، أصدر مجلة العصور الحديثة التي نشر من خلالها أبحاثه ودراساته عن الوجودية، عُرف بميوله للصهيونية واليهودية، شارك في المظاهرات المؤيدة لليهود والكيان الصهيوني، زار الكيان الصهيوني ضمن جولة لدول المنطقة، أصدر عدداً خاصاً من مجلة العصور الحديثة عن الصراع العربي الصهيوني، أظهر فيه انحيازه لليهود، منحته الجامعة العبرية عام 1979م الدكتوراه الفخرية .

له كثير من المؤلفات الأدبية والفلسفية والمسرحية، منها الغثيان، وسبل الحرية، والوجود والعدم، والذباب، استخدم الأدب لنشر أفكاره الوجودية الملحدة المسرفة في اللامعقول[1] .

وتقترن الوجودية في أذهان عامة الناس باسم الفيلسوف والكاتب القصصي والمسرحي والناقد الفرنسي سارتر، والعلة في هذا الاقتران أنه قد أذاع هذه الفلسفة في مختلف الأوساط بعد أن كانت مقصورة على أهل الفلسفة فحسب، وعلة هذا الذيوع أنه أديب وناقد مسرحي .

ونصيب سارتر الحقيقي في تكوين المذهب الوجودي الفلسفي لا يتكافأ أبداً مع الشهرة التي نالها بوصفه من أعلام الوجودية[2] .

ولقد تأثر سارتر كثيراً في فكره وفلسفته بالفيلسوف الألماني مارتن هيدجر، وخصوصاً في الجانب الإلحادي .

من الأفكار والمعتقدات التي روجها سارتر[3] :

- جعل الوجودية مذهباً إلحادياً، لا يؤمن بإله أو قيم دينية على الإطلاق .
- الإنسان هو الذي يخلق ماهيته، فالوجود عنده أسبق من الماهية .
- الإنسان هو الذي يصنع مقاييس الحق والخير والجمال، فهذه ليس لها مرجعيات غير الإنسان نفسه .

والملاحظ على هذا الفكر أنه اعتمد اعتماداً كلياً على نفي فكرة الدين والألوهية، فليس لهذا الكون الذي يعيش فيه خالق، لأن الوجود عنده أسبق على الماهية وهذا يتنافى مع أبسط بديهيات العقل والفطرة، وخالف فيها أيضاً ما قالت به الفلسفة على مدار تاريخها الطويل "وقد أجمع كثير من الفلاسفة على أن الصورة تسبق الوجود وأن الوجود للشيء دليل على وجود مثالي

---

(1) انظر : كشوف وزيوف : عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، الثانية، 1991م، ص359، والموسوعة السياسية : الكيالي، 78/3 .

(2) انظر : دراسات في الفلسفة الوجودية : عبد الرحمن بدوي، ص214 .

(3) انظر : كشوف وزيوف : الميداني، ص366 .

تصوري له سابق عليه، واستدل كثير من الفلاسفة من ذلك على وجود الله إذ أن وجود الصورة نقيض وجود المصور لأنه هو الذي ينشئ الكائن على هذه الصورة التي وصفها[1] .

ومعنى أن الإنسان هو الذي يضع مقاييس الحق والخير والجمال، معناه أن يكون لكل وجودي فيه قوانينه دون علاقة بالآخرين، وهذا مخالف لقيم الدين وخصوصاً الإسلام الذي تقوم قيمه على التعاون وأنه فرد ضمن مجموعة، وأن الإنسان عليه التزامات تجاه الآخرين .

ومثل هذا القول يجعل من الأخلاق والقيم الجميلة تبعاً للهوى ونوازع النفوس، وهذا ما نجده وما نراه في حياة الإنسان العربي، لم يعد للقيم قيمة ولم يعد للفضائل وجود، ولم يعد للروابط الأسرية والمجتمعية اعتبار، "ليس غريباً أن يفرز مثل هذه السموم القواتل، وهو يهودي صهيوني، فهذه الأفكار وأشباهها قد عرفناها تماماً في المخططات اليهودية الرامية إلى تدمير البشرية من الأمم غير اليهودية، وقد رأينا آثارها عند كل صانعي الأفكار المدمرة من اليهود وأحزابهم ومنظماتهم"[2] .

إن مصدر القيم عند سارتر الإنسان، ومصدر القيم عند المسلمين الإسلام ذاته (القرآن والسنة)، وهذا هو الفارق الرئيسي، ومن ثم فبقية الفروق تندرج تحته .

وسارتر يزعم أن الإنسان هو الذي خلق فكرة الله، لأن الإنسان له الحرية الكاملة في اختيار صفاته وتحقيق وجوده، وهذه الحرية غالية الثمن وصعبة في ممارستها، وتكلفه هموماً ومتاعب ومسؤولية، فالإنسان في طور من أطوار عجزه أراد أن يريح نفسه من أنه غير قادر على تحقيق رسالة فاعتنق فكرة وجود الله لينسب إليه أسباب فشله الذاتي، وعلى هذه الصورة يزعم سارتر أن الله غير موجود ولكن الإنسان هو الذي خلقه"[3] .

حتى الحب، هذه المشاعر الطيبة والجميلة يعتبرها سارتر سقوط الذات لأنها سلمت مقودها إلى شيء ليس لها إرادة في اختياره، فالوجودية تعادي من يحاول أن يجذبها إلى نظم الحياة ويذيقها برد الراحة، بينما هي تريد أن تظل تضرب على غير هدى[4] .

ومكمن الخطأ في فكر سارتر أنه يضع فروضاً ينسجها من بنات خياله، ثم يحاول أن يسقطها على الحياة والوجود ويتعامل معها بعد ذلك على أنها مسلّمات، فهو حينما ألقى بنفسه في طريق القلق والضياع، وعزل ما بينه وما بين فطرته، وأنكر الغيبيات، جعل من نفسه ريشة في مهب الريح، ونسي أن الإيمان بالله وما يتلوها من معتقدات هي الركيزة القوية في الأمن والسلام والحياة الطيبة[5]، ثم ينتهي الأمر بسارتر إلى أن يبقى "يتخبط حتى يضل وينتهي بالرد

---

(1) الوجودية والإسلام : محمد لبيب البوهي، دار المعارف، مصر، 1960م، ص7 .

(2) كشوف وزيوف : الميداني، ص375 .

(3) الإسلام والوجودية : البوهي، ص61 .

(4) انظر : المصدر السابق : البوهي، ص67 .

(5) مناهج البحث في العلوم الإنسانية : مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، 2005م، ص287 .

على نفسه بما لا يحوجنا إلى تعليق، فيقول إن الإنسان يستحيل عليه أن يحقق ذاته كما ينبغي فيظل هائماً وراء الوجود المثالي الذي يستحيل عليه تحقيقه وذلك هو سر قلقه .
فليظل هكذا ما دام كذلك قد وجد"[1] .

أهم أفكار الفلسفة الوجودية :

كما ذكرت في المطلب الأول عن مدى صعوبة تحديد تعريف للوجودية، نفس الصعوبة تواجه الباحث عند تحديد أفكار للفكر الوجودي، يستطيع الباحث من خلالها يقول ويدّعي أن هذه هي معالم هذا الفكر، فقد تخبط فلاسفة الوجودية في آرائهم حتى وجدنا أن المفكرَيْن الاثنين منهم يتناقضان في الرأي حول القضية الواحدة، "ولا ريب أن الوجودية ظاهرة زمنية عابرة لم يلبث الإنسان أن يتخطّاها وهي كما يقول جاك بيرك : ليست روحاً وهي فلسفة عدمية سلبية من ألفها إلى يائها، تود أن تقتل في الإنسان التفكير وتشل القدرة على استعمال العقل والمنطق وتقول : إذا أردت خلاصاً فاقتل في نفسك العقل والمنطق، هذا فضلاً عن إنكار الخالق والدين"[2] .

والأفكار الوجودية هي أفكار شخصية، مستمدة من فكر أعلامها، وليس قواعد عامة كأي مذهب فكري أو فلسفي، إلا أن الباحثين بعد جهود كبيرة استطاعوا أن يجملوا لنا أهم أفكار هذه النزعة الإنسانية، **ومن هذه الأفكار**[3] :

1. كفرهم بالله ورسله وكتبه، وبالغيبيات وكل ما جاءت به الأديان .
2. الإيمان بالوجود الإنساني، فهو المنطلق لكل فكر .
3. وجود الإنسان سابق على ماهيته، وأنه أقدم شيء في الوجود وما قبله كان عدماً .
4. القول بحرية الإنسان المطلقة، وله الحق أن يثبت وجوده كما يشاء ويهوى دون قيود .
5. لا وجود لقيم ثابتة تضبط سلوك الإنسان، وإنما له أن يفعل ما يريد .
6. سيطرة فكرة القلق واليأس والانطوائية على فكرهم .
7. أدى هذا الفكر إلى شيوع الفوضى الخلقية الإباحية والتحلل والفساد .
8. الوجودية تعني التمرد على الواقع والمجتمع .
9. الاعتقاد بأن الدين والنظريات الفلسفية قديمها وحديثها لم تحل مشاكل الإنسان .
10. الوجودي الحق هو من لا يقبل توجيهاً من الخارج، وإنما يسير بنفسه حسب ما تملي عليه شهواته وغرائزه دون قيود أو حدود .

ومن خلال هذه الأفكار يصل بنا المطاف إلى أبرز نتائج الوجودية : القلق والتمزق والخوف من المجهول والرعب، "فقد عزلت الوجودية الإنسان عن كل ركيزة يمكن أن تحميه أو

---

(1) الوجودية والإسلام : البوهي، ص67 .
(2) الوجودية : أنور الجندي، ص16 .
(3) انظر : الموسوعة المفصلة، 904/2 .

تطمئن نفسه أو تملأه بالثقة، هذه الركيزة لا تأتي إلا من مصدر واحد هو الدين، ومن ثم كان إنكار الدين منطلق للعدمية التي تفجر كل أنواع القلق والخوف والرعب، فنظرة الإسلام للإنسان هي نظرة التكامل بين رغائبه وأشواقه، بين المادة والروح، ولكن النظرة المادية الخالصة من شأنها أن تخلق طابع التشاؤم والشك الذي يحس معه الإنسان بأنه وحيد وشقي وغريب، وهذا معنى التمزق والضياع، أما حيث يحل في النفس الإيمان بالله فإنما يحل معه الثقة والتفاؤل، فالإيمان بالله قوة دافعة تعطي الأمل، وتحول دون اليأس وتبعث الثقة وتدعو إلى المعاودة في حالة الإخفاق"[1] .

وإذا كانت الوجودية ليس لها لون خاص ولا قاعدة ولا توجيه ولا وصايا ولا حدود وإنما هي تختلف باختلاف مبدعيها، إلا أنها تكاد في كل صورها تجمع على شيئين هما أنه يجب نسف العقل والدين .

فالعقل عند الوجودية ليس ديموقراطياً، بل إنه أداة أرستقراطية مشحونة بأفكار سادة أرستقراطيين، هم الفلاسفة الذين عاشوا في أبراج عاجية لتغذية العقل بأفكار واتجاهات غير وجودية" .

والدين عند الوجوديين خرافة يؤمن بها الإنسان الجهول ويتلقى منها أوامر ينسبها إلى واعظ غير موجود وغير مرئي يسميه الله، ثم يخر ذلك الإنسان في حماقته ساجداً في رهبة لذلك المجهول الذي خلقه خياله .

وإذا كان الله موجوداً فإن الإنسان هو الذي خلقه"[2] .

هذا ما يريد أن يوصلنا إليه الفكر الوجودي : القلق والضياع، والكفر والانحلال .

السؤال : ما المستفاد من ذلك ؟ هل هو خدمة اليهودية الصهيونية العالمية، أعتقد ذلك .

إن الوجودي يتساءل هذا السؤال الأساسي : بما أن الله غير موجود فما الذي يترتب على ذلك، وما هي نتائجه الكاملة، غير أن الأساس الذي ترتكز عليه الوجودية أكثر من مجرد إنكار وجود الله .

إذ يضاف إلى ذلك إنكار لكل غاية ومنطق وخطة ومعنى في الوجود، كما يرى الوجودي أن الحياة البشرية بلا غاية أو معنى، ولنقل إن الوجود عارض، لا معقول، وكل الكائنات البشرية لا ضرورة لها، ولا حكمة من وجودها، ناهيك بأن من الممكن الاستغناء والاستعاضة عنها"[3] .

---

[1] الوجودية : أنور الجندي، 16 .
[2] الوجودية والإسلام : البوهي، ص79 .
[3] الفلسفة : أنواعها ومشكلاتها : هنترميد، ترجمة فؤاد زكريا، دار نهضة مصر، القاهرة، الثانية، 1975م، ص407 .

الوجودي يضحي بكل شيء في سبيل تحقيق ذاته ورغباته، في حين نرى العقيدة تدفع الإنسان إلى أن يضحي في سبيل مجتمعه وقضاياه الكبيرة : الأسرة والوطن العرض، ويعتبر ذلك فداء وشهادة .

الوجودية تعتبر الحب ضعف وسلب للذات الموجودة، ولا يجب أن ينتهي بالزواج كما فعل أستاذهم كيركجورد الذي طلق خطيبته قبل الزواج حتى يبقى يحتفظ بحبها، وكما فعل سارتر مع سيمون ذي بفوار، أي فكر هذا الذي يعارض الفطرة أشد معارضة، ويتعارض مع طبيعة النفس الإنسانية .

إنه الانحراف والتفلت من كل القيم المجتمعية[1] .

وهكذا نجد أن الذين تغريهم الوجودية ويُعجَبون بها فإنهم ينساقون وراء أهوائها فحسب، حيث يرون فلسفة تبرر الانحراف بدعوة القيم وتجرد الإنسان من القيم الأصيلة، وتطلق له عنان الأنانية، وليس الإنسان منطلقاً في الحركة في هذه الحياة على النحو الذي يريده لأهوائه ورغباته[2] .

---

[1] انظر : الوجودية والإسلام : البوهي، ص89 .

[2] الوجودية : أنور الجندي، ص30 .

المطلب الثالث

رفض مصطفى محمود للوجودية

ذكر الباحث في الفصل الأول كيف أن مصطفى محمود قرأ الوجودية من ضمن ما قرأ في بداية ظهورها في نهاية أربعينيات وبداية خمسينيات القرن الماضي، إلا أنه لم يجد فيها ما يلبي رغبته ونهمه للعلم .

وقد وقف كاتبنا من هذه الفلسفة موقف الرافض لها والمبين لخطرها، **من خلال :**

أولاً : رفضه لها كفكر إلحادي ضار غير نافع "ومن قبل ذلك منشورات الماركسية وكتب الوجودية وفلسفات الإلحاد وما فعلته من نسف الأساس الذي تقوم عليه حضارتنا الإيمانية"[1] .

فهو هنا يرى أن "الوجودية كالماركسية فلسفة تتعارض مع قيم الإيمان وحضارة الإسلام، وأن أفكارها أفكار هدامة، وأن أتباعها مخربون لا موقف لهم، والوجوديون والعبثيون من أهل الحياة مع الهوى واللحظة، فهؤلاء يقولون إنهم اختاروا أنفسهم، فالحياة الحقة عندهم هي أن تكون نفسك، لا تعبأ بعرف أو تقليد أو دين، أو أخلاق، وإنما تعيش لحظتك كما تحب وتهوى، فأنت لا تملك غير لحظتك، واللحظة التي تمضي لا تعود، فأنت لا تملك غير لحظتك، والحق أن كلاً منهم قد اختار حيوانه، وأطاع غريزته، وأسلم لنزوته، واستلهم فكرته، فهو الآخر عبد وإن تصور أنه حر، عبد لآلهة كثيرة تتجاذبه وتتقاسمه، ثم إنه هو وآلهته عبيد الله دون أن يدري، فالكل منه وإليه"[2] .

ومصطفى محمود يعتبر الفكر الفلسفي للوجودية، وما تبعه من سلوك منحرف، ما هو إلا أثر من آثار التبعية لليهود والصهيونية، وقد رأينا أثر التوجيه اليهودي في الفلسفات العبثية والعدمية والمادية والوجودية، سارتر وفرويد وماركس وماركوز كلهم يهود[3] .

ويذكر العقاد تأثير اليهود على الفلسفة الوجودية "وحجته في ذلك أن سارتر نصف يهودي أو أكثر من نصف يهودي لأنه أمه يهودية ومعظم أيامه يقضيها مع اليهود، ولن تفهم المدارس الحديثة في أوروبا ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لا شك فيها، وهي أن أصبعاً من أصابع اليهود كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمعنا الإنساني في جميع الأزمان[4] .

وفكرة كون الوجودية متمثلة في سارتر وقد تأثرت باليهودية الصهيونية أمر مقر عند الباحثين "فهو واحد من قافلة اليهود الذين حملوا رسالة تضليل الناس وإغوائهم على منهج إبليس

---

[1] عظماء الدنيا وعظماء الآخرة : مصطفى محمود، ص76 .

[2] ماذا وراء بوابة الموت : مصطفى محمود، ص32 .

[3] انظر : وبدأ العد التنازلي : مصطفى محمود، ص44 .

[4] مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية : مصطفى حلمي، ص286 .

لتحقيق أهداف اليهود العالمية التي رسمتها بروتوكولات مشيختهم الذين مردوا على كل إثم وشر وتضليل"[1] .

ثانياً : أبان فساد الوجودية وضلال أفكارها من خلال دراسته لفكر كبيرهم "سارتر" لهذا نجد مصطفى محمود يدرس بعض أعمال "سارتر" الأدبية والمسرحية ويعلق عليها، ومن خلال ما يطرحه من أفكار وقيم، وسارتر له نظرية خاصة في الصداقة، إنه يعتقد أنها تحتوي على العداوة والخوف، والتربص، كل واحد يتربص بالآخر ليستولي عليه ويبتلع إمكانياته وهو يشعر بالحاجة إليه، بالخوف منه في نفس الوقت .

والحب في نظر سارتر ما هو إلا قناع لإرادة الامتلاك والسيطرة، العاشق لا يبتغي إلا امتلاك المعشوق بكل الوسائل، وينتهي الصراع بأن يبتلع الواحد الآخر .

وأفكار سارتر فيها عداوة أكثر مما فيها من الصداقة، وفيها يأس من الواقع لا مبرر له، وكل النماذج التي يعرضها سارتر في مسرحياته هي نماذج يائسة تنتهي بالانتحار، ولا يمكن أن تكون هي النماذج الإنسانية التي نشاهدها حولنا تضحك وتلعب، إن السعادة في الصداقة وفي الحب التي جربها كل منا تدل على إمكانية قيام العلاقة الإنسانية[2] .

سارتر يريد أن يقطع الروابط الاجتماعية كلها، ويُنمي في الناس الفردية إلى أضيق حدودها، حتى يكون سبباً في تفتيت المجتمعات الإنسانية .

فحين يرى أن حب الآخرين له سلب لعالمه، وسلب لذاتيته، ويرى أن العلاقة بالناس هي التي تخلق له الشقاء، ويرى أن الآخرين هم الجحيم فإنه يدعو إلى تقطيع الروابط الاجتماعية بين الناس، ويريد أن يلغي حقيقة فطرية في الإنسان، وهي أنه مخلوق اجتماعي .

وهكذا يقلب حقائق الواقع الإنساني، ويصدر أفكاراً باطلة سخيفة في ثوب فلسفي، يمكن أن يفتن بعض مراهقي قراء الوافدات الفكرية مع سيل ما تأتي به الحضارة الغربية[3] .

وهكذا يصل بنا نهاية المطاف إلى أن فكر سارتر ظل يبث القلق والغثيان والقيء والعبثية والإحساس بعدم الجدوى، وبأن الإنسان ولد ليموت وقذف به في الكون بلا رعاية وبلا عناية وأن آلامه نكتة سخيفة بلا معنى[4] .

لقد كان موقف مصطفى محمود حازماً حينما رفض الوجودية كفكر، ورفضها كمفكرين على حد سواء، وكان ناصحاً لقومه وأمته في أن لا ينجروا وراء هذه الدعايات البراقة الخادعة الكاذبة، وكان يردد أنها فلسفة فشلت في بلادها فالأجدر أن تكون أكثر فشلاً في بلاد لها عقيدة واضحة وقيم طيبة وعادات حسنة .

---

[1] كشوف وزيوف : عبد الرحمن الميداني، ص360 .
[2] انظر : الأحلام : مصطفى محمود، ص134 .
[3] انظر : كشوف وزيوف : الميداني، ص376 .
[4] انظر : الماركسية والإسلام : مصطفى محمود، ص48.

المبحث الرابع

موقف مصطفى محمود من البهائية

وفيه ثلاثة مطالب :

- **المطلب الأول** : تعريف البابية والبهائية .
- **المطلب الثاني** : أهم عقائد البهائية .
- **المطلب الثالث** : جهاد مصطفى محمود ضد البهائية .

المطلب الأول
تعريف البهائية

فرقة الشيعة كانت وما زالت من أكثر الفرق خطورة على الإسلام، هذه الفرقة التي فرّخت أكثر الفرق ضلالاً وفساداً، ومنها حديثاً فرقة البابية والبهائية القاديانية .

هذه البهائية والتي هي صنيعة الاستعمار الروسي والانجليزي، ومن بعد أصبحت ربيبة اليهودية الصهيونية ولعبة في يدها، ينفذون من خلالها إلى دس الدسائس ونشر الفتن وتشويه الإسلام .

لهذا كان واجباً ضرورياً أن ينهض العلماء لبيان ضلالها وخطرها، فيحذرها الناس .

1. حقيقة البابية :

فرقة تنسب إلى علي محمد الشيرازي المولود في شيراز من مدن فارس في أكتوبر من العام 1819م، وكان والده يعمل في التجارة، مات والده وهو طفل صغير، فانتقلت كفالته إلى خاله الحاج سيد علي، أدخله الكتاب للتعلم، إلا أنه كان عزوفاً عن الدراسة، ومع هذا نزل عند رغبة خاله .

تلقى مجموعة من درس العربية والنحو الفارسي، وبرع في حسن الخط، بالإضافة في دراسته علوم العقيدة والفقه والتصوّف[1] .

ترك حلقات الدراسة وانتقل لممارسة التجارة في شيراز[2] إلا أنه لم ينجح فيها، فانتقل إلى بوشهر[3] وافتتح له متجراً لبيع الأقمشة، نال شيئاً من النجاح والشهرة على صغر سنه .

في هذه الفترة كان يتردد على مسجد من مساجد المدينة للعبادة، والعزلة والاعتكاف، وكان في هذا المسجد شيخٌ مُهابٌ يُلقي الدروس على المصلين يُسمى بالشيخ "الرشتي"[4]، انضم إليهم علي محمد فتعلقت روحه وعقله بما يسمع من حديث عن الإمام المهدي المنتظر، وعن

---

[1] انظر : الأعلام : الزركلي ، 17/5 .

[2] شيراز : مدينة في الجزء الغربي من إيران، عاصمة مقاطعة فارس، ترتفع عن البحر بـ (4875) قدماً، من المدن القديمة، تشتهر بصناعة السجاد. (موسوعة البعلبكي : البعلبكي، 42/9) .

[3] مدينة بوشهر : تقع في جنوب إيران، على الساحل الشرقي للخليج العربي، وهي عاصمة محافظة بوشهر، تتواجد في جنوب المدينة محطة كهرباء بوشهر النووية وميناء صغير، غالبية سكانها من أهل السنة. (ويكيبيديا : الموسوعة الحرة).

[4] كاظم الرشتي : (1793- 1843م)، عالم وفقيه شيعي يُعد ثاني أبرز شخصية في المدرسة الشيخية، له أهمية كبيرة بالنسبة لأتباع الحركة البابية التي مهدت لظهور الديانة البهائية، ترك الرشتي عدداً كبيراً من المؤلفات . (ويكيبيديا : الموسوعة الحرة).

قرب ظهوره، وكان الرشتي كلما تحدث عن ظهور المهدي نظر ناحية علي محمد وكأنه يقصده[1].

لما مات الرشتي (1245هـ) ازداد تعلق الناس بعلي محمد على أنه المهدي المنتظر، إلا أنه أعلن يوم الجمعة الخامس من جمادي الأولى سنة 1360هـ أنه الباب للمهدي المنتظر، وليس المهدي المنتظر، فصدقه كثير من الناس ممن كانوا يتبعون فرقة الشيخية[2]، وكان من أول وأشد الناس إيماناً به "حسين البشروئي"، والذي لعب دوراً كبيراً في الدعوة للبابية، شكّل الباب مجموعة من أتباعه (18) عضواً، انطلقوا في البلاد يدعون للباب ودعوته[3] .

والباب لقب يستعمله الشيعة كثيراً، وهو متعلق بالمهدي المنتظر عندهم، ومعناه الواسطة بين المهدي المختفي في السرداب وبين أتباعه، أي هو المتحدث باسم المهدي وناقل فتاواه وأوامره[4] .

بعد ذلك ادعى علي محمد أنه خليفة موسى وعيسى ومحمد هكذا جملة واحدة وأن الأديان كلها تلتقي فيه. عارضه العلماء، وقامت بينهم مناظرات، حكموا في نهايتها بكفره، قام أتباعه بكثير من الفتن والاغتيالات، إلا أنه كان يلقى دعماً كبيراً من الحكومة الروسية. [5] .

كما ذكرت لم تكتف الباب بهذه الدعوى، بل تقدم خطوات أكثر جرأة وهي الادعاء بأنه المهدي المنتظر، ثم الادعاء بالنبوة، ثم كانت الطامة الكبرى لما ادعى الألوهية (أنا لست أنا، أنا مرآة فلا يُرى فيّ إلا الله)[6] .

سُجن وأعدم في سنة 1266هـ، مع عدد من أتباعه

مؤلفاته :

اهتم الباب بتأليف الكتب، وكان لكتبه ذيوع كبير بين أتباعه، ومن أخطر هذه الكتب كتاب "البيان" الذي هو الوحي الذي نزل عليه من السماء، وقد طُبع بالعربية، قسمه إلى أحد عشر باباً، عنون للأبواب بالواحد الأول، والواحد الثاني حتى الواحد الحادي عشر .

وهذا الكتاب هو كتاب البابية المقدس، نسخ من خلاله الدين الإسلامي، واستبدل به ديناً جديداً، صغير الحجم صعب اللغة، شديد الغموض .

قال عنه أنه يفوق القرآن ويتحدى أي شخص أن يأتي بباب من أبوابه[1] .

---

(1) انظر : البابية عرض ونقد : إحسان ضهير ، إدارة ترجمان ، الثالثة ، 1981م، ص50 .

(2) الشيخية : فرقة شيعية اثنا عشرية .أوجدها وأرسى قواعدها أحمد الإحسائي، حيث تُنسب إليه يتواجد الشيخية في الكويت والإحساء وتبريز والبصرة، من أتباعها كاظم الرشتي. (ويكيبيديا : الموسوعة الحرة).

(3) البهائية وجذورها البابية : عامر النجار، مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية، القاهرة، الأولى، 1996م، ص20 .

(4) انظر : النحلة اللقيطة البابية والبهائية : عبد المنعم النمر، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ص22 .

(5) انظر : دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، الثالثة، 1971م، 405/5 .

(6) العقيدة والشريعة : جولد زيهر، دار الكتاب، مصر، ص242 .

2. حقيقة البهائية :

تنسب البهائية إلى حسين علي المازندراني (1233-1309هـ) .

ولد في بلدة نور من ضواحي ولاية مازندران بإيران، لُقب بالبهاء أو بهاء الله، اعتنق الدعوة البابية وكان من نشطائها، تلقى تعليمه على يد والده، ثم عكف على دراسة كتب التصوف، حتى أصبح من شيوخها المعدودين، حينما أُعدم الباب خلفه المازندراني بعد صراع مع أخيه يحيى صبح الأزل[2] .

صلة المازندراني بالباب :

حينما اعتقل الباب تم نقله من قم[3] إلى قزوين[4] وفي أذربيجان التقى المازندراني بالباب، ولم يلتق به غير هذا اللقاء، انتقل بعدها المازندراني للدعوة في ربوع البلاد حتى رجع إلى طهران[5] .

أثناء اعتقال الباب عقد مؤتمر بدشت والذي يعتبر علامة بارزة في تاريخ البابية والبهائية سنة 1848م، والذي تم الإعلان فيه عن الدين البابي من خلال إعلان ألقته على الحاضرين "روزين تاج" الملقبة بالطاهرة، في هذا المؤتمر ظهر نجم المازندراني بشكل واضح[6] .

بعد موت الباب انقسمت الفرقة بين مؤيد للوصي الشرعي "يحيى صبح الأزل"، والذين تسموا فيما بعد بالبابية الأزلية، وجماعة انحازت إلى حسين علي وتسمت بالبابية البهائية .

قام صراع مرير بين الأخوين انتهى بقتل حسين لأتباع أخيه فتفرقت أوجه الفرقتين، استقرت الأزلية في قبرص، وهلك هناك، وانتقلت البهائية إلى عكا بفلسطين، واستقرت فيها، وكان له فيما بعد شأن خطير[7]، اشتهر البهاء بكثرة التأليف خصوصاً بعدما استقر بفلسطين، وكان قد تطور في دعوته من كونه باب للباب، إلى الباب شخصياً، إلى كونه المهدي فالنبي حتى انتهى إلى ادعاء الألوهية .

أهم كتبه "الأقداس" والذي هو بالنسبة لأتباع البهائية هو كتابهم المقدس الموحى به من عند الله، كتبه باللغة العربية، وأودع فيه عقيدته وشريعته، رتبه على ترتيب القرآن في ترتيب

---

(1) انظر : البهائية وموقف الإسلام منها : دخيل الله الأزوري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، جدة، 1981م، ص83 .

(2) انظر : الأعلام : الزركلي، 248/2 .

(3) مدينة قم : تقع في الجزء الشمالي الغربي من وسط إيران، من أهم المدن الدينية والمرجعيات عند الشيعة لوجود المئات من أضرحة الأولياء فيها، تعتبر من المراكز العلمية عند شيعة العالم كله. (موسوعة البعلبكي : البعلبكي، 107/8) .

(4) مدينة قزوين : تقع في الجزء الشمالي الغربي من إيران، من مدن إيران القديمة، كانت منطلق الجيوش الإسلامية لنشر الدعوة . (موسوعة البعلبكي : البعلبكي، 42/6) .

(5) انظر : الحراب في صدر البهاء والباب : محمد فاضل، دار المدني، القاهرة، الثانية، 1986م، ص256 .

(6) انظر : فرق وأديان معاصرة : السيد أبو يوسف، مكتبة الإيمان، المنصورة، الأولى، 2008م، ص286 .

(7) انظر : الحراب : محمد فاضل، ص257 .

السور والآيات، نسخ به الكتب السابقة، مبيناً أنها لم تعد تنسجم مع احتياجات الإنسان في جميع أنحاء الحياة[1] .

ومع كون هذا الكتاب هو كتاب البهائية المقدس إلا أنه لا يتم تداوله إلا بصورة خفية وعلى مستوى أتباعه، ولم يتعرف عليه غير البهائيين إلا في العهود القريبة .

أغلب طبعات هذا الكتاب هي طبعات سرية، وقد طبع في الهند وطهران والعراق، صغير الحجم، هو أقرب للحديث عن البهاء من كونه كتاباً مقدساً، وأكثر ما يأخذ الإنسان العجب كيف لهؤلاء الأتباع أن يقنعهم من هذا الهراء، ضعيف التراكيب، كثير الأخطاء، ركيك الأسلوب، ينم عن جهل واضعه[2] .

علاقة البهاء باليهود والصهيونية والاحتلال البريطاني :

حينما احتل البريطانيون فلسطين استقبلهم البهاء بالترحاب معلناً أن الله خلّص فلسطين من أيدي العرب لتعود إلى أصحابها الحقيقيين ويقصد بذلك اليهود، فكان أن أنعمت عليه بريطانيا بلقب "سير"، وحينما هلك البهاء كان المندوب البريطاني على رأس المشيعين للبهاء مع كبار السياسيين الإنجليز[3] .

أما عن صلتها باليهودية الصهيونية فهذا معلن عنه في كتابهم "الأقدس" : "هذا يوم فيه فاز الكلم بأنوار القديم، وشرب زلازل الوصال من هذا القدح الذي به سجرت البحور، وقل تالله الحق إن الطور يطوف حول مطلع الظهور والروح ينادي به الملكوت هلموا تعالوا يا أبناء الغرور هذا يوم فيه سرع كرم الله شوقاً للقائه، وصاح صهيون قد أتى الوعد، وظهور ما هو المكنون في ألواح الله تعالى العزيز المحبوب"[4] .

وفي عام 1968 عقدت البهائية مؤتمراً عاماً أعلنت فيه أن دعوتها مستمدة من الصهيونية، لهذا لا غرابة أن تستعملهم إسرائيل كجواسيس لها[5] .

أهم أماكن انتشارها :

مركزها الرئيس في فلسطين (عكا)، وأكثر البلاد تنتشر فيها البهائية هي أمريكا، والهند وباكستان، وبعض دول أوروبا، وفي البلاد العربية تأخذ شكل السرية، ولا يعترف بها .

---

[1] انظر : مفتاح باب الأبواب : محمد مهدي خان، مطبعة المنار، القاهرة، الأولى، 1321هـ، ص357 .
[2] انظر : حقيقة البابية والبهائية : محسن عبد الحميد، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، 1985م، ص165 .
[3] انظر : البهائية صليبية الفرس : محمود ثابت الشاذلي، مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى، 1999م، ص17 .
[4] البابية والبهائية : محمد إبراهيم الجيوش، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1998م، 242/2 .
[5] انظر : البهائية صليبية الفرس، الشاذلي، ص104 .

المطلب الثاني
أهم معتقدات البهائية وأفكارها

تحاول البهائية في دعوتها لدينها أن تجعله ديناً مستقلاً في مبادئه وعقائده، "لكن الناظر في هذه المبادئ يكتشف للوهلة الأولى أنها خليط من نِحل ومذاهب وعقائد متباينة، فهي مزيج من عقائد ومذاهب وديانات الهند القديمة والصين وفارس، واعتقادات الفلاسفة وغلاة الصوفية والباطنية والأديان والشرائع السماوية"[(1)] .

وهم يحرصون على أن يظهروا للمعارضين والمخالفين بصور براقة خادعة، يحاولون إرضاء اليهود حينما يتحدثون لليهود، ويحاولون إرضاء المسيحيين حينما يتحدثون للمسيحيين، ويحرصون على إرضاء المسلمين حينما يتحدثون إليهم، وهم في كل هذا كاذبون منافقون .

فللبهائية أفكار يعلنون عنها، وعقائد يحاولون سترها عن غيرهم :

أولاً : أما أفكارهم المعلن عنها فهي :

1. **وحدة الأديان :** يجدب على الناس جميعاً أن ينبذوا الأديان كلها، ويجتمعوا على دين واحد وهو دين البهائيين، يقول البهاء عن دينه : "جعله الله الدرياق الأعظم والسبب الأتم لصحته، هو اتحاد من على الأرض على أمر واحد وشريعة واحدة"[(2)] .

وسبب هذه الدعوة أن كل الأنبياء جاءوا مبشرين به، وأنهم عملوا على فرقة الأمم وليس تجمعهم، وهذا مخالف للحقيقة، فدعوة محمد صلى الله عليه وسلم جاءت للناس كافة، وأنه رحمة للعالمين. **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** .

2. **وحدة الأوطان :** على البشر جميعاً أن ينتموا إلى وطن واحد، دون التعصب إلى بقعة صغيرة من الأرض، فالأرض كلها موطن للبشر، ويجب أن تزول الحدود بين البلدان، وأن يصبح البشر وحدة واحدة، بدون جنسيات متعددة .

يقول عبد البهاء : "التعصب الجنسي فهذا وهم وخرافة واضحة لأن الله خلقنا جميعاً جنساً واحداً، ومنذ الابتداء لم يكن هناك حدود بين البلدان المختلفة، فلا يوجد في الأرض جزء مملوك لقوم دون غيرهم"[(3)] .

وهذا كذب واضح، وتعارض مع دين أبيه (البهاء)، الذي كان يتلهف على أرض الطاء (طهران)، ويترفع عن أرض الخاء (الخراب) وهي فلسطين، ويتأسف على غربته في العراق وتركيا وفلسطين .

---

(1) انظر : البهائية وجذورها البابية : عامر النجار، ص74 .
(2) بهاء الله والعصر الجديد : أسلمنت، دار العصور، القاهرة، 1920م، ص121 .
(3) المصدر السابق : أسلمنت، ص161 .

3. **وحدة اللغة** : من أجل أن يتحد ويتوحد العالم لا بد من لغة واحدة تجمع عليها البشرية، يتكلمها كل البشر، وهذه الدعوة من أكبر دعاياتهم، يقول البهاء "يا أهل المجالس في البلاد اختاروا لغة من اللغات ليتكلم بها من على الأرض، وكذلك من الخطوط، إن الله يبين لكم ما ينفعكم ويغنيكم عن دونكم، إنه لهو الفضال العليم الخبير، وهذا سبب الاتحاد لو أنتم تعلمون، واللغة الكبرى للاتفاق والتمدن لو أنتم تشعرون"[1] .

وهذه اللغة التي دعا المازندراني العالم لاتخاذها لغة رسمية للعالم كله هي اللغة الفارسية، وهذه الدعوى لم يدع إليها أحد من السابقين. وقد بين القرآن أن الله خلق البشر مختلفين في أشياء كثيرة من جملتها اللغة، فكيف لهذا الدعي الجاهل يدعو لهذا الأمر المستحيل .

4. **دعوى السلام العالمي** : ظانين أنهم بدعوتهم إلى إلغاء الجهاد ونبذ الحروب والتعايش السلمي يقدمون معروفاً للبشرية، لقد سبقهم الرسل والأنبياء والمصلحون .

وحينما جعل الله الجهاد سنام الإسلام وعموده، لعلمه سبحانه لما في ذلك من عزة للإسلام والمسلمين، ودفع للمعتدين والمفسدين والمحتلين .

إن تحريم المازندراني للجهاد هي خدمة للمستعمر البريطاني ثم الصهيوني، حتى يُمكن لهم في هذه الأرض، وهو بهذا يخالف الفطرة والأعراف والقوانين التي ارتضاها الناس على مدار تاريخهم .

5. **المساواة بين الرجال والنساء** : استخدم البهائيون المرأة للدعاية لمذهبهم، وقد كان لقرة العين (روزين تاج) دورٌ كبيرٌ في نشر المذهب .

وهم بهذه الدعاية إنما يخدعون الناس، ظانين أنهم سيُقبلون عليهم معتقدين بدينهم، تابعين لهم، إن البهائية لا تستطيع أن تقدم للعالم ما قدمته المذاهب الاجتماعية، والمذاهب الفلسفية، ومن قبلها الأديان السماوية .

لقد نافق البهاء ومن جاء بعده المرأة نفاقاً كبيراً وأسمعوها كلاماً معسولاً جميلاً، لكن التطبيق خالف ما قالوا، فوجدناهم يظلمونها ظلماً شنيعاً، وجارت عليها أحكام شريعتهم، وأما دعوتهم للمساواة ما هي إلا لمجرد مخالفة الإسلام ليس إلا[2] .

والعجيب أن تساوي بين الذكر والأنثى في الميراث، في حين حرمها حقها من السكن والأثاث والدور، هذه أهم الدعايات التي يظهر بها البهائيون أمام العالم، لكن حقيقة عقيدتهم وشريعتهم شيء آخر مختلف .

---

(1) الأقدس : البهاء، فقرة 252 .
(2) العقيدة والشريعة : جولد زيهر، ص247 .

ثانياً : عقائد البهائية :

1. **عقيدتهم في الإلهيات :**

- **القول بالحلول والاتحاد :** يقول البهاء : "قل لا يُرى في هيكلي إلا هيكل الله، ولا في جمالي إلا جماله، ولا في كينونتي ولا في ذاتي إلا ذاته، ولا في قلمي إلا قلمه العزيز المحمود، فلم يكن في نفسي إلا الحق ولا يُرى في ذاتي إلا الله"[1] .

فهذا نص واضح يعتبر البهاء أن ذاته اتحدت بذات الله وأن الله حل في ذاته روحاً وجسداً، وهذا الذي يقوله البهائيون كفر صريح أشد من كفر النصارى وكفر اليهود، وهذا القول هو من البهتان والزور، والله منزه بذاته وصفاته وأسمائه[2] .

- **القول بوحدة الوجود :** يقول داعية البهائية الجرفاذقاني : "إن مظاهر أمر الله كلهم مظاهر حقيقة واحدة، وهم جميعهم في حكم إنسان منفرد، ونفس منفردة، أولهم عين آخرهم، وسابقهم عين لاحقهم"[3] .

هذه هي عقيدتهم في وحدة الوجود، وهي مبعث الضلال والفساد، فهي : "نحلة قامت على أساس أنه ليس لله وجود مطلق بأسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه في كتبه، بل أن وجوده تعالى مفتقر عندهم إلى مظاهر أمره الذي جاء بزعمهم ليبشروا بمظهره الأبهى الذي لقبوه بهاء الله"[4] .

- **قولهم بتناسخ الأرواح :** وهي فكرة وافدة من أفكار الهنود، قالت بها فرق الشيعة، يقول البهاء : "ويقومون على صراط الأمر المبرم الرباني وهم في حكم نفس فردة وذات واحدة"[5] .

"ومن هذا المنطلق جعل آدم هو عين نوح وعيسى هو موسى ومحمد هو عيسى، فالأنبياء في حكم نفس فردة وذات فردة"[6] .

- **القول بإلوهية البهاء :** يؤمن البهائيون إيماناً راسخاً أن البهاء إله معبود، يتوجهون إليه بالدعاء والعبادة، يقول البهاء : "اقتضى واسع رحمة من سبقت رحمته كل شيء أن يبعث جواهر القدس النورانية من عالم الروح الروحاني في الهياكل الإنسانية إلى الخلق

---

(1) بهاء الله والعصر الجديد : أسلمنت، ص50 .
(2) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ابن تيمية، مطبعة المدني، القاهرة، الأولى، 1994م، 19/1 .
(3) البهائية تاريخها وعقيدتها : عبد الرحمن الوكيل، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1962م، ص211 .
(4) البهائية : محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1375هـ، ص2 .
(5) الإيقان : البهاء، ص138 .
(6) المصدر السابق : البهاء، ص138 .

والعالم الجسماني حتى ينبؤهم عن شؤون ذات الأزلية وأسماء وصفات وحقوق وسماء ساذج القومية، ويحاكون من حيث أنهم مرايا القدسية ومطالع الهوية"[1] .

ولكن كيف للعالم بعد مقتل البهاء، من يقوم ويرعاه ويحفظه، سبحانك ربي عن هذا الهراء.

2. **عقيدتهم في النبوات :**

- **الأنبياء والرسل عند البهائيين هم مظاهر الله تعالى:** وأن الله يفتقر إليهم ليتجلى لعباده من خلالهم وفيهم، وأنهم جواهر قدس نورانية، وهم مهما اختلفوا في أشكالهم وتعددت أسماؤهم هم جميعاً هياكل أمر الله : "هب أن الأنبياء ظهروا في أقمصة مختلفة وتشكّلوا بالأشكال المتعددة، أليس الجميع هياكل أمر الله"[2] .

فالنبي الأول هو ذاته النبي الأخير .

- **قولهم ببطلان القول بختم نبوة** محمد صلى الله عليه وسلم : الختم عند البهائيين هو المهر الذي تمهر به الرسائل والكتب، ومحمد خاتم لأنه هو المصدر للأنبياء والرسل من قبله، والختم أيضاً هو الزينة، ومحمد زينة الأنبياء جميعاً[3] .
- **موقف البهائية من الوحي :** هو عبارة عن المعاني التي تنحبس في قلب مظهر أمر الله بوساطة الروح القدس المتجلي فيه، ثم تظهر على هيئة الكلمات من لسانه وتنسبك في قوالب الألفاظ بنطقه وبيانه .

وهذا معناه أن الوحي ينبع من داخل نفس المظهر الذي هو البهاء لأنه هو الله غير أن المعاني صادرة عن ربوبيته أما الألفاظ فعن بشريته[4] .

فالبهائيون ينكرون أي طريق للوحي خارج الوحي بالمعنى .

وهذا عندنا مخالف لصريح القرآن وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، وجبريل حقيقة واقعية وهو جزء من عقيدة كل مسلم وإنكارها كفر، فهو من المعلوم من الدين بالضرورة[5] .

- **موقف البهائية من المعجزات :** من المآزق التي وقع فيها الباب والبهاء على حد سواء أنهما لم يجدا شيئاً يستندان عليه في موقفهما من المعجزات أو الكرامات .

"لهذا يرى البهائيون أن المعجزات الحسية ليست قرينة قوية على صدق الأنبياء والمرسلين، فالمعجزة عندهم ليست شرطاً في النبوة أو في الدلالة على صدق النبي"[6] .

---

(1) المصدر السابق : البهاء، ص88 .
(2) الإيقان : البهاء، ص147 .
(3) الإيقان : البهاء، ص140
(4) البابية والبهائية : عبد الرحمن الوكيل، ص223 .
(5) انظر : نبوة محمد في القرآن : حسين ضياء الدين، ص165 .
(6) البهائية : عامر النجار ، ص84 .

ويقول داعية البهائية الجرفادقاني : "على فرض صحة هذه المعجزات فإنه لم يرها إلا أعداد قليلة من أقوام هؤلاء الأنبياء، فهي غير مقنعة لغيرهم"[1] .

3. عقيدتهم في السمعيات :

ينكر البهائيون يوم القيامة، وما يحدث فيه من قيام وحشر وحساب وجنة ونار، "فالمراد من كل ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ القيامة والساعة والبعث والحشر والنشر وما جرى مجراها إنما هو ظهوره (الباب) بالأمر وقيامه بالدعوة، وأن الجنة كناية عن الدخول في دينه، والنار كناية عن الكفر به، واليوم الآخر كناية عن يوم ظهوره، ولقاء الله تعالى كناية عن لقائه والنفخ في الصور كناية عن الجهر بدعوته والمناداة بها، وصعق من في السماوات والأرض كناية عن نسخ الأديان بدينه وقيام أمته مقام الأمم"[2] .

يقول الشيرازي : "إن قيامة البيان تقوم يوم ظهور من يظهره الله، واليوم الذي يظهر فيه المظهر الإلهي الآخر هو نفس يوم البعث والحشر للجميع من قبورهم"[3] .

وهكذا الحديث عن كل أحداث يوم القيامة إخراجها عن ظاهرها إلى تأويل ممجوج غير مقبول.

وهذه العقيدة التي يعلن عنها الباب هي كفر صريح وخروج عن عقيدة الإسلام جملة وتفصيلاً، والمتأمل في العقيدة البهائية في موضوع السمعيات يجد أنها نفس عقيدة البابية، لم يتغير عندهم فيها شيء، فقط استبدال البهاء بالباب.

والقيامة عند البهائيين قيامتان :

الأولى : انتهاء أمر كل رسول وأمته عند بعث رسول آخر جديد، فانتهاء أمة الرسول الذي كان قبل بعث إبراهيم عليه السلام قيامة كبرى بالنسبة لها، وهكذا مع كل رسول وأمته .

الثانية : انتهاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ببعث البهاء، وهذا اليوم هو أعز الأيام وأشرف الأزمان وأن هذا اليوم عبارة عن يوم قيام القائم[4] .

وحديث البهائيين عن الحساب والجزاء حديث غريب وعجيب، وإنما هي أمور معنوية روحانية لا تتعلق بالأجساد .

أما عن عقيدتهم في الجنة والنار : فالجنة هي حالة الكمال، والنار حالة النقص .

والجنة هي الانقياد لإرادة الله والوفاق مع الناس، والنار هي الموت الروحاني، فسرور الجنة ونعيمها أمر روحاني وآلام الجحيم عبارة عن الحرمان من هذا النعيم[5] .

---

(1) الدرر البهية : محمد الجرفادقاني، مطبعة السعادة، القاهرة، 1925، ص104 .
(2) الحراب في صدر البهاء : محمد فاضل، ص221 .
(3) البيان : الباب الشيرازي، الباب السابع من الواحد الثاني، ص195 .
(4) انظر : الإيقان : البهاء ص131 .
(5) انظر : بهاء الله والعصر الحديث : أسلمنت، ص186 .

وهذا الذي يتكلم عنه البهائيون هو مخالف كلياً لما عليه عقيدة الإسلام، ولما ورد في القرآن والسنة من حديث واضح وصريح وقاطع عن جنة ونعيم مادي حسي جسماني، وكذلك نار مادية حسية جسمانية : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**. (سورة التحريم : 6)، وحديث النبي عليه الصلاة والسلام : "**إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه**"[(1)] .

إن إنكار البهاء وأتباعه لكل ما جاء من الأدلة والبراهين على الآخرة وما فيها، إنما هو من باب المكابرة والمعاندة ليس إلا، وهو نتاج الهوى الذي تلاعب في عقولهم وعقائدهم .

فإن الإيمان بالآخرة خير عامل لبناء الإنسانية الضالة، وهدايتها والأخذ بيدها إلى المقامات المعنوية السامية، فتحريف هذا الأصل والركن الركين يُعد لوحده خيانة كبرى بحقها وبحق الظمأى إلى تلك المقامات"[(2)] .

هذا عرض سريع لعقائد البهائية والبابية، وبيان لما لهم فيه من ضلال وإضلال .

[(1)] أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح (6561)، 2052/4 .
[(2)] البابيون والبهائوين : همايون همتي، دار الهادي، بيروت، الأولى، 1993م، ص85 .

المطلب الثالث

موقف مصطفى محمود من البهائية

لم تقتصر جهود مصطفى محمود على مواجهة الفكر الغربي الوافد، وبيان ضلاله وفساده، وبالتالي إظهار الحق المتمثل في الإسلام وعقائده وأخلاقه وقيمه، فقد واجه الماركسية والوجودية والفرودية والداروينية والعبثية والبراغماتية .

ومع هذه الجهود العملاقة إلا أننا نجده أيضاً يقف سداً منيعاً أمام الاختراق من الداخل، من داخل البيئة الإسلامية والشرقية، فيقف في وجه الأفكار والمعتقدات المنحرفة، الصادرة عن أفواه تتكلم العربية وترفع أحياناً رايات الإسلام .

لقد رأى مصطفى محمود في البهائية خطراً عظيماً يهدد مقومات العقيدة الصحيحة السمحة، فقام يبين زيفها ويكشف اللثام عن مؤامراتها مع العدو المحتل والمستعمر البغيض .

1. موقفه من البابية :

بدأ مصطفى محمود حديثه عن البيئة التي ظهرت فيها البابية، كربلاء[1] القديمة (أجواء أسطورية وأشواق ملتهبة)، ومساجد يجلس فيها شيوخ ليس لهم حديث إلا قرب ظهور الإمام الغائب، وبكاء ودعاء وصلاة حتى يظهر، مشاعر فياضة قد لا يستطيع الإنسان أن يسيطر عليها، في هذا الجو أعلن علي محمد نفسه الباب للمهدي المنتظر وصدّقه الشيوخ والمشائخ وكأنهم كانوا ينتظرون هذه اللحظة[2] .

وبلا أدنى شك مؤامرات استعمارية روسية بريطانية تلعب دوراً كبيراً خفياً حيناً وظاهراً أحياناً، وفي حالة من غياب العلم الصحيح، واختلاط الحق بالباطل، وجهل العامة، وظلم السلاطين، في مثل هذه الحالة لا بد أن يظهر المدّعون الكاذبون والمشعوذون[3] .

يتساءل مصطفى محمود جملة أسئلة "لا أدري لماذا سمى السيد ميرزا رسالته ديناً، وأطلق عليها الديانة البهائية، وقال إنها أُلقيت إليه من الله، لماذا لم يُسمها وجهة نظر اجتماعية ألفها تأليفاً كما يؤلف المؤلفون أفكارهم بوحي الخاطر والهوى ..

إنها اختلاقات النبي الذي أراد أن يدخل منتدى الأنبياء بلا مؤهلات، ويتسلل إلى مائدة الخالدين دون أن يُمتحن، فأنكر المعجزة والغيب حتى لا يطالبه أحد بأوراق اعتماده من السفارة الإلهية التي ادعاها"[1] .

---

[1] مدينة كربلاء : تقع في وسط العراق، مركز محافظة كربلاء، تبعد عن العاصمة بغداد (88) كم، استشهد فيها الحسين رضي الله عنه سنة 61هـ، وفيها ضريحه، من المدن الدينية المهمة عند الشيعة. (موسوعة البعلبكي : البعلبكي، 37/6) .

[2] انظر : حقيقة البهائية : مصطفى محمود ، ص14 .

[3] المصدر السابق : مصطفى محمود ، ص22 .

2. انتقاد مصطفى محمود لكتاب البيان :

يقول الباب : "أنا أفضل من محمد كما أن قرآني أفضل من قرآن محمد"[2] .

إن كتاب البيان أبعد ما يكون عن البيان، بل هو عماية وتخليط وركاكة، وكمٌ هائل من الأخطاء النحوية، لهذا يحرص أتباعه على إخفاء هذه الكتب لما فيها من أخطاء وفضائح[3] .

ولكن كيف لمثل هذا الهراء أن ينتشر في بلاد العالم المتقدم؟ يجيب مصطفى محمود : "وقد انتشرت هذه المذاهب في أوروبا وأمريكا لجهل الناس هناك بالعربية، ولأنهم لا يكشفون من مذاهبهم إلا البضاعة التي تروق في سوق الأجنبي، مثل المحبة والسلام ونبذ الحرب ووحدة العالم، ووحدة اللغات والمساواة بين الرجل والمرأة، وشرعية الاختلاط، وخلع الحجاب، ورفع التكاليف"[4] .

3. كذب البهاء :

يذكر مصطفى محمود أن البهاء كان من أكثر الناس كذباً : "وقد صدق نفسه من كثرة ما ادعى، ومن كثرة ما قال وكتب، فكان إذا مشى في الأسواق أسدل برقعاً على وجهه لأنه لا أحد يطيق النظر إلى نور وجهه، ولما مات منع البهائيون نشر صورته، ولما مات قال أتباعه صعد الرب (أي البهاء) إلى مقر عزه الأقدس الأعلى، وغابت حقيقته المقدسة في هويته الخفية القصوى"[5].

4. عمالة البهاء للاستعمار :

يبين مصطفى محمود أن البهاء كان على صلة بحكومات الاستعمار والجهات الأجنبية، وحينما قبض على رفاقه البابيين، وأُعدموا وأُحرقت قرة العين (زين تاج)، كان البهاء مختبئاً في السفارة الروسية، ورفض الوزير الروسي تسليمه، وقال إن الحكومة الروسية ترغب ألا يمسه أحد بسوء وأن يكون في حفظ وحماية تامة، وحينما قدم العراق، قدمت الحكومة البريطانية عن طريق سفيرها الجنسية الإنجليزية للبهاء، ونقلتهم إلى الهند، لكنها وجدت أن الهند ليس مكاناً مناسباً له ولرفاقه، ثم سهلت له الانتقال إلى فلسطين ومنحته لقب "سير"[6] .

5. فضح علاقته مع اليهودية الصهيونية :

علاقة البهاء ومن جاء من بعده باليهودية الصهيونية لم تكن أمراً خفياً، بل كانوا يتباهون في إظهارها، "ونلتمس أثر التوجه اليهودي في الديانة البهائية كلما تعمقنا أكثر في تعاليمها،

---

[1] القرآن محاولة لتفسير عصري : مصطفى محمود ، ص157 .
[2] مفتاح باب الأبواب : علي الشيرازي، ص22 .
[3] حقيقة البهائية : مصطفى محمود، ص37 .
[4] المصدر السابق : مصطفى محمود، ص37 .
[5] المصدر السابق : مصطفى محمود، ص62 .
[6] المصدر السابق : مصطفى محمود، ص66 .

ونفهم الدوافع أكثر حينما نتعمق أكثر وأكثر في كلمات عبد البهاء وفي قوله إن أكثر فلاسفة اليونان تعلموا الحكمة من بني إسرائيل، إن رسالة البهائية هي توحيد المسلمين والنصارى واليهود على أصل نواميس موسى، وأن عمل موسى لا يساويه عمل في التاريخ، وسوف يأتي يوم لا يجد الناس كتاباً ينقذهم إلا نواميس موسى .

ويطلق عبد البهاء على نفسه اسم "غصن" مشيراً بذلك إلى ما جاء في التوراة (ويخرج غصن من جذع يسى أي من ذرية داود يرفع العلم الإلهي على جميع الأمم)[1] .

والبهائيون يعتبرون أن ظهور البهاء هو تعمير أورشليم حيث يستقبل مرفأ حيفا ألوفاً من الرجال والنساء المهاجرين إلى فلسطين .

وقد أبطل البهاء في أول بشارة له الجهاد، وقدّم ذلك خدمة للإنجليز ولليهود[2] .

6. نقد مصطفى محمود لفكرة توحيد اللغات في لغة واحدة :

وهي التي دعا إليها البهاء من أجل أن يُوحد العالم "كلام البهاء عن توحيد اللغات هو كلام خيالي وغير عملي، وأي لغة سيتوحد تحتها العالم، أهي لغة الإسبرانتو؟[3] وماذا يبقى من كتبهم البيان والأقدس والإيقان بعد أن تترجم إلى الإسبرانتو؟، ومن سيفرض على العالم لغة الإسبرانتو وبأي قوة، وماذا ستجدي اللغة الواحدة .

إنها سذاجات حضرة النقطة"[4] .

إن القول الحق هو قول ربنا سبحانه وتعالى : **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾** (سورة هود : 118) .

وقوله تعالى : **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾** (سورة الروم : 22) .

لقد بذلت الدول الاستعمارية الجهود المضنية، والأموال الكثيرة من أجل أن تحرف الإسلام عن مساره، ومن أجل أن يطيلوا من مدة بقائها في ديار الإسلام والمسلمين، إلا أن الله يأبى ذلك، فتبقى راية الإسلام عالية، ويخرج المستعمر ذليلاً، وهم في كل يوم إلى ذبول، والإسلام في كل يوم إلى عز .

وهكذا انتهت مؤامرة البهائية والقاديانية، دون أن تصيب الإسلام في مقتل .

---

(1) على خط النار : مصطفى محمود، ص55 .

(2) من أسرار القرآن : مصطفى محمود، ص36 .

(3) **الإسبرانتو** : لغة مصطنعة سهلة، اخترعها لودفيغ أليعزر زامنهوف كمشروع لغة اتصال دولية عام 1887 م .(ويكيبيديا، الموسوعة الحرة)

(4) حقيقة البهائية : مصطفى محمود، ص68 .

المبحث الخامس

موقف مصطفى محمود من الداروينية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بداروين والداروينية .

المطلب الثاني : كشف مصطفى محمود لزيف الداروينية .

المطلب الأول

التعريف بداروين والداروينية

أولاً : داروين : تشارلز روبرت (1809–1882م)، عالم طبيعي إنجليزي .

ولد في أسرة راقية متعلمة، درس الطب في جامعة أدنبرة حسب رغبة أبيه، بعدها درس العلوم وتخصص في التاريخ الطبيعي، اهتم بدراسة الجيولوجيا وعلوم النبات، قام برحلة بحرية استغرقت خمس سنوات، كانت هذه الرحلة سبباً في بداية حياة الاستكشاف والبحث .

في عام 1859م، وضع كتابه "أصل الأنواع"، وفي عام 1871م، وضع كتابه "أصل الإنسان والانتخاب بالنسبة للجنس"، أثر في المذاهب الفلسفية والاجتماعية كثيراً، وله تأثير في الدراسات الدينية .

اتصفت نظريته بالمادية الجدلية، وكان يشتهر بإلحاده الشديد، أثرت نظريته على زعزعة القيم الدينية وتركت آثاراً سلبية على الفكر العالمي من بعده .

لم يكن داروين يهودياً، إلا أن اليهودية الصهيونية استغلت أبحاثه استغلالاً كبيراً، حيث أن بروتوكولات صهيون ركزت على تأثيره "لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، ولاحظوا هنا نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي سيكون واضحاً لنا على التأكيد"[1] .

ثانياً : الداروينية :

من الموضوعات الكثيرة التي تهم الإنسان، ويعمل جاهداً على أن يعرف سرها، أصل الحياة، وكيف نشأت، وأصل الإنسان، لهذا كان لنظرية داروين صدٌ كبيرٌ على كل الصُّعد العلمية والاجتماعية والدينية والثقافية، فقد شغلت العالم ولا تزال تشغله، ذلك لأنها نظرية تريد أن تقدم تفسيراً لأصل الإنسان، بل لأصل الحياة، ونشأتها على الأرض، وبلا شك أن هذا الموضوع يهم الإنسان كثيراً، فهو يهمهم من ناحيتين : من الناحية العلمية، ومن الناحية الدينية[2] .

وتقوم نظرية داروين في التطور على أن الكائنات الحية تسير في تطورها من الخلية الأولية التي أصلها مواد عضوية تحولت هذه الخلية الأحادية الحية إلى الأشكال المتعددة التي لا حصر لها من أشكال الحياة، وأن هذا التحول كان صدفة، تم في مراحله المتأخرة كان عن طريق الانتخاب الطبيعي .

---

(1) انظر : موسوعة المورد : البعلبكي ، 155/3، والموسوعة السياسية : الكيالي، 1642/2، وموسوعة الفرق والأديان : دربالة، 243، والموسوعة العربية الميسرة : 774/1 .

(2) داروين ونظرية التطور : شمس الدين بلوت، ترجمة أورخان محمد علي، دار الصحوة، القاهرة، 1980م، ص5 .

والإنسان بما هو عليه الآن في مكونات جسمه وهيئته هو في قمة هذا التطور، وأن بقاء بعض الأنواع وانقراض بعضها الآخر يرجع إلى ظاهرة الصراع من أجل البقاء، فالبقاء يكون للنوع المكافح الأفضل، والعضو الذي يهمل أو لا تبقى له وظيفة يضمر شيئاً فشيئاً حتى يضمحل ولا يبقى منه إلا أثر يدل عليه، وقد لا يبقى له أي أثر[1] .

وقد سحب الداورينيون نظريتهم هذه من عالم الأحياء حتى عمّموها على الوجود كله، المجرات والنبات والحيوان، حتى أصبح مذهباً يدين به العلماء .

وهذا الذي جاء به داروين ليس أمراً جديداً على العلم والعلماء، فهذه الأقوال قال بها فلاسفة اليونان الأقدمون (أنيكساماندر)، وقال بها القديس (أغوسطنيوس)[2] .

موقف العلماء من نظرية دارون:

وموقف العلماء من نظرية داروين هو أن ما جاء به داروين هو فرضيات لا ترقى إلى مستوى النظرية، وأنه لم يوجد أي دليل واقعي مشاهد ولو معملياً يرجح صحة هذه الفرضية، ولو بمثال واحد من الأمثلة التي يصح الاعتماد عليها كأساس للتطور المقرر في النظرية المدعاة أو المتخيلة[3] .

ولعل أخطر ما جاء في نظريات تطور الأنواع الحية العلمية هو القول بأن الإنسان يأتي طرفاً نهائياً في سلسلة كائنات حيوانية اختلفت عناصرها المتعاقبة تدريجياً، ولكن من الثابت العلمي حتى الآن غياب الدلائل الحسية القاطعة في الانتقال من مرحلة حيوانية معينة قبل الإنسان إلى مرحلة الإنسان الحيوان العاقل .

من هنا كان تأثير نظرية التطور على سلوك الناس، وكان أهم ما أخذ عنها دعوة الإنسان إلى النمو والانتشار الذاتي مستلهماً مبدأ الصراع لأجل الحياة، وجاء هذا المبدأ منسجماً مع روح الفردية، إلا أن الصراع لأجل الحياة أفضى إلى نتائج أنانية قاتلة[4]، كان نتائج هذه النظرية صراع وحروب عالمية وثورات شيوعية وأحزاب وجماعات عبثية ووجودية .

والخطورة في نظرية التطور أنها تقرر حيوانية الإنسان وماديته، والتي تنفي القصد والغاية من خلقه، وتنفي التكريم الرباني له بإفراده بين الكائنات الأخرى بالعقل والقدرة على الاختيار والقدرة على التمييز فضلاً عن المزايا الأخرى الإنسانية .

فخطورة أن يكون أصل الإنسان حيواناً أو هو امتداد لسلسلة التطور الحيواني، هنا لا قيمة للعقيدة ولا مكان للقيم الأخلاقية .

---

(1) كشوف وزيوف : الميداني، ص318 .
(2) الموسوعة السياسية : الكيالي، ص642/2 .
(3) كشوف وزيوف : الميداني، ص321 .
(4) الموسوعة الفلسفية العربية : معن زيادة، معهد الإنماء العربي، الأولى، 1986م، ص273 .

إن فكرة التطور وما ينتج عنها من قيم لعبت بها اليهودية الصهيونية حتى وصلت من خلالها إلى مجتمعات بلا دين أو قيم أو أخلاق[1] .

الآثار السلبية لنظرية داروين :

1. من أخطر ما أثرت نظرية داروين أن نقلت الحياة في المجتمعات الإنسانية من الروحانية نسبياً، إلى المادية المطلقة، فلم تعد القيم الإنسانية والأخلاقية ذات قيمة في العلاقات بين الأفراد وبالتالي انتقلت إلى علاقات الشعوب والحكومات، وبالتالي ظهرت فلسفات مادية إلحادية، أوصلت الشعوب إلى الحروب الطاحنة، وما الحرب العالمية الأولى والثانية إلا نتاج هذا الفكر.

2. أيضاً حرفت الناس ناحية الإلحاد والكفر بالقيم الدينية والعقائد، وأصبح العلم هو الإله المعبود .

3. أخذت هذه النظرية الناس إلى اليأس والتشاؤم والضياع، وظهرت مذاهب فلسفية ومذاهب فكرية وأدبية تدور في فلك هذه القيم .

4. مهدت هذه النظرية الطريق لظهور مدارس ومذاهب مثل فرويد صاحب مدرسة التحليل النفسي, وسارتر منظر الوجودية الملحدة, وماركس صاحب النظرية المادية والشيوعية الإلحادية، ودوركايم ونظرياته الاجتماعية[2] .

هذه النظريات أفسدت على الإنسان فطرته, ومسخته إلى قرد وخلية أولية, كل ذلك بعد أن كرّمه الله سبحانه, وخلقه على أحسن صورة .

موقف الفكر الإسلامي من نظرية التطور :

إذا كانت النظرية المراد منها التطور الذاتي الذي لا يخضع لقدرة الله وخلقه وإرادته فهي مرفوضة كلياً، ولا مجال لمناقشتها .

ثم نشأة الحياة الأولى هي سر من أسرار الخلق، لم يُطلع الله عليه أحد من خلقه : **﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾**. (سورة الكهف : 51)، والقرآن يدعو الإنسان إلى النظر الهادئ في الخلق من خلال الإيمان بقدرة الخالق سبحانه تعالى : **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**. (سورة العنكبوت : 20) .

---

[1] انظر : مذاهب فكرية معاصرة : محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الأولى، 1983م، ص97 .
[2] انظر : الموسوعة المفصلة : 919/2 .

صورة خلق الإنسان : هناك صورتان لخلق الإنسان :

إحداهما : خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها وأسجد له ملائكة السماء، خلقه في أحسن تقويم وخصه بالتكريم بين العالمين، حرّم دمه وماله وعرضه إلا بالحق، أرسل إليه رسله وأنزل عليه كتبه، فهيأه بذلك للكمال وأعده لسعادة الحال والمآل، أخبر عن خلقه وتكوينه وكرامته ومآله، وخالقه وأنبيائه الذين أرسلوا إليه .

الثانية : خلق بواسطة النشوء والارتقاء في أقبح صورة، ثم تدرج في ملايين السنين إلى أن أصبح قرداً ثم ترقى إلى حيوان أرقى من القرد في ملايين أخرى من السنين، ثم صار إنساناً بعد ملايين السنين، أخبر عن خلقه ونشوئه وتكوينه كبار الملاحدة وشرار الناس، وأكثرهم فساداً وفجوراً، ومآله الهلاك والدمار فلا خلود له ولا بقاء[1] .

فأيهما أكرم، وأيهما أفضل، وأيهما الحق ؟

بلا أدنى شك فإن من يرفع من قدر هذا الإنسان والذي تعترف كل الديانات أنه خليفة الله في الأرض، وأن الله خلقه على أحسن صورة؛ بلا شك هذا يكون أكرم وأفضل وأليق من قول الذين يقولون إن أصل الإنسان قرد، **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناه في البر والبحر)**، ثم ما المستفاد من هذا القول؟ الحقيقة العلمية، وماذا ستفيد مثل هذه الحقائق العلمية؟

هناك الكثير من موضوعات البحث والتي يُنفق عليها الملايين دون أن يكون لها طائل أو منفعة، إن العلم النافع هو العلم الذي يضيف إلى رصيد الإنسانية شيئاً جديداً نافعاً

[1] انظر : إنسان المؤمنين وإنسان الملحدين : محمد ماضي أبو العزايم، دار الكتاب الصوفي، القاهرة، الأولى، 1993م، ص12 .

المطلب الثاني

كشف مصطفى محمود لزيف الداروينية

مع بدايات القرن العشرين، وزيادة الانفتاح المصري والعربي على بلاد الغرب وخصوصاً بريطانيا وفرنسا، انتقل كثير من فكر ومذاهب هذه البلاد إلى الوطن العربي، عن طريق الطلاب العرب الدارسين في بلاد الغرب، أو عن طريق الترجمة التي قام في أغلبها رجال غير متخصصين فيها، أو من باب الغزو، ومن الأفكار والمذاهب والنظريات التي نُقلت نظرية داروين، وكان من أكبر المتحمسين لنقل ونشر هذه النظرية رجلين أحدهما نصراني ملحد وهو شبلي شميل(1)، وآخر ادعى النهضة ونشر العلم وهو إسماعيل مظهر(2) .

وقد تلقف القراء وطلاب العلم هذه النظرية وخصوصاً من كانت ثقافتهم الإسلامية بسيطة، تلقفوها وكأنها أخرجتهم من بحر الظلمات والتيه إلى شاطئ الأمان والمعرفة .

ومن ضمن من انبهر بهذه النظرية الدكتور مصطفى محمود، إلا أن تخصص دراسة الطب وقف حاجزاً بينه وبين الاقتناع بهذه النظرية .

يرد مصطفى محمود بأن خطأ داروين أنه قال إن عوامل التطور هي عوامل داخلية وأن الحياة تتقدم بحوافز باطنية، دون يد هادية ترشدها، تتقدم بفعل الآليات المادية داخلها، لمجرد أنه لا يرى يد الصانع الخالق(3) .

ثم يستطرد قائلاً : "إذا انتقلنا إلى كلام العلم عن مبدأ الحياة، فنحن أمام إجماع بأن الحياة بدأت من الماء، لا أحد يعرف كيف نشأ من الماء والتراب .

وإذا جئنا إلى مبدأ الكون كله، بنجومه وشموسه وكواكبه فنحن أمام إجماع من علماء الفلك بأن كل شيء نشأ من الهواء من سحب الغاز والتراب الأولية، تكاثفت هذه السحب من الغاز والتراب بفعل الجاذبية بين ذراتها إلى أنوية في الوسط هي الشموس وإلى تكثفات أصغر حولها هي الكواكب"(4) .

خطأ داروين :

ما قاله داروين من أن الأنواع انحدرت من أصل واحد وأنها تباينت إلى شجرة الفصائل والأنواع نتيجة تباين الظروف والبيئات، كانت احتمالاً مرجحاً أقرب إلى الصحة تقوم عليه

---

(1) شبلي الشميل : (1850-1917م)، لبناني مسيحي سكن مصر ،تخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت، كان أول من أدخل نظريات داروين إلى العالم العربي من خلال كتاباته في المقتطف، ثم مؤلفه (فلسفة النشوء والارتقاء)، دافع عن العلمانية كنظام سياسي. (ويكيبيديا : الموسوعة الحرة).

(2) إسماعيل مظهر : (1891-1962)م، مفكر مصري ليبرالي، ولد بالقاهرة لأسرة تنحدر من أصول تركية، اشتغل بالتأليف ورأس تحرير المقتطف ترجم كتاب أصل الأنواع لداروين ونشره 1918م، دعا إسماعيل مظهر إلى الفكر الحر. (ويكيبيديا : الموسوعة الحرة).

(3) القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود، ص60 .

(4) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص60 .

الشواهد، فالوشيجة العائلة تربط كل الخلائق بالفعل، والتشريح يقول إنها ترتبط ببعضها بصلة رحم وقربى.

أما حكاية أن الترقي حدث بالحوافز الحياتية وحدها وبدون يد هادية فلم تعد مقنعة وسقطت من غربال الفكر المدقق المحقق[1] .

ومن خطأ داروين أنه فهم الحياة كمادة وفسر التطور بدوافع مادية، ولكن الواقع يؤكد في جميع الأحوال شيئاً أكثر من هذا، فالحياة ليست مجرد مادة مندفعة لتوكيد ذاتها وفرض سيادتها على البيئة، وإنما الحياة فيها شخصية وجمال، وكل نظرية تفسر الحياة كمادة دون أن تفسرها كقيم جمالية هي نظرية ناقصة[2] .

علاقة نظرية داروين بالدين :

أنكرت النظرية الداروينية المادية أي تدخل من الخارج، وأي يد هادية مرشدة تقود الحياة وتهديها في رحلة الملايين من السنين، وقالت إنه لا شيء يقود الحياة العمياء سوى مصلحتها الحياتية في أن تبقى، وها نحن نرى أن هذا غير صحيح، وأن النسيج الحي يشف في كل تفاصيله عن هذه اليد الهادية للفنان المبدع والرسام القادر على كل شيء، خالق الأزل، الذي يخلق للخلق ويجمل للجمال .

إنها فجوة واسعة يعود الدين فيدخل منها من جديد .

إن نظرية داروين ثوب نظري جميل ولا شك، ولكنه مليء بالخروق، ومن الخطأ العلمي أن نأخذها على أنها يقين ومن الواجب أن ننظر إليها باعتباره نظرية أو احتمال أو فرض[3] .

والباحث يقف عند كلام الدكتور عن (اليد الهادية للفنان المبدع والرسام القادر على كل شيء)، هذا الوصف لا يجوز مع الله سبحانه وتعالى، لأنه لا يجوز وصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ومثل هذه الأوصاف هي أليق بالإنسان وليس بخالق الإنسان .

إن القرآن الكريم يزودنا بما لم يقله العلم فيطلعنا على بعض الغيب : **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾**. (سورة التين : 4) .

فقد خلق الله آدم في البدء في أحسن تقويم، كاملاً لا عيب فيه، وخلق له من نفسه زوجة هي حواء وأسكنه الجنة وأسجد له الملائكة، وهو من قبيل الغيب المطلق الذي يرويه لنا القرآن الكريم، ولا نحيط به بعلمنا .

---

(1) المصدر السابق : مصطفى محمود، ص75 .
(2) انظر : مصطفى محمود، ص86 .
(3) انظر : المصدر السابق : مصطفى محمود، ص88 .

ويلخص لنا مصطفى محمود أهم نقاط الخطأ في نظرية داروين وهي متمثلة في :

1. أخطأ في تفسيره لعملية الارتقاء، وهي من خلال العوامل المادية التلقائية الذاتية وحدها، ثم تبع هذا الخطأ خطأ آخر وهو تصوير مراحل هذا الارتقاء .

2. الخطأ الثاني كان من أتباع نظريته، حينما قالوا بنظرية الطفرة والتي تظهر من خلال تزاوج الخلية الأنثوية بالخلية الذكرية فينتج عنها صفات ضارة وتشوهات، والخطأ هنا كان لأنهم ألغوا تماماً أمر الإبداع والتدبير .

3. الخطأ الثالث كان من خلال اكتشاف الخريطة الكروموسومية، أي خريطة الجينات والتي تقول أن لكل حيوان خريطة خاصة به تختلف عن أي حيوان آخر .

خلاصة القول إن نظرية داروين تعثرت أمام الاكتشافات العلمية الحديثة والأكثر تطوراً[1] .

وهكذا كما عودنا مصطفى محمود أن يكون من خيرة من يدافع عن الحق المتمثل في دين الإسلام وعقيدته .

---

[1] انظر : حوار مع صديقي الملحد : مصطفى محمود، ص99 .

المبحث السادس

موقف مصطفى محمود من الحضارة الغربية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : معالم الحضارة الغربية .

المطلب الثاني : موقف مصطفى محمود من الحضارة الغربية .

المطلب الأول

معالم الحضارة الغربية

حينما نتحدث عن الحضارة الغربية فإنما نقصد بها الغرب كله أوروبا وأمريكا وروسيا ومن سار في ركبهم وانتهج منهجهم، فهي ليست مصطلحاً جغرافياً، إنما ذات مدلول فكري وثقافي وعقائدي .

والحضارة في لغة العرب : الإقامة في الحضر[1]، فهي في مقابل البداوة.

أما في الاصطلاح فالحق أن العرب لم تستعمل هذا المصطلح قبل ابن خلدون كمصطلح ذي مدلول فكري وثقافي : "يكاد يكون ابن خلدون أول من نبه إليها واستخدمها في مقدمته، إلا أن اصطلاحه الذي كان يستغني به معظم الأحيان عن هذه الكلمة بقوله (العمران البشري)، الذي يقابل الحضارة البشرية"[2] .

ويعرفها ابن خلدون بأنها : "تفنن في الترف وإحكام المصانع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته، والتأنق فيه تختص به، ويتلو بعضها بعضاً، وتكثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ، والتنعم بأحوال الترف وما تتكون به من العوائد"[3] .

ومن التعاريف المعاصرة تعريف الدكتور محمد محمد حسين : "كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه عقلاً، وخلقاً ومادة وروحاً وديناً ودنيا"[4] .

والحق أن أي باحث لا يستطيع أن يُعرف الحضارة تعريفاً شاملاً، لأن كل تعريف ينطلق من قاعدة مختلفة.

وتعريف علماء الإسلام للحضارة تعريف شمولي تكاملي، لا يغفل جانباً من جوانب الحياة، ولا يلغي جانباً على حساب جانب آخر منطلقاً من قوله تعالى : **﴿وَعَدَ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾**.(سورة النور : 55) .

وبناء الحضارة الحقة يلزمها أن توازن بين مكوني الحضارة، وهما المكون المادي (المدنية)، والمكون الفكري والثقافي والعقائدي (الثقافة)، فالتفاعل بين هذين المكونين ينتج لنا حضارة متوازنة، وهذا ما رأيناه في الحضارة الإسلامية في عصورها الزاهية .

---

(1) لسان العرب : ابن منظور، 658/1.

(2) التفسير الإسلامي للتاريخ : عماد الدين خليل، دار العلم للملايين، بيروت، الأولى، 1978م، ص178 .

(3) مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص172 .

(4) الإسلام والحضارة الغربية : محمد محمد حسين، دار الفرقان، القاهرة، الأولى، ص6 .

أما إذا أغفلنا مكوناً من هذين المكونين على حساب الآخر، فبلا شك سيكون هناك خلل كبير، وهو ما نراه في الحضارة الغربية من جانب والحضارة العربية من جانب آخر .

الحضارة الغربية المعاصرة :

لا يستطيع الباحث المنصف إلا أن يعترف أن الحضارة الغربية تقدمت في جانب العلوم المادية تقدماً مبهراً، وبالتالي كان نتاج هذا التقدم أن امتلكت زمام الأمور على مستوى الكرة الأرضية بأكملها، تقدمت صناعياً وزراعياً وعسكرياً، وفي الجانب الآخر على مستوى الديمقراطية والحرية والفنون والآداب ووسائل الاتصال، فهذه كلها جوانب مضيئة في الحضارة الغربية .

إلا أن إغراق هذا التطور والتقدم بالروح المادية بشكل كامل بعيداً عن الجانب الروحي جعله ينحرف نحو الجانب المادي ويبالغ فيه .

أهم معالم الحضارة الغربية :

1. **أنها حضارة مادية بحتة:** ليس لها بُعد ديني أو عقائدي، بل هي منفصلة كلياً عن قضايا الدين والروح، "فالطابع المادي للحضارة الغربية قاسم مشترك بين كل مجتمعاتها، وعلى كل مراحل التاريخ في هذه الحضارة"[(1)] .

إلا أن الحضارة الإسلامية لا تفصل فيها الرؤية الروحانية عن المادية فكلاهما مكمل للآخر، دين ودنيا، روح ومادة .

2. **الرؤية الغربية للإنسان** : الإنسان هو سيد هذا الكون، وهو المتحكم فيه، ليس له مرجعية غير نفسه ورغباته، وهذا ما وجدناه متمثلاً في كل الفلسفات الغربية الماركسية والوجودية والبرغماتية والمثالية وغيرها .

وهذا بخلاف الرؤية الإسلامية التي تعتبره خليفة لله سبحانه وتعالى، وبالتالي فإن الإنسان في ظل الحضارة الغربية طليق من القيم والأخلاق لا تحكمه شريعة أو قانون إلا ما تعارف عليه من قوانين مدنية نظمت تعاملاته المادية.

بخلاف الإنسان في ظل الحضارة الإسلامية الذي تحكمه شريعة ربانية، وبالتالي ينتج عن هذا الخلل الكبير في الرؤية الغربية أن الإنسان لا يُسأل عما يفعل، فكل شيء مستباح له، فليس هناك سقف لحريته ورغباته[(2)] .

3. **النظرة الإلحادية في الحضارة الغربية** : فليس هناك اعتراف بوجود خالق لهذا الكون، وهذه أهم مرتكزات العلمانية التي لا تحتاج إلى الاعتراف بما وراء الطبيعة، وأن لهذا الكون مدبراً غيره، فالكون في نظرهم يدبر نفسه بنفسه وكذلك الإنسان .

---

(1) رؤية نقدية للحضارة الغربية : محمد عمارة، مركز الدراسات المعرفية (محاضرة) بتاريخ 2002/5/7م، القاهرة .

(2) انظر : المصدر السابق : محمد عمارة .

يخالف هذه النظرة الرؤية الإسلامية التي تؤمن بخالق مدبر لهذا الكون وبالتالي كل أمر في حياة المسلم ذو ارتباط بقيم علوية أخلاقية، ولهذا فإن الحضارة الإسلامية تعتمد على قاعدة تتمثل في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾. (سورة طه : 50) .

وبناءً على النظرة الغربية المادة فالعالم عندهم عالم مصالح ينقسم إلى شرق وغرب، وشمال وجنوب، وفقراء وأغنياء، ويستعلي الجنس الأبيض على البشرية، وترى أن من حقها السيطرة على مقدرات الأمم الملونة والفقيرة، وحرمان الأمم النامية من حق امتلاك ثرواتها وإقامة حضارتها الخاصة بها[1] .

أما عندنا في ظل الحضارة العربية الإسلامية فهي تستند على النص القرآني : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾. (سورة الحجرات : 13) .

إن النظرة الغربية هي نظرة عنصرية ملؤها التمييز بين الأمم، والنازية في أوروبا، والصهيونية في فلسطين، والصرب في البوسنة خير شاهد على ذلك .

4. **نظرية الصراع للبقاء :** وهي من أخطر ملامح الحضارة الغربية، وما الحروب العالمية الأولى والثانية، واحتلال بلاد المسلمين وشن الحروب عليهم، إلا ملمح لهذه النظرة، وهذا نتاج ما رسّخته نظرية داروين في العقلية الغربية، وكذلك تأثير الفكر الشيوعي القائم على صراع الطبقات، "ففكرة الصراع فكرة أساسية موجودة في الحضارة الغربية، ولذلك شهدت أوروبا مرحلة من الحروب النوعية، وشهدت مرحلة من الحروب الدينية بين المذاهب النصرانية التي أزهقت الملايين من الأرواح"[2] .

والمتأمل في حروب المسلمين ضد أعدائهم يرى أنها لم تكن حروب عدوانية بقدر ما كانت حروباً دفاعية، وغزوات النبي صلى الله عليه وسلم خير شاهد على هذا، أما الفتوحات الإسلامية فكانت من منطلق نشر قيم وعقائد الإسلام ورفع الظلم الواقع على الشعوب من قبل حكامها .

كل هذا لا ينكر أن للحضارة الغربية أيادي خير على الإنسانية، في الجانب المدني والتقني والصناعي والزراعي، والحكم والحرية السياسية، أما الجانب الفكري والثقافي والديني والأخلاقي فشرهم أكثر من خيرهم .

غزو الفكر الغربي لبلاد المسلمين :

عملت الدول الغربية جاهدة على تصدير فكرها ومناهجها إلى البلاد الأخرى، وخصوصاً بلاد الشرق الإسلامي، وحاولت ذلك من خلال غزو هذه البلاد عسكرياً واحتلالها، فعلت ذلك إلا

---

[1] انظر : حقائق مضيئة : أنور الجندي، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ص107 .

[2] رؤية نقدية للحضارة الغربية : محمد عمارة .

أنها وجدت أن هذا الاحتلال لا يُسعفها في غايتها ومقصدها، فغيرت من خططها وأساليبها، حتى وجدنا من بين العرب والمسلمين ما يُقبل على هذه المناهج والأفكار، ويحرص على الدعوة لها، وكأنها من بنات أفكاره .

أسباب قبول المسلمين لهذه الأفكار[1] :

1. هجران المسلمين حكاماً ومحكومين لدينهم وعقيدتهم إلا القلة القليلة .
2. تفشي الجهل بين عامة المسلمين بأسس دينهم وعقيدتهم، وهذا الجهل أدى بهم إلى عدم العمل بهذا الدين إلا في جانب العبادة .
3. ما تعرض له الإسلام من تشويه وتشكيك .
4. الغزو الفكري للأمة، ودخول المنظمات والجمعيات ذات الشعارات الخادعة والبراقة، وتقبل فئة من المثقفين والمتعلمين لها، مثل الماسونية والماركسية والوجودية، والجمعيات النسائية، والمنظمات الحقوقية .
5. توالي الهزائم وتراجع الأمة أمام غيرها من الأمم .
6. وجود فئات وطوائف غير مسلمة بين صفوف المسلمين لعبت دوراً كبيراً من خلال مناصرتها للمحتل ومعاونته على نشر أفكاره .
7. فتنة الشعوب العربية بالحضارة الغربية المادية وانبهارهم بها .
8. البعثات التعليمية العربية لبلاد الغرب، وعودة هؤلاء الدارسين إلى بلادهم وتقلدهم زمام الأمور فيها .
9. السياحة الغربية إلى البلاد العربية، والاختلاط غير المبرر مع شباب المسلمين .
10. الغزو الإعلامي الغربي المدمر من خلال الفضائيات والإنترنت .

[1] انظر : كشوف وزيوف : الميداني، ص92 .

المطلب الثاني

موقف مصطفى محمود من الحضارة العربية

نظر المسلمون إلى الحضارة الغربية من خلال ما وصل إليهم من أفكارها ومذاهبها، وما شاهدوه من طرق تقدمها وقوتها وسيطرتها، فكانوا اتجاهات عدة : منهم من رفض هذه الحضارة جملة وتفصيلاً، ومنهم من قبلها ودعا إليها جملة وتفصيلاً، ومنهم من توقف ما بين القبول وما بين الرفض، وقالوا نقبل ما يفيدنا، ونرفض ما لا يفيدنا .

موقف مصطفى محمود :

يفرق مصطفى محمود بين التطور العلمي الذي يشهده الغرب في الطب والاقتصاد والعلم وعلوم القضاء والزراعة والصناعة، وبين مناهج الحياة الاجتماعية والمذاهب الفكرية والمدارس الثقافية، ومنتجات الأدب والفن والمسرح والسينما "المجتمعات الغربية هي مجتمع السوق والوفرة والعلم والتكنولوجيا والصعود إلى الفضاء والتنقيب عن الثروات في الأرض، وفي البحر وفي الجو، وفي الذرة وفي المجرة وتكديس السلاح والبوارج والغواصات والطائرات والترسانة النووية والكيماوية والميكروبية مع خطرها على الآخرين[1] .

والحقيقة أن هناك جانباً إيجابياً في هذه الحضارة لا بد من قبوله واستيعابه، وهو العلم بمنجزاته الصناعية والتكنولوجية، والعلم محايد، لا يوجد علم شرقي ولا علم غربي، ولا يوجد علم شيوعي وعلم رأسمالي، الحقائق العلمية واحدة .

البخار ليس يمينياً، والكهرباء ليست يسارية .

العلم تراث إنساني عام لا بد من تحصيله كله ومن منابعه ومراجعه الأصلية، وذلك هو الجانب الإيجابي من حضارتنا[2] .

أما عن الجانب الآخر عندهم "حقوق الإنسان عندنا بلا حدود، انتحر، تشرب، تسكر، تقامر، تباشر الشذوذ، كل اختياراتك مصونة ومكفولة ومحترمة، للمرأة أن تباشر الجنس مع من تريد، وأن تختار الشذوذ مع امرأة أخرى إذا شاءت وأن تتزوجها إذا أرادت وحقوقها مكفولة .

والعنف في كل شيء إلى درجة الغل والتدمير والقتل والتخريب وإشعال الحرائق .

اغتنم لحظتك فهي لن تعود مرة أخرى، والعواقب البعيدة غير واردة في أكثر الأحوال، والآخرة لا وجود لها، والله بقية من عالم قديم أثري، جميل أسطوري[3] .

ماذا تقدم لنا الحضارة الغربية :

وهو هنا يقصد الجانب الفكري والثقافي "الحضارة المادية لم تقدم للإنسان إلا الموت،

---

(1) الغد المشتعل : مصطفى محمود، ص37 .

(2) لماذا رفضت الماركسية : مصطفى محمود، ص95 .

(3) انظر : المصدر السابق : مصطفى محمود، ص37 .

وحياة تمضي سدى، وتنتهي عبثاً، أما الإسلام فقدم للإنسان الخلود، وحياة تمضي لحكمة وتنتقل من طور إلى طور وفقاً لنواميس ثابتة من العدل الإلهي حيث لا يذهب أي عمل سدى، ولو كان مثقال ذرة من خير أو شر، **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾** (سورة الزلزلة : 7–8)

حقيقة الحضارة الغربية :

واليوم تصل الحضارة المادية إلى ذروة من القوة والعلم وتكتمل لها أدوات الفعل والتأثير، من إذاعة وتليفزيون وسينما ومسرح وكتب ومحلات، وهي سواء كانت أمريكية أو سوفييتية، فهي لا تفتأ تغتال العقل والروح وتتحالف على الإنسان بخيلها ورجلها، ولكن برغم كل شيء ضعيفة متهافتة واهية، لأنها تغتال نفسها ضمن من تغتال، وتأكل كيانها، وسوف تقتتل مع بعضها البعض، وتتحارب بالمخلب والناب، وبالقنابل الذرية والقذائف النووية، فالطمع والجشع حياتها وموتها[1] .

ويزيد الأمر وضوحاً حينما يقول : "الحضارة السائدة اليوم هي حضارة مادية ملحدة بشقيها الرأسمالي والشيوعي، كل الفرق أن الحريات المتاحة للأفراد تتفاوت في الجانبين .

نحن نعيش جاهلية مادية ذات أنياب ذرية ومخالب إلكترونية، ونعاصر نوعاً متطوراً من الفساد يستخدم التليفزيون والراديو والمجلة والكتاب، وأحدث مستحدثات العلم في ترويج أكاذيبه، الكل يستعمرنا بوسيلة أو بأخرى، بالمذهب أو بالاقتصاد أو بالمؤامرات، أو بالسلاح يبيعونه ثم يؤلبون طائفة منا على الأخرى لنقتل بعضنا بعضاً، فيضربون بذلك عدة عصافير بحجر واحد، يستردون عائدات البترول التي دفعوها لنا بالعملة الصعبة، ويشغلون مصانعهم، ويعالجون البطالة الزائدة في بلادهم بالعمل في تلك المصانع، ويشتتون جموعنا فلا نتفق أبداً على كلمة"[2].

علاقة الحضارة الغربية بالدين :

أخطر سلبيات الحضارة الغربية أنها ألغت الدين من تفكيرها (صحيح أن لهذا الأمر رواسب تاريخية)، وقطعت علاقتها مع الله كلياً فنتج عن ذلك هذا الانهيار الذي نراه في كل جوانب الحياة، ويربط مصطفى محمود ذلك بقوله : "سلبية الحضارة الأمريكية خلوها من الروح، خلوها من فكرة القداسة، ومن الكمالات التي لا تسبغها في علم النفس إلا القيم الدينية الرفيعة، وقيم المسيحية لا وجود لها في الشخصية الأمريكية البراجماتية المندفعة نحو المصلحة المادية واللذة العاجلة والثراء الشخصي والقوة، والسيطرة على العالم، المسيحية مهجورة في أمريكا، القيم الوثنية التي تعبد المال في براءة شديدة أصبحت طابعاً لعالم اليوم في كل مكان، القتل من أجل

---

[1] ماذا وراء بوابة الموت : مصطفى محمود، ص42 .

[2] لماذا رفضت الماركسية : مصطفى محمود، ص93 .

الدولار، والصراع من أجل الأنثى، والحرب من أجل احتلال الأرض، بعثت كلها من جديد في بدائية شرسة .

والتحمت المادية الإسرائيلية بالمادية الأمريكية فيما أسماه الرئيس الأمريكي (بوش) بالحضارة اليهودية المسيحية، وهي مغالطة، فالمسيح بريء من هذه الحضارة، ولا أثر لوجوده فيها، فهي مادية الطابع في كل شيء ولا رحمة فيها ولا محبة ولا تقوى، وهؤلاء هم الذين سمّاهم المسيح بأبناء الأفاعي في إنجيله المقدّس"[1] .

وما يحدث لنا في فلسطين خير شاهد على وحشية هذه الحضارة الغربية بما تدعمه للكيان الصهيوني من زرعه في أرضنا ودعمه دعماً مادياً ومعنوياً وسياسياً، والوقوف في وجه المقاومة واعتبارها إرهاباً، وتحريض العالم على حربها وحصارها وتجويع أهلها ومن ثم تركيعهم، كل هذا لمصلحة الكيان الصهيوني .

وهكذا يواصل مصطفى محمود من خلال كتبه الكثيرة وعشرات المقالات التي ينشرها هنا وهناك، يقف بكل شموخ أمام هذا التيار العنيف، يبين زيفه، ويكشف خداعه، ويدق على أبواب عقول العقلاء لينتبهوا إلى الخطر القادم .

رحم الله الرجل رحمة واسعة

---

(1) الغد المشتعل : مصطفى محمود، ص41 .

النتائج والتوصيات

الحمد لله رب العالمين، الذي أتم علي نعمة إتمام هذه الدراسة، وهداني إلى الحق، فهو صاحب الفضل والمنة، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى أصحابه الأطهار، وبعد :

هذه أهم النتائج والتوصيات أثبتها هنا لتمام المنفعة والفائدة :

أولاً : النتائج :

1. يُعتبر الدكتور مصطفى محمود من الشخصيات التي كان لها تأثيرٌ كبيرٌ عربياً وإسلامياً .
2. كان للحياة السياسية والاجتماعية أثرها الكبير على عقلية وحياة الدكتور .
3. شكل الدكتور نمطاً جديداً متفرداً في الدعوة لدين الله الإسلام .
4. كان مصطفى محمود من أعلى الأصوات في زمانه إعلاناً للحق ومناصرة للقضايا الإسلامية والقومية .
5. قدّم مصطفى محمود للمكتبة الإسلامية كماً كبيراً من المؤلفات، حتى عُد من المكثرين في التأليف .
6. انتهج الدكتور منهج الوسطية في التعامل مع القضايا الفكرية ما بين القبول المطلق والرفض المطلق .
7. حارب الرجل بكل شراسة الأفكار الوافدة وبيّن زيفها وضلالها، وكان سداً منيعاً أمام تغلغلها في المجتمع المصري والعربي ومن ثم الإسلامي.
8. بيّن الرجل صلاحية الإسلام عقيدةً وشريعة، وعدم تعارضه مع العلم وتطوره .
9. أبرز الرجل الأخطاء في النظريات الوافدة كالماركسية والوجودية والبرجماتية .
10. أبان ضلال التيارات والمذاهب، وعلى الخصوص بيّن ضلال البهائية والقاديانية .
11. جعل الرجل من المسجد مؤسسة اجتماعية تؤدي دورها التعبدي والاجتماعي على خير وجه.
12. وقف في وجه الغزو المادي الغربي، وبيّن عدم جدواه في حياتنا كمسلمين .
13. وقف مع الحق الفلسطيني في مواجهة المحتل الصهيوني الغاصب .
14. أبان عن حقيقة الصهيونية واليهودية كمؤسسات عنصرية احتلالية بغيضة .
15. امتاز منهجه وأسلوبه بالسهولة واليسر، وحاول التقريب بين الفرقاء، لغته سهلة وبسيطة .
16. كان نموذجاً عجيباً في الزهد والتقشف والبعد عن الوجاهة والمظهرية .
17. العطاء عنده لا ينقطع، فكان يشارك الحياة الفكرية والثقافية حتى الأيام الأخيرة من حياته . كان محباً لخدمة ومساعدة الآخرين .
18. اتخذ موقفاً خاصاً من الأحزاب والجماعات الدينية، فلم ينضوِ تحت راية أي حزب أو جماعة، مع حرصه على بناء جسور من العلاقة الطيبة مع الجميع .

19. كان يميل إلى التصوف العملي، وليس التصوف النظري الفلسفي .
20. أكثر من الخدمات الإنسانية والاجتماعية .
21. تنقل في كثير من بلاد العالم والتقى بكثير من الشخصيات المهمة، مما أفاده في تجربته الشخصية .
22. تأثر بشكل واضح بوالده وبأسلوب حياته، وعطائه وورعه .
23. لا يتعرض للخلافات المذهبية والفقهية بشكل واضح .
24. اجتهد الرجل فأصاب في كثير من المسائل، وأخطأ في العديد منها
25. مثّل أنموذجاً معاصراً للداعية المسلم .

ثانياً : التوصيات :

1. أوصي كليتي (أصول الدين) أن تفرد رسائل أخرى عن مصطفى محمود تستوفي علمه وإنتاجه الفكري والثقافي وخصوصاً الجانب الإعلامي من حياته .
2. أوصي بإبراز مواقف مصطفى محمود الخاصة بالصهيونية واليهودية، وقضية فلسطين .
3. أوصي بكتابة بحث عن موقف مصطفى محمود من الفكر الغربي وخطره على المسلمين والإسلام .
4. توجيه طلبة الجامعة الإسلامية إلى دراسة آراء الشخصيات الإسلامية المشابهة للدكتور مصطفى محمود لإظهار جهودهم والإفادة منها .

الفهارس

أولاً . كشاف الآيات القرآنية :

م	الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
1.	فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ	البقرة	24	186
2.	وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا	البقرة	31	162
3.	قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا	البقرة	32	162
4.	وإن للذين ظلموا عذاباً	البقرة	75	205
5.	ومن الناس من يتخذ من دون الله	البقرة	165167	155
6.	كَذَلِكَ يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ	البقرة	167	190+155
7.	إن الذين يكتمون ما أنزل الله	البقرة	174	205
8.	لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ	البقرة	177	180
9.	مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ	البقرة	255	163
10.	لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ	البقرة	256	82
11.	آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ	البقرة	285	159
12.	يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ	آل عمران	74	121
13.	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ	آل عمران	133	186
14.	لقد سمع الله قول الذين قالوا	آل عمران	181	205
15.	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ	آل عمران	185	174+172
16.	رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلْ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ	آل عمران	192	190
17.	إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم	النساء	56	178
18.	وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ	النساء	159	181
19.	فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ	المائدة	30	174
20.	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً	المائدة	37-36	154+148

21.	إن تعذبهم فإنهم عبادك	المائدة	118	153
22.	وأنذر به الذين يخافون	الأنعام	511	156
23.	لا تدركه الأبصار	الأنعام	103	108
24.	سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ	الأنعام	124	190
25.	يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْساً	الأنعام	158	183
26.	مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا	الأنعام	160	155
27.	إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ	الأعراف	27	164
28.	قل من حرم زينة الله	الأعراف	32	173
29.	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ	الأعراف	172	174
30.	وَإِذْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ	الأنفال	7	140
31.	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ	الأنفال	60	114
32.	مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى	الأنفال	67	137
33.	إِنْ يَعْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً	الأنفال	70	117
34.	وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً	التوبة	46-47	118
35.	وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ	التوبة	118	174
36.	وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ	يونس	4	193
37.	قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ	يونس	38	136
38.	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً	يونس	99	82
39.	وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا	هود	108	186
40.	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لجعل الناس أمة واحدة	هود	118	251
41.	عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي	الرعد	9	108
42.	وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ	الرعد	13	108
43.	فمن تبعني فإنه مني	إبراهيم	36	153

.44	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ	الحجر	27-26	169+167
.45	فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي	الحجر	29	174
.46	نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ	الحجر	49	121
.47	أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ	النحل	1	180
.48	ولله يسجد من في السماوات	النحل	50-49	207
.49	وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ	النحل	64	133
.50	فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ	النحل	98	166
.51	إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ	النحل	106	84
.52	عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً	الإسراء	79	148
.53	وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي	الإسراء	85	173
.54	قل لئن اجتمعت الأنس والجن	الإسراء	88	167+12
.55	وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ	الكهف	29	85
.56	ما أشهدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ	الكهف	51	255+222
.57	وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً	الكهف	94-93	184+181
.58	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ	الكهف	110	122
.59	يوم نحشر المتقين إلى الرحمن	مريم	87-85	153
.60	الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى	طه	5	160+105
.61	قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ	طه	50	263+90
.62	وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي	طه	96	173
.63	وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ	طه	114	136
.64	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا	الأنبياء	22	90
.65	وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنْ ارْتَضَى	الأنبياء	28	146
.66	حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ	الأنبياء	96	181

.67	فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ	الحج	46	141
.68	اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً	الحج	75	122
.69	حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ	المؤمنون	99ـ 100	178
.70	رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ	المؤمنون	107ـ 108	154+148
.71	وعد الله الذين آمنوا منكم	النور	55	261
.72	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ	النور	62	121
.73	وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً	الفرقان	2	113
.74	إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ آيَةً	الشعراء	4	116+85
.75	إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ	الشعراء	212	170
.76	قل لا يعلم من في السماوات	النمل	65	140
.77	وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً	النمل	82	183+182
.78	قل سيروا في الأرض فانظروا	العنكبوت	20	255
.79	غُلِبَتْ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الأَرْضِ	الروم	2ـ4	140
.80	يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	الروم	7	102
.81	وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ	الروم	12	166
.82	ومن آياته خلق السماوات والأرض	الروم	22	251
.83	فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا	الروم	30	97+89
.84	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ	لقمان	25	88
.85	وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ	لقمان	32	88
.86	ما لكم من دونه من ولي	السجدة	4	156
.87	قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ	السجدة	11	163

88.	وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً	الأحزاب	38	113
89.	الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ	الأحزاب	39	126
90.	وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا	فاطر	37	191
91.	وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ	الصافات	7–10	166
92.	إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ	الصافات	64	189
93.	وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ	الصافات	164	162
94.	وشددنا ملكه	ص	20	126
95.	إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّار	ص	64	189
96.	قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ	ص	76	168+85
97.	أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ	الزمر	19	153+145
98.	وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ	الزمر	33	124
99.	قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً	الزمر	44	155+148
100.	قل يا عبادي الذين أسرفوا	الزمر	53	156
101.	رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً	غافر	7	107
102.	النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً	غافر	46	177
103.	ومن أحسن قولاً ممن دعا	فصلت	33	133
104.	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ	فصلت	53	89
105.	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ	الشورى	11	104
106.	مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ	الشورى	20	117
107.	اشهدوا خلقهم ستكتب شهاداتهم ويسألون	الزخرف	19	94
108.	إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ	الزخرف	74–75	186
109.	فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ	الدخان	10–11	183+182

193	46-43	الدخان	إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الأَثِيمِ	110.
137+132	9	الأحقاف	قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنْ الرُّسُلِ	111.
189	15	محمد	مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ	112.
180	18	محمد	فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً	113.
115	18	الفتح	فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ	114.
263+36	13	الحجرات	يا أيها الناس إنا خلقناكم	115.
174	16	ق	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ	116.
161	23	ق	وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ	117.
101+90	21	الذاريات	وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ	118.
206	37-24	الذاريات	هل أتاك حديث ضيف إبراهيم	119.
89	36-35	الطور	أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ	120.
177	47	الطور	وإن للذين ظلموا عذاباً	121.
162+98	4-3	النجم	وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى	122.
166	32	النجم	وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ	123.
183	1	القمر	اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ	124.
151	17	القمر	وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ	125.
140	45	القمر	سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ	126.
143	33	الرحمن	يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا	127.
133	25	الحديد	لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ	128.
248+162	6	التحريم	عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ	129.
176	2	الملك	الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ	130.
126	4-3	القلم	وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ	131.
163	17	الحاقة	وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ	132.

133.	قل أوحي إلي أنه استمع	الجن	1	167
134.	وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ الإنسِ يَعُوذُونَ	الجن	6	170
135.	يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ	المدثر	2-1	136
136.	وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ	القيامة	23-22	191+108
137.	عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى	عبس	4-1	137
138.	إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ	التكوير	20-19	162
139.	يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي	الفجر	30-27	174
140.	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا	الشمس	8-7	174
141.	فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى	الليل	10-5	118
142.	لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم	التين	4	258
143.	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه	الزلزلة	8-7	266+155
144.	مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ	الناس	5-4	166
145.				

ثانياً : فهرس الأحاديث :

26	والذي نفسي بيده	مسلم	181
27	وعدني ربي أن يدخل الجنة	الترمذي	147
28	إن للشهيد عند الله	ابن ماجه	147
29	إن لربك عليك حقاً	البخاري	173
30	المهدي من عترتي	أبو داود	181
31	لا تذهب الدنيا حتى	الترمذي	181
32	لا تقوم الساعة حتى لا يقال	مسلم	182
33	إن أهون أهل النار عذاباً	البخاري	247

ثالثاً : كشاف فقرات التوراة :

رابعاً : كشف الأعلام

28	جمال حمدان	42
29	الجويني (إمام الحرمين)	167
30	حافظ إبراهيم	28
31	حسان بن ثابت	132
32	الحسن بن هانئ : أبو نواس	31
33	حسن العطار	53
34	حسن مأمون	19
35	حسن الهضيبي	46
36	حسين توفيق الحكيم	31
37	الحلاج	30
38	خالد بن الوليد بن المغيرة	24
39	خالد محمد خالد	51
40	الخنساء	135
41	الرشتي (كاظم)	239
42	رينيه ديكارت	30
43	سبارتاكوس	125
44	سلمان رشدي	210
45	السيد البدوي	14
46	سيد قطب	46
47	شبلي الشميل	257
48	شمس بدران	47
49	الشهرستاني	89
50	صخر بن حرب (أبو سفيان)	130
51	صموئيل بكيت	73
52	طه حسين	29
53	عباس محمود العقاد	29
54	عقبة بن نافع	131
55	علي زين العابدين	12
56	علي عبد الرزاق	51

57	علي محمد طه	16
58	عمر بطيشة	77
59	الغزالي (أبو حامد)	29
60	فاروق الأول	52
61	فرويد	73
62	فؤاد الأول	53
63	فيكتور هوجو	31
64	كامل الشناوي	16
65	كعب بن زهير	135
66	كمال الدين حسين	44
67	كمال محمد النجمي	76
68	مارتن هيدجر	30
69	ماركيز ماركوني	24
70	المازني	31
71	المتنبي	28
72	محمد أنور السادات	19
73	محمد بن عبد الله النفري	30
74	محمد بن علي العربي الطائي	30
75	محمد حسين هيكل	29
76	محمد الدجوي	46
77	محمد زكي إبراهيم	77
78	محمد علي	53
79	محمد متولي الشعراوي	20
80	معاوية بن أبي سفيان	126
81	المعري	31
82	الملك مينا	42
83	نجيب محفوظ	31
84	نسرين تسليمة	210
85	نصر حامد أبو زيد	2110

86	النفري	30
87	النظّام	142
88	نيتشه	30
89	وائل الأبراشي	50
90	وليم جيمس	40
91	وليم شكسبير	31
92	ياسين سراج الدين	16
93	يوسف إدريس	18

خامساً : كشف المصطلحات

سادساً : كشف بالبلدان

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .
التوراة .
الإنجيل .

- أ -

1. أبحاث في اليهودية والصهيونية : أحمد سوسة- دار الأمل- الأردن- 2003م
2. إبراهيم بن سيّار النظّام وآراؤه الفلسفية : محمد أبو ريدة - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة - 2010.
3. اتجاه التفسير في العصر الحديث : مصطفى الطير - مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة - 1975.
4. اتجاهات الرواية العربية : شفيع السيد - دار الفكر العربي - القاهرة - الثالثة - 1996م.
5. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: محمد محمد حسين - مؤسسة الرسالة - بيروت.
6. الإتقان : عبد الرحمن السيوطي - دار الحديث - القاهرة - الأولى - 2002.
7. أحداث النهاية : محمد حسان - مكتبة فياض - المنصورة - الأولى - 2007.
8. الأحلام : مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة - الأولى - 2004.
9. الأزهر في ألف عام : محمد خفاجي - عالم الكتب - بيروت - الثانية - 1988.
10. أساس البلاغة : محمود بن عمر الزمخشري - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى - 1998.
11. الإسلام والحضارة الغربية : محمد محمد حسين- دار الفرقان- القاهرة- الأولى
12. الإسلام السياسي والمعركة القادمة : مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة - الأولى - 1996.
13. الإسلام في خندق : مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة - الأولى - 1994.
14. الإسلام ما هو : مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة - الأولى - 2008.
15. الأعلام : خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - العاشرة - 1992.
16. أفيون الشعوب : عباس العقاد، منشورات المكتبة العصرية- بيروت- الثانية.
17. الله : مصطفى محمود - دار العودة - بيروت - الأولى - 1972.
18. إنسان المؤمنين وإنسان الملحدين : محمد ماضي أبو العزايم- دار الكتاب الصوفي- القاهرة- الأولى- 1993
19. انهيار إسرائيل من الداخل : عبد الوهاب المسيري- دار المعارف- القاهرة- الأولى- 2002م
20. إيثار الحق على الخلق : محمد بن اليماني (ابن الوزير) - دار الكتب العلمية - بيروت - الثانية - 1987.
21. الإيمان بالرسل : علي محمد الصلابي - دار ابن الجوزي - القاهرة - الأولى - 2012.
22. الإيمان بالله : علي محمد الصلابي - دار ابن الجوزي - القاهرة - الأولى - 2012م.
23. الإيمان بالملائكة : علي محمد الصلابي - دار ابن الجوزي - القاهرة - الأولى - 2012
24. الإيمان باليوم الآخر: علي محمد الصلابي - دار ابن الجوزي- القاهرة - الأولى - 2012م.

- ب -

25. البابية عرض ونقد : إحسان ضهير - إدارة ترجمان - الثالثة - 1981.

26. البابية والبهائية : محمد إبراهيم الجيوش– المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية– القاهرة– 1998.
27. البابيون والبهائوين : همايون همتي– دار الهادي–بيروت– الأولى– 1993.
28. باشوات وسوبر باشوات : حسين مؤنس – الزهراء للإعلام العربي – القاهرة – الثانية – 1988م.
29. البداية والنهاية : إسماعيل بن كثير- دار الفجر للتراث – القاهرة – الأولى - 2003 م
30. بنو إسرائيل : محمد سيد طنطاوي : دار الشروق– القاهرة– الأولى– 1997م.
31. بهاء الله والعصر الجديد : أسلمنت– دار العصور– القاهرة– 1920.
32. البهائية : محب الدين الخطيب– المطبعة السلفية– القاهرة– 1375هـ.
33. البهائية تاريخها وعقيدتها : عبد الرحمن الوكيل– مطبعة السنة المحمدية– القاهرة– 1962.
34. البهائية وجذورها البابية : عامر النجار– مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية– القاهرة– الأولى– 1996م.
35. البهائية صليبية الفرس : محمود ثابت الشاذلي– مكتبة وهبة– القاهرة– الأولى– 1999.
36. البهائية وموقف الإسلام منها : دخيل الله الأزوري– رسالة ماجستير– جامعة أم القرى– جدة– 1981.

– ت –

37. تاج العروس من جواهر القاموس : المرتضى الزبيدي – دار الفكر – بيروت – 1994.
38. تاريخ الحركة الوطنية : مصطفى رمضان – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة.
39. تاريخ الدولة الإسلامية . السيد دحلان – مكتبة الإيمان –. القاهرة .– الأولى– 2000 .
40. التبيان شرح أركان الإيمان : سعد عبد الله عاشور– مكتبة آفاق– غزة– الرابعة– 2009 .
41. التعريفات : علي بن محمد الجرجاني – شركة القدس – القاهرة – الأولى – 2007.
42. تعريف عام بدين الإسلام : علي الطنطاوي– مؤسسة الرسالة – بيروت – السادسة – 1394هـ.
43. التفسير الإسلامي للتاريخ : عماد الدين خليل– دار العلم للملايين– بيروت– الأولى– 1978.
44. التوراة : مصطفى محمود – دار المعارف – القاهرة – الأولى – 1971.

– ج –

45. جامع الأصول : المبارك بن محمد بن الأثير - مكتبة دار البيان - بيروت ، 1999.
46. جامع العلوم والحكم : ابن رجب الحنبلي – دار الفكر – بيروت.
47. الجامع الصحيح : محمد بن عيسى الترمذي – المكتبة السلفية – المدينة المنورة .
48. الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية – خالد القشطيني– المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت–الأولى–1981م
49. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ابن تيمية– مطبعة المدني– القاهرة– الأولى– 1994.

– ح –

50. حاضر العالم الإسلامي : صالح الرقب – مطبعة الرنتيسي – غزة – الأولى – 1998 .
51. الحراب في صدر البهاء والباب : محمد فاضل– دار المدني– القاهرة– الثانية– 1986.

52. الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية : محمد الزحيلي – مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية، – المجلد 27– العدد الأول– 2011.
53. الحريات في النظام الإسلامي : حسن محمد سفر – مطابع سحر – الأولى – 1996.
54. حقائق مضيئة : أنور الجندي– دار الصحوة للنشر– القاهرة.
55. حقيقة البابية والبهائية : محسن عبد الحميد– المكتب الإسلامي– بيروت– الثالثة– 1985.
56. حوار مع الشيوعيين : عبد الحليم خفاجي– دار الأنصار– القاهرة – الثانية– 1977م.
57. حوار مع صديقي الملحد : مصطفى محمود – دار المتوسط للنشر والتوزيع – بيروت .

– خ –

58. خواطر حول القرآن الكريم : محمد متولي الشعراوي – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – الأولى – 1991.

– د –

59. دائرة معارف القرن العشرين– محمد فريد وجدي– دار المعرفة– بيروت– الثالثة– 1971.
60. داروين ونظرية التطور : شمس الدين بلوت– ترجمة أورخان محمد علي– دار الصحوة– القاهرة– 1980.
61. دراسات في الفلسفة الوجودية : عبد الرحمن بدوي – دار الثقافة– بيروت– الثالثة– 1973م.
62. الدرر البهية : محمد الجرفادقاني– مطبعة السعادة – القاهرة – 1925.
63. الدرر الناضرة في الفتاوى المعاصرة : صبري عبد المجيد – دار المؤيد – القاهرة – الأولى – 2005.
64. دفع الشبهات عن السنة والرسول : عبد المهدي عبد الهادي – مكتبة الإيمان – القاهرة – الثانية – 2006.
65. دكتور مصطفى محمود والتصوف : أحمد كمال الجزار – مطبوعات أخبار اليوم – الأولى – 1997.
66. الدولة في الإسلام : خالد محمد خالد – دار ثابت – القاهرة – الأولى – 1981.

– ر –

67. رأيت الله : مصطفى محمود – دار المعارف – مصر– الخامسة – 1981.
68. رحلتي من الشك إلى الإيمان: مصطفى محمود – دار العودة – بيروت .
69. الرد على مصطفى محمود في إنكاره المقام المحمود : حسن محرم الحويني – الدار المحمدية – القاهرة – الأولى– 1999.
70. الرد على مصطفى محمود : عبد المهدي عبد الهادي – هدية مجلة الأزهر– العدد ربيع الآخر– 1420هـ.
71. رسائل في العقيدة : محمد بن عثيمين – دار طيبة – الرياض – الثانية – 1406هـ.
72. رسالة العقائد: من مجموع الرسائل : حسن البنا – مؤسسة الرسالة – بيروت.
73. الرسل والرسالات : عمر الأشقر– دار النفائس– الكويت– الرابعة– 1989.
74. رؤية نقدية للحضارة الغربية : محمد عمارة– مركز الدراسات المعرفية (محاضرة) بتاريخ 2002/5/7م– القاهرة.

75. الروح والجسد : مصطفى محمود– دار المعارف– مصر– السابعة – 1998.

– ز –

76. زيارة للجنة والنار : مصطفى محمود – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – الأولى – 1996.

– س –

77. السر الأعظم : مصطفى محمود – دار المعارف – مصر– الأولى – 1975.
78. سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث – الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – 1988.
79. السنن : محمد بن يزيد بن ماجه – المكتبة العلمية – بيروت.
80. السؤال الحائر : مصطفى محمود – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – 2008.
81. سواح في دنيا الله : مصطفى محمود – أخبار اليوم – القاهرة – 2000.
82. سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد الذهبي– مؤسسة الرسالة – بيروت – الثالثة – 1985.

– ش –

83. شاهد على العصر: عمر بطيشة – أخبار اليوم – الأولى – 1984م.
84. شذرات الذهب : عبد الحي ابن عماد الحنبلي – دار ابن كثير– القاهرة – الأولى – 1986.
85. شرح العقيدة الطحاوية : أحمد بن محمد الطحاوي ـ مكتبة الدعوة الإسلامية ـ القاهرة.
86. شرح العقيدة الواسطية : خليل الهراس – مركز شؤون الدعوة – السعودية – الثامنة.
87. شرح مسلم : يحيى بن شرف النووي - دار السلام – القاهرة – الثالثة – 1996.
88. شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية : عبد المتعال محمد الجبري – دار الاعتصام – القاهرة – الثانية– 1979.
89. الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض – مكتبة الصفاء – القاهرة – الأولى – 2002.
90. شفاء العليل : محمد بن قيم الجوزية – دار الحديث – القاهرة، 2005.
91. الشفاعة : مصطفى محمود – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – 1999.
92. الشناعة على من رد أحاديث الشفاعة : عبد الكريم الحميد– الرياض – الأولى – 1421هـ.
93. الشيطان يحكم : مصطفى محمود – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – 2004.
94. الشيوعية والشيوعيين في ميزان الإسلام : عبد الجليل شلبي– دار الشروق– القاهرة– الأولى– 1976م.

– ص –

95. الصحاح : إسماعيل بن حماد الجوهري – دار العلم للملايين – بيروت – الرابعة –1990.
96. الصحيح : محمد بن إسماعيل البخاري – المكتبة العصرية – بيروت – الأولى– 1996م .
97. الصحيح : مسلم ابن الحجاج القشيري – دار السلام – القاهرة – الثالثة – 1996 .
98. صفحات من تاريخ الإخوان : أحمد رائف – المختار الإسلامي – القاهرة .
99. الصواعق المرسلة : محمد بن قيم الجوزية : محمد – دار العاصمة – الرياض – الأولى – 1408هـ.
100. الصهيونية بإيجاز : محمد با خريبة– مكتبة الخبر– الأولى– 2001

- ع -

101. عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة : عبد الكريم العبيدات ـ دار إشبيليا للنشر ـ الرياض ـ الثانية ـ 1419هـ.
102. عالم الغيب ما بين الوحي والعقل : يحيى مراد – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – 2003.
103. عجائب الآثار في التراجم والأخبار : عبد الرحمن الجبرتي – تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن – دار الكتب المصرية – القاهرة – الأولى – 1998م
104. عظماء الدنيا وعظماء الآخرة : مصطفى محمود – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – السادسة – 1996.
105. العقائد الإسلامية : السيد سابق – دار الفتح للإعلام العربي – القاهرة – الخامسة – عشرة – 2011.
106. العقيدة الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن الميداني – دار الفكر – دمشق – 1385هـ.
107. العقيدة والشريعة : جولدزيهر – دار الكتاب – مصر.
108. العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية : سعد الدين صالح – دار الصفا للطباعة والنشر – القاهرة – الثانية – 1990م
109. على حافة الانتحار : مصطفى محمود – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – 1996.
110. علم نفس قرآني جديد : مصطفى محمود : – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – الأولى – 1998.

- غ -

111. الغد المشتعل : مصطفى محمود – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – 1995.

- ف -

112. الفارس المتمرد : مذكرات الدكتور مصطفى محمود : سيد الحراني – جريدة المصري اليوم.
113. فتاوى معاصرة : يوسف القرضاوي – دار القلم – الكويت – الثالثة – 2003
114. فتح الباري: شرح صحيح البخاري : أحمد بن حجر – دار الفكر – بيروت – 1996.
115. فتح المجيد لشروح كتاب التوحيد : الوليد بن عبد الرحمن آل فرسان – دار ابن الأثير – الثانية عشرة – الرياض 1420هـ.
116. فرق وأديان معاصرة : السيد أبو يوسف – مكتبة الإيمان – المنصورة – الأولى – 2008.
117. فلسطين : القضية و الشعب والحضارة : عجاج نويهض – دار الاستقلال للدراسات والنشر – بيروت –الأولى – 1991م
118. الفلسفة : أنواعها ومشكلاتها : هنترميد – ترجمة فؤاد زكريا – دار نهضة مصر – القاهرة – الثانية – 1975.
119. فلسفتنا : محمد باقر الصدر – دار الكتاب اللبناني – بيروت – 1978.
120. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي – مكتبة وهبة – القاهرة – الأولى –1976م.
121. قاموس علم الاجتماع : محمد عاطف غيث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979.

- ق -

122. قاموس علم النفس : محمد عاطف غيث– الهيئة المصرية– العامة للكتاب– القاهرة– 1979م.
123. قاموس المورد : انجليزي – عربي – منير البعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت – الخامسة والعشرون – 1991م.
124. القرآن كائن حي : مصطفى محمود – دار المعارف – مصر – 1993.
125. القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود – دار الشروق – بيروت – 1970
126. قصتي مع التصوف : خالد محمد خالد – المقطم للنشر- القاهرة – الثالثة - 2006
127. القضاء والقدر : عبد الرحمن المحمود – دار الوطن – الرياض – الثانية – 1416هـ.
128. قضية الإلوهية بين الفلسفة والدين : عبد الكريم الخطيب – دار الفكر العربي – القاهرة – الأولى – 1962.
129. القيامة الصغرى : عمر سليمان الأشقر – دار النفائس – بيروت – الثالثة – 1991.

- ك -

130. كشف الخفاء ومزيل الإلباس : إسماعيل بن محمد العجلوني – مكتبة المقدسي – القاهرة – الثانية – 1351هـ.
131. كشوف وزيوف : عبد الرحمن الميداني– دار القلم– دمشق– الثانية– 1991م.
132. الكليات : أبو البقاء الكفوي – مؤسسة الرسالة – بيروت – الأولى – 1992م.
133. الكيد الأحمر : عبد الرحمن الميداني– دار القلم – دمشق– الأولى– 1985م.
134. كيف يفكر زعماء الصهيونية : أمين هويدي– دار المعارف– القاهرة– الأولى– 1986م.

- ل -

135. لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور – دار الجيل – بيروت – الأولى – 1988.
136. لغز الموت : مصطفى محمود – دار العودة – بيروت – 1972.

- م -

137. الماركسية والإسلام : مصطفى محمود – دار المعارف – مصر – 1975.
138. ماذا وراء بوابة الموت : مصطفى محمود – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – 1999.
139. مباحث في علوم القرآن : مناع القطان – مؤسسة الرسالة – بيروت – الأولى – 1995.
140. مجموع الفتاوى : أحمد بن تيمية – مجمع الملك فهد – وزارة الشؤن الإسلامية والأوقاف – السعودية – 2004م.
141. محمد عليه الصلاة وعليه والسلام : مصطفى محمود – دار المعارف – مصر – 1975.
142. مختار الصحاح : محمد الرازي– دار المعارف – مصر – 1973 .
143. مختارات من شخصية مصر : عبد الحميد حمدان – مكتبة مدبولي – القاهرة – 1994.
144. مذاهب فكرية معاصرة : محمد قطب– دار الشروق– القاهرة – الأولى– 1983.
145. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : عبد المؤمن عبد الحق البغدادي– دار الجيل – بيروت – الأولى – 1992.

146. المسند : أحمد بن حنبل – شرح وتحقيق أحمد شاكر – دار الحديث – القاهرة – الأولى – 1995.
147. المسيخ الدجال : مصطفى محمود : – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – 2004.
148. مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية : سعد عبد العزيز صابر – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – 1970م.
149. مصر في القرن (21) : أسامة الباز – مؤسسة الأهرام – القاهرة – الأولى – 1996م.
150. مصر قبل جمال عبد الناصر : عبد العظيم رمضان – الهيئة المصرية العامة – القاهرة – الأولى – 1986م.
151. مصر المجاهدة في العصر الحديث : عبد الرحمن الرافعي – الهيئة العامة – 1959م.
152. مصر وعالم البحر المتوسط : رؤوف عباس حامد – مكتبة نهضة مصر – القاهرة – الأولى – 1996م.
153. مصطفى محمود سؤال الوجود : لوتس عبد الكريم – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – الأولى – 2008م.
154. مصطفى محمود شاهد على عصره : جلال العشري – دار المعارف – مصر – السادسة – 1997م .
155. مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان – دار المعارف – القاهرة – الأولى.
156. مصطفى محمود ودوره في خدمة قضية كوسوفا : بكر إسماعيل: – مكتبة ألبا برس – القاهرة – الأولى – 2000.
157. معجزات الرسول : مصطفى مراد – دار الفجر للتراث – القاهرة – الأولى – 2002 .
158. معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس – دار الجيل – بيروت – الأولى – 1991.
159. المعجم الوسيط : مجموعة – المكتبة الإسلامية – اسطنبول .
160. مفتاح باب الأبواب : محمد مهدي خان – مطبعة المنار – القاهرة – الأولى – 1321هـ.
161. مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن ابن خلدون – دار الكتب العلمية – بيروت.
162. مناهج البحث في العلوم الإنسانية : مصطفى حلمي – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – 2005.
163. مناهل العرفان : محمد عبد العظيم الزرقاني – دار الفكر – القاهرة – الأولى – 1995.
164. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك : عبد الرحمن ابن الجوزي – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى.
165. المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية : عبد الآخر حماد الغنيمي – دار ابن الجوزي – الذمام – التاسعة – 1415هـ.
166. منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة : تامر محمد متولي – دار ماجد للطباعة – السعودية – الأولى – 2004م .
167. من أسرار القرآن : مصطفى محمود – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – 1976.
168. المؤامرة على الإسلام : أنور الجندي – دار الاعتصام – القاهرة .
169. الموسوعة الإسلامية العامة – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر – الأولى – 2008م.
170. موسوعة أعلام الفكر الإسلامي : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر – الأولى – 2007م.

171. موسوعة أعلام الفكر العربي: سعيد جودة السحار – مكتبة مصر – القاهرة .
172. موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – 1992.
173. موسوعة التاريخ الإسلامي : أحمد شلبي – دار النهضة المصرية – 1986م.
174. الموسوعة السياسية : عبد الوهاب الكيالي – المؤسسة العربية للنشر – بيروت – الأولى – 1991.
175. الموسوعة العربية الميسّرة : جامعة الدول العربية – دار الشعب – القاهرة .
176. موسوعة الفرق والأديان : إسلام محمود دربالة - مكتبة الإيمان – المنصورة – الأولى - 2007 .
177. موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر – الأولى – 2009.
178. الموسوعة الفلسفية : روزنتال، ترجمة : سمير كرم– دار الطليعة– بيروت– الرابعة – 1981.
179. الموسوعة الفلسفية العربية : معن زيادة – معهد الإنماء العربي، الأولى، 1986.
180. موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم : محمد التهانوي – مكتبة لبنان – بيروت – الأولى – 1996.
181. موسوعة المدن العربية : صبحي سليمان – مكتبة جزيرة الورد – القاهرة – الأولى – 2006.
182. موسوعة المورد : منير البعلبكي - دار العلم للملايين – بيروت - الثانية - 1992.
183. المصباح المنير : أحمد الفيومي – دار المعارف – الأولى.
184. الملائكة المقربين : محمد عبد الوهاب العقيل – أضواء السلف – الرياض – الأولى – 2002.

– ن –

185. نار تحت الرماد : مصطفى محمود – أخبار اليوم – القاهرة – 2008 .
186. الناصرية في قفص الاتهام : عبد المتعال الجبري – دار الاعتصام – القاهرة – الأولى – 1979.
187. النبوة والأنبياء : محمد علي الصابوني – دار الصابوني – القاهرة – الأولى – 1998.
188. النحلة اللقيطة البابية والبهائية : عبد المنعم النمر– مكتبة التراث الإسلامي– القاهرة.
189. نضال شعب مصر : محمد عبد الرحمن حسين – منشأة المعارف – الإسكندرية.
190. نهاية الإقدام : محمد عبد الكريم الشهرستاني – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى– 1425هـ .
191. النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير – المبارك بن محمد الجزري – دار الفكر – بيروت.
192. النهاية في الفتن والملاحم : إسماعيل بن كثير - دار الصابوني - القاهرة - الأولى - 1986.

– و –

193. وبدأ العد التنازلي : مصطفى محمود – دار المعارف – مصر– الخامسة – 2002.
194. وثائق 15 مايو : موسى صبري – أخبار اليوم – القاهرة – 1977.
195. الوجود والعدم : مصطفى محمود – أخبار اليوم – القاهرة – 2003.
196. الوجودية : أنور الجندي– دار الاعتصام– القاهرة – 1976م.
197. الوجودية والإسلام : محمد لبيب البوهي– دار المعارف– مصر– 1960م
198. الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة : محمد غلاب– الدار القومية– القاهرة – الأولى– 1966م.
199. وليم جيمس رائد المذهب البرغماتي : كامل محمد عويضة – دار الكتب العلمية – بيروت – الثانية – (1993).

- هـ -

200. الهادي إلى لغة العرب : حسن سعيد الكرمي، دار لبنان للطباعة ، بيروت ، الأولى، 1991م

- ي -

201. اليوم الآخر: عمر سليمان الأشقر – دار النفائس – بيروت – الرابعة – 1991 .

202. اليهود الموسوعة المصورة : طارق السويدان– مكتبة الإبداع الفكري– الكويت– الأولى– 2006م

المواقع الالكترونية :

1. الموقع الإلكتروني (شذرات) .
2. موقع الدرر السنية الإلكتروني
3. موقع الدكتور صالح الرقب
4. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة
5. منتدى التوحيد الإلكتروني .
6. موقع إسلام اون لاين
7. شبكة الألوكة الشرعية

الصحف والمجلات :

1. جريدة الأهرام المصرية
2. جريدة الجزيرة، السعودية
3. جريدة الشرق الأوسط السعودية
4. جريدة المصري اليوم
5. جريدة اليوم السابع المصرية
6. مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية
7. مجلة شموع القاهرية
8. مجلة صباح الخير المصرية
9. مجلة الفيصل السعودية

الفهـــــــرس العام	
الشكر.	1
الإهداء.	2
ملخص البحث	3
المقدمة.	4
سبب اختيار الموضوع	5
أهداف الدراسة وأهميتها	5
معوقات وصعوبات البحث	5
الدراسات السابقة	6
منهج البحث	6
أسلوب البحث والدراسة	7
خطة البحث	7
الخاتمة	9
الفصل الأول : مصطفى محمود : حياته وعصره وعقيدته	10
المبحث الأول : مصطفى محمود : حياته وصفاته ودراسته وعمله وعقيدته	11
المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته ووفاته	12
المطلب الثاني : دراسته وطلبه للعلم	15
المطلب الثالث : عمله ونشاطه الدعوي	18
المطلب الرابع : صفاته وأخلاقه	22
المطلب الخامس : ثقافته وعقيدته	28

Abstract

Praise be to Allah, may the peace and blessings of Allah be upon him.

My search is about "Mustafa Mahmoud" his attitude, ideology and beliefs towards the contemporary religious community; done in an introduction and three chapters as the following :

1- Introduction: The importance of Subject, the reasons of choosing it, the difficulties which face the researcher during his search, the plan of research and the method which I follow during study.

2- The First Chapter: I specialized it about the life of Dr. Mustafa Mahmoud explaining the effect of environment and the social mental political factors; divided into three subjects.

3- The Second Chapter: I've discussed the opinion of Dr. Mahmoud about the thoughtful and ideological issues: existentialism, auditory and prophecy; divided into five subjects.

4- The Third Chapter: I've discussed his opinion about Judaism, Marxian, Existentialism, Darwinian, Bahai and the Western Contemporaneous Civilization; divided into six chapters.

5- Ending : Contains of the important recommendations and results.

6- Index: Including the index of holy Aya, sayings of the proghet(Hadith), the index of Information, places and cities, terms, continents and the index of references.